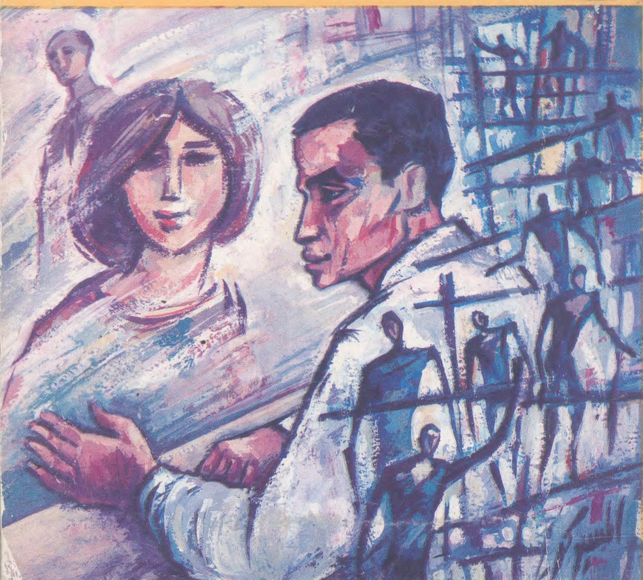
الرواية العالمية ٢٥

زنزانة من زجاج

تأليف: باتريشيا هايسميث

ترجمة وتقديم: سميحة عبد العزيز



زنزانة من زجاج

تـأليـف

باتريشيا هايسميث

ترجمة وتقديم

سميحة عبد العزيز



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

الغـلاف : الفنان سعيد المسيرى
الاخراج الفنى : محمد المحجوب

تقـــديم

عالم باتريشيا هايسميث

انضم أخيرا السيد ريبلى الى الشخصيات البوليسية الأدبية الشهيرة بعد شـــارلوك هولمز وارســين لوبين والمفتش بوارور وكامبول . لكن توم ريبلى هو أكثر هــذه الشخصــيات انسانية واكثرهم ارتباطا بالسلوك البشرى العادى . والجريمة لديه ليست متعمدة وليست عبــارة عن تحقيقات ومطاردات بوليسية بين بعض المغامرين او القتلة . لكنهــا حدث بشرى يحدث فى ظروف حتمية لا مفر من حدوثها .. ومثل هذه الشخصيات لا يجيد صناعتها سوى الكاتبة الأمريكية باتريشيا هايسميث التى جسدتها فى عدة روايات سنلقى حول بعضها الأضــواء من خلال ادب الكاتبة .

ولدت باتريشيا فى نورث بولاية تكساس فى التاسع عشر من يناير عام ١٩٢١ .. وقد طلقت والدتها وهى فى الثالثة من عمرها . تزوجت امهــا من رجل لم ينجب قط . يدعى ستانلى هايسميث الذى تبنى الفتــاة فأصبحت ابنته الشرعيــة . وكان بالنسبة لها ــ كما سنرى ــ اكثر حنانا وأبوة من ابيها الذى هجرها تماما .

اكتشفت الصغيرة بات اثنـاء دراستها الابتدائية حقيقة ستالنى لها مما سبب لها صـدمة شديدة .. وجعل امها تسجلها تحت لقب هايسميث . وقد اعتبرت هـذه الحادثة أولى مواجهات الصغيرة مع العديد من احداث عاشتها بعد ذلك فزوج أمها كان اكثر حنانا وعطفا من ابيها .

وعن امها تقول : (اعرفها اقل مما اعرف اى انسان آخر . اتصدق انى موضـوعية . وهـكذا امى . وانا معجبة جـدا بشجاعتها . فقد طلقت . وكانت هى التى قررت ذلك . ورفضت النفقـــة التى اقترح ابى دفعهـــا لها .. اليوم اقـــدر تلك الأمومة التى فـعلتها بالنسبة لى ومن اجل دراستى . فالدراسة تتكلف كثيرا فى الولايات المتحدة بالجامعة . رحلت الى كولومبيا . وعندما تخرجت من جامعتها فى سن الحادية والعشرين كنت قد تعلمت اللغـــة اللاتينية . والاغريقية . مما ساعدنى أن أصبح مؤلفة رســوم متحركة . وقد اتاحت لى هذه اللعبة أن أصبح مشهورة (الغرفة الثرية) مثل فرجينا وولف . أما شهرتى أنـا فهى متواضعة وهى اشبه بغرفة دون صالة استحمام .

وعن جدتها تقول : « كنت أحبها وكم رغبت أن أعيش معها . اما امى فهى على العكس .. شعرت بالضياع بعد أن هجرت امى .. وقد انغلقت على نفسى بعد ذلك بالرغم ان زوج أمى كان يمثل بالنسبة لى عاطفة رقيقة . واعتقد إننى كنت أحبه » .

وباتريشيا لم تكف عن الكتابة منذ ان بلغت الثامنة عشرة من عمرها . قرضت الشعر وكتبت المقالات والقصص القصيرة . ثم قررت أن تتجه الى كتابة الرواية . تسألنى لمـاذا اخترت قصة الجريمة لقد اختمرت الفكرة لذهنى دون مقدمات ، لم اكن قد قرات اية قصـة بوليسية (ومازلت حتى اليوم اجهل وقائع هذا الأمر (فلا اعرف آجاثا كريستى) أو (كونان دويل) ولكنى

افضل عادة قراءة تولستوى ودوستويفسكى . وهنرى جيمس).

كتبت فى أول الأمر روايتين وعندما عرضت ما كتبت على الناشرين لم توفق . الا أنها عندما كتبت (غريبان فى قطـار) لم تلق فى أول الأمر نفس الاقبال (ليست الأمور فى الولايات المتحدة مثلها فى فرنسا) فيجب الحصـول على مقدمة مناسـبة حول الخمسين صفحة الأولى من المسودة . وقد عرضت نصف الرواية لاننى فى حاجة الى نقود أدفعها الى صاحب المنزل . لكنهم لم يؤمنوا بعملية تبادل الجريمة بين بطلى الرواية .

وهذه الرواية تدور حول مجهول يركب قطارا . ويقترح على رفيق له ــ قابله فى القطـار ــ ان يتولى قتل امرأة . على أن يقوم هـذا المجهول بقتل أم الرفيق . ويذهب الاثنـان لتنفيذ الخطة . ينجح احدهما . أما الآخر فيفشل . وتكون نهايتـه القتل .

وقد اشترى المخرج (الفريد هيتشكوك) حقوق تحويل هذه الرواية الى فيلم خلال أسبوع من نشرها .

وقد لقى الفيلم نجاحا مماثلا للكتـاب . غمرت شـهرة باتريشيا هايسميث العالم كله وليس فى الولايات المتحدة وحدها . اصبحت معروفة داخل أوروبا واليابان . وعرفت بأنها أول روائية تمزج بين الانفعالات النفسية والأدب البوليسى (لست مؤلفـة روايات بوليسية) لاننى لا اهتم بأن أضع فيها التوتر أو الغموض، وكذلك رجال الشرطة . لكن سـلوك أحد المجرمين قد يسحرنى فجأة وهذا الأمر يمكن أن يسرى علينا جميعا . وذلك من حيث ظاهرة ردود فعله التى سـلكها . فان الحوار العـادى يصبح بالنسبة لى اكثر سحرا بمجرد ان المسه فى غرائزى . وهـذا هو دينامو رواياتى ..) .

الشخصيات الأدبية التى تصنعها باتريشيا هايسميث ذات مشاعر متوترة وليست لديها أية نية لارتكاب أية جرائم وتطحن من ظروف خارجة عنها . تتجسد فى روايتها (الرجل الذى يحكى قصصا) فيتخيل انه قد قام بقتل زوجته . وتزداد حدة التخيل لدرجة انه يبدأ فى التصرف كأنه قتل فعلا رغم انه لم يرتكب شيئا . الشك والارتياب .. والخوف من ان يكشفه الناس .. وفى (يوميات أديث) نرى البطل امراة على غير عادة بات . وتكرر هذا الأمر فى رواية أخرى هى (القتل للقتل) التى تتحدث عنها قائلة (أنا لا اخترع أحداثا .. ولكننى اقرأ الصحف من أول سطر الى آخر سطر . وهذه الصحف هى التى تلهمنى . ففيها يمكن أن تجد قمة الرعب اليومى . فالصحيفة هى مختارات من الحكايات المجردة لكننى انتهيت بأن آمنت إن القراء يترفعون عن تصديق الخيال أكثر من القصص الواقعية . مما جعلنى أؤمن ان الانسان كائن عبثى) .

واديث ليست امرأة مخيفة ولكنها على العكس . امرأة رقيقة . متزوجة . وام لطفل . وهى تنتمى الى البرجوازية الليبرالية التى تسعى الى تحقيق حلم قديم لديها بأن تسعى الى السكن فى احدى ضواحى نيويورك الفخمة . ويمكن اعتبار هذه الرواية انها عشرون عاما من حياة زوجة عصرية . او انها آلام وعذابات امراة تعيش داخل منزل . فاذا كانت الزوجة (فى الزنزانة الزجاجية) تصرح انها لا يمكنها التقاعد فى المنزل لانها اعتادت على العمل والخروج فاديث امراة أكثر سكونا واقل حركة. تعيش داخل نفسها . وتفكر فى ارتكاب أشياء غريبة . أى أن الوحدة تعتبر واقعا آخر لدى باتريشيا لممارسة الجريمة . ويمكن القول ان هذه الرواية قد كتبت بأسلوب رجل . ففيها نرى كم من العداء تكنه باتريشيا لنساء مثلها . فبعد أن ادانت

الزوجة فى الزنزانة . فانها من جديد تدين أديث . وحول هذا الأمر صرحت يوما : (أنا ببساطة امراة واقعية . فالمؤمنون بالمذهب النسائى لا يمارسونه . وأنا أؤكد على ذلك وأنا أعلن مساواة أجرهن فى العمل . لكنهن فى أغلب الأحيان يهتفن فى صحراء) .

وهذه الأديث هى امراة قريبة فى صفاتها الأنثوية الى باتريشيا (ليست برجوازية صغيرة) من هؤلاء اللاتى نسمع عنهن بأسلوب متواضع . فهى تكتب . وترسم . وتقوم بالنحت كما انها تهتم بالكثير من المشاكل السياسية . ذكية . رقيقة وربما مجنونة نوعا ما ، وهى تعيش حياتها الخاصة فبعد ان كان يعيش زوجها فى المنزل اشبه بشبح يتحرك هنا وهناك دون أدنى تاثير او تأثر لما يحدث . يتركها ويتزوج من سكرتيرته . اما خالها العجوز فقد عانى من مرض لمدة عشرة اعوام يحتضر خلالها . وابنها الصغير يعيش مع أمه .. لا يحس بها .. ولا يشاركها عالمها .. ولأديث عالمها الخاص فى المنزل . كما ان لها أصدقاءها وهى تعيش حياة وردية . وقد دونت أديث يومياتها طوال عشرين عاما بصدق غريب . لكنها تضطر يوما أن تكذب وتكتب فى هذه اليوميات أشياء لم تحدث قط .

واذا كانت باتريشيا تحتقر بنات جنسها من النساء فانها تعشق الحيوانات الى حد بعيد ففى روايتها (فأر فينيسيا) نرى ان لهذا الحيوان عيونا مضروبة . قد خرقها ذات يوم شابان صغيران ويعيش الفأر حياته الطبيعية بأسلوب فريد . يتنزه وحده فى شوارع فينيسيا ومياهها وقد ملأه الكبرياء يرقب عجوزين من السائحين . وشجاعة هذا الفأر تجلب له نوعا من الراحة النفسية ، ذات يوم يقع بين أيدى طفلين صغيرين . وهذان

الطفلان يشكلان جهنم لكنه يتمكن من الهرب من منزلهما ويعيش في مكان آخر .

وتعتبر قصة (يوم الغفران) أروع اقاصيص هذه المجموعة مزارع يربى الفراخ بأسلوب الكترونى منذ فترة طويلة داخل (اقفاص ضيقة للغاية) وهذا النوع من التربية الآلية تجعل المربى يصاب بسلوك غير آدمي . تحن زوجة الفلاح الى حياتها القديمة عندما كانت الدواجن تهرول في الفناء بحريتها . وقد أثر فيها موت ابنتها بعد حادث مفجع . فقد كانت الصغيرة تجرى وراء قطها مما جعلها تصاب من جهاز آلى اصابها فى عنبر الدواجن . وتصاب الأم باليأس والخجل . فتنتهز الليل كى تقوم بتحرير كل الدواجن التي اصابها مس من الجنون . فالانسان عند بات هو الذى يصنع الدم ويستبيح لنفسه دماء الآخرين .

وعن حبها للحيوان أيضا تكتب (فدية كلب) عام ١٩٧٧ حول كلب يعيش مع عائلة ثرية فى احدى ضواحي نيويورك . والكلب شغوف بالأعمال التى يمارسها أحد رجال الشرطة الشباب المثاليين وهو يكتشف شابا مسكينا مصابا بداء الانفصام النفسي . يدخل فى علاقة غريبة مع اناس يبثون الرعب فى قلبه . وبداية هذه الرواية تتسم بالسرعة والحركة ثم تمتلىء برتابة الحياة وروتينها .

وتعود باتريشيا كعادتها دائما الى التعاطف مع الطبقة البرجوازية فى (هذا الغريب السيىء) عام ١٩٦٧ . وفيها تتعرض لحياة ديفيد آخر . يعمل عاملا فى أحد مصانع ضاحية نيويورك . يعيش حياته العادية كأنها حياة خاصة . اعزب يقيم فى مسكن متواضع . ولا أحد يعرف حوله ان كان قد ارتبط بعلاقات عاطفية أو باصدقاء سوى فرنسوا زميله فى العمل الذى يقضى فيه اغلب أوقاته .

وفى العمارة التى يسكن فيهـا يعيش ايضا شوين صاحب العمارة الذى يعول والديه المريضين وفى الشقة التى أسفله تسكن فتاة جميلة تدعى جولييت . خجولة لا تتوقف عن مراقبـة هذا المؤدب الذى لا يحادثها قط . ويرحل ديفيد يوما الى الريف ليقوم برعاية أبويه . لكنـه لم يذهب الى هناك . كان أبواه قد ماتا منذ زمن طويل . وعندما تسعى جولييت الى معرفة سره تعرف انه يقضى أيام الآحاد فى مسكن صغير تخفيه الغابات .

اما اشهر شخصية صنعتها باتريشيا فهى توم ريبلى التى جسدتها فى اربع روايات هى (السيد ريبلى) و (ريبلى فى الظلام) و (ريبلى يتسلى) التى اخرجتها السينما الألمـانية بعنوان الصديق الأمريكى و (فى خطى ريبلى) . وريبلى هو شخص يسرق ويقتل من اجل ان يعيش فهو الذى يحرض جوناثان على ارتكاب جريمة قتل من اجل مصاحبته . وجوناثان ايضـا شخص من طبقـة متوسطة مثل بقية أشخاص بات . أصيب بمرض ويرغب جوناثان أن يقدم لزوجتـه وابنته ثروة طيبة تجعلهما يتمكنان من العيش الرغد بعد وفاته . ويلتقى يوما بشخص غريب يقص عليـه قصته فيطلب أن يقوم بقتل شخص لا يعرفه يسكن فى باريس على أن يعطيه ريبلى هذا كل ما يطلب من نقود كى تتمكن أسرته من الحياة الرغـدة .

وتقوم بين جوناثان وبين توم ريبلى علاقة غريبة . فكل منهما يود ان ينفذ اتفاق الآخر .. لكن جوناثان يصاب بعدة انهيـارات عصبية فى مترو باريس . لقد تأكد ان الشخص الذى سيقتله هو ايضا مثله انسان مريض فيقرر الا يفعل شيئا لا يجيده سـوى رجال محترفين . فهو لا يقبل أن يصبح سلاحا أصم وأعمى . آلة لا تستخدم سوى فى القتل واسالة الدماء .

والجدير بالذكر ان باتريشيا تعشـق المدن الأوروبيـة :

باريس ، برلين ، هامبورج ، فقد تركت نيويورك عــام ١٩٦٨ لتستقر بصفة نهائيــة فى باريس . واذا كانت مرجريت يورستار قد هاجرت من فرنسا كى تقيم فى الولايات المتحدة داخل جزيرة معزولة قريبــة من الصحراء . فان باتريشيا فعلت العكس .

اما المــانيا فقد عاشت فيها كثيرا ولها هناك أصدقاء كثيرون. وانتجت السينما الألمــانية فيلمين مأخوذين عن أعمالها . ميونخ مدينة رقيقة تختلف عن باريس ولندن . وفيها يوجد كل الجيل الذى يمثل السينما الألمــانية .

واذا كان جورج سيمون اشهر روائى للشكل البوليسى فى فرنسا قد كتب اكثر من اربعمائة وخمسين رواية فضــلا عن مذكراته التى نشرها فى عشرة اجزاء طويلة . فان باتريشيا تختلف عنه كثيرا (إنا بطيئة . أقل احترافا . احــاول أن أكتب ثمانى صفحات . وعندما أكتب رواية .. فاننى أكتبها مرتين أو ثلاث) .

وقد ارتبطت بات بالكثير من أبناء جيلها من الأدباء فى الولايات المتحدة واوروبا (قابلت فى الولايات المتحدة الكثير من الأدبــاء ترومان كابوت . كارسون ماكلورز ومارى ماكارثى . وفى فرنسا قابلت جورج بيربلى . وفى انجلترا قابلت جرهام جرين) .

وهــذه الرواية :

فيليب كارتر مهندس لامع ، تسببت سذاجته وحســن نيته فى دخوله السجن بدلا من رجل آخر ، فقد عمل مع مقــاول يدعى فيليب بالمر بنى مدرســة لحساب شركة تريومف للانشاءات ويديرها رجل اســمه دركسل مع نائبه المدعو جاويل . ودارت اشاعات حول مدرســة بنتها الشركة واستخدم فى بنائها مواد رديئة ، وكشف التحقيق عن اختلاس مبلغ ٢٥٠ر٠٠٠ دولار ، واتهم كارتر باختلاسه .

وبعد ست سنوات من العذاب وادمان الأفيون يخرج رجلا آخر لا يمكن لأحد ان يتوقع ردود فعله ، خاصـــة وان جاويلى ظل يزوره فى السجن مثيرا حفيظته ضد صـــديقه دافيد سوليفان ومتهما اياه بأنه عشيق زوجته .

ورواية زنزانة من زجاج وصف قاس للحياة فى الســـجون الأمريكيـــة .

سميحة عبد العزيز

- ١ -

بدأ المساجين بسجن الدولة يعودون من الورش فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين . وراحت حشود الرجال فى ثيابهم غير المكوية ، بلون الورد ، وعلى ظهر كل منهم رقم ، ينطلقون عبر الممر الطويل للعنبر رقم ١ ، وهمهمة من الأصوات الصماء ترتفع من صفوفهم ، رغم ان ما من أحد منهم يبدو انه يوجه الحديث لأى من جيرانه . كانت همهمة جماعية غريبة ، لا اتساق لها ، افزعت كارتر اول يوم ، بل انه كان لايزال جديدا لكى يتصور انها اشارة مسبقة لتمرد ، ولكنه قبلها الآن كما لو كانت احدى خصائص السجن ، أو ربما السجون عامة . كانت ابواب الزنزانات مفتوحة فى الطابق الأرضى وفى الطوابق الأربعة التى تعلوه . وراح الرجال يلجونها حتى اللحظة التى أصبح فيها الممر يكاد يكون مقفرا . كان مسموحا لهم بخمسة وعشرين دقيقة للاغتسال فى حوض الزنزانة ، واستبدال من يشاء قميصا ، اذا كان لديه قميص نظيف ، أو كتابة خطاب أو الاستماع عن طريق سماعات الأذن الى الموسيقى اذا كان الراديو لايزال يبثها فى تلك الساعة ، فجرس العشاء يدوى فى الساعة الرابعة .

تقدم فيليب كارتر فى بطء ، وهو يخشى منظر جاره فى الزنزانة : هانكى . كان هذا الأخير رجلا قصير القامة ، متين البنية ، يقضى حكما مدته ثلاثون عاما بسبب السطو المسلح

والقتل ، ويبدو انه كان يزهو بذلك ، ولم يكن يحب كارتر ، ويعتبره متعجرفا . وكانت قد وقعت بينهما بعض المشادات الصغيرة فى التسعين يوما التى مرت بكارتر فى ذلك السجن مثال ذلك : لاحظ هانكى أن كارتر لم يكن يروق له أن يستخدم المرحاض الوحيد فى الزنزانة ، وهو مرحاض من غير كرسى ، ولهذا كان يتعمد هو نفســه ان يستخدمه بطريقة صاخبــة وفظــة بقدر ما يستطيع . ولم يعلق كارتر اى اهتمام على ذلك فى البداية ، ولكنه منذ عشرة أيام ، وعندما اصبحت الدعابة سمجة صــاح به : أوه .. بالله كف عن هــذا يا هانكى . وغضب هانكى ورماه بكلمة نابية ، ولوح كل منهما بقبضته وهما بأن يتلاحما لولا أن رآهما أحد الحراس وفرق بينهما .

تجنبه كارتر بعد ذلك وراح يعامله بكل ادب وهدوء . فيناوله سماعات الأذن اذا كانت قريبة منه ، أو يقدم له منشفته أو أى شىء يكون الآخر بحاجة اليه . وكانت الزنزانة بسريريهما ضيقة جــدا بحيث لا يستطيع الاثنان التحرك فيها بسهولة ، بحيث تم بينهما الاتفــاق بأنه اذا وقف احدهمــا يبقى الآخر مستلقيــا ولكن جاءه محاميه توتنج ذلك الأسبوع بنبأ سيىء ، فلن تعاد محاكمته . ولما كان قد مرت به تسعون يوما فقد استبعد صدور العفو عنه وادرك ان بقاءه سيطول فى تلك الزنزانة ، برفقة هانكى وروض نفســه على أن لا يكون عدوانيا أو متباعدا ، فقد كان الجو بينهما كريها ، ولم يكن ذلك مجديا . وفى يوم الجمعة المــاضى التوت قدم هانكى وهو يقفز من الشاحنة التى تمضى بالمساجين الى المزرعة ثم تعود بهم ، وقــال كارتر لنفســه انه يستطيع أن يستفسر عن انباء تلك القدم .

كان هانكى جالسا على حافة فراشه ، وهو الفراش السفلى ، يلعب بمجموعة من ورق اللعب غير كاملة وقذرة .

تحول كارتر اليه ونظر الى كاحله المضمد وسأله : كيف حال قدمك اليوم ؟ ثم فك أزرار قميصه ومضى الى الحوض ، فى حين أجابه هانكى :

ـ أوه ، بين بين . مازلت لا إستطيع ان أمشى عليها . .

ورفع المرتبة واخرج علبتين من السجائر كان قد اخفاهما . ورآه كارتر فى اللحظة التى اعتدل فيها . وجفف نفسه بالمنشفة الخشنة . لم يكن هانكى يدخن ، وكانت الحصة المسموح بها لكل سجين أربع علب كل أسبوع يشتريها من ماله الخاص . وكان السجين يحصل على اربعة عشر سنتا فى اليوم ، وثمن علبة السجائر الواحدة اثنين وعشرين سنتا . وكان هانكى يحتفظ بحصته ويبيعها بعد ذلك محققا بعض الربح . وكان الحراس على علم بذلك ويغمضون اعينهم لأن هانكى كان يمنحهم من وقت لآخر علبة سجائر ، بل وفى أكثر الأحيان دولارا .

ـ ارجو ان تسدى لى خدمة يا كارتر .. .. خذ هذه العلبة الى رقم ١٣ بهذا الطابق وهذه الى رقم ٤٨ بالطابق الثالث .. علبة لكل منهما ، فلا أقوى على السير حتى هناك . والثمن مدفوع .

قال كارتر : حسنا .

وأخذ العلبتين فى يده وخرج من الزنزانة وهو يربط أزرار قميصه .

كانت الزنزانة رقم ١٣ تبعد عنه بزنزانتين وعلى الفراش السفلى كان يجلس زنجى ، سأله كارتر :

ـ هل تريد سجائر ؟

تقلب الزنجى على جانبه المعروق وأخرج من جيبه قصاصة

من الورق ، وبأصابعه السـوداء المتصلبة دفع ايصال هانكى بين يدى كارتر .

دس كارتر الايصال فى جيبه ، والقى علبة السجائر على الفراش وخرج . ومضى حتى آخر الممر حيث السلم . واسرع الحارس المعروف باسم مونى ، واسمه الحقيقى مونان الخطـا ، وقطب حاجبيه عندما وصـل أمام كارتر ، وكانت علبة السجائر لاتزال بين يدى هـذا الأخير ، وادرك ان مونى رآها .

ازدادت تقطيبة مونى وقال :

ــ هل توزع السجائر الآن ؟ اعتقد انك لن تلبث أن توزع اللبن والجرائد أيضا .

ــ اننى اقوم بذلك من اجل هانكى ، فقد التوت قدمه .

ــ اعطنى يديك .

انتزع مونى الأصفاد المثبتة فى حزامه وعاد يقول :

ــ يداك .

وبسط كارتر يديه .

اطبق مونى الأصفاد على يديه فى حركة جافة . ورأى كارتر فى نفس الوقت ، من فوق كتف مونى سجينا بدينا بوجهه نمش ينظر الى المنظر فى شيء من السرور . حسب كارتر قبل ذلك بثوان أن مونى يريد المداعبـة ، فقد رآه يفعـل ذلك مع هانكى مرارا كثيرة ، بل انه رآه يلوح بمطرقته نحو هانكى متظاهرا بالتهديد ، ولكنه راى الآن ان مونى لا يمزح ، فقد كان لا يحبه ، وكان يدعوه « الأستاذ » . وقال له :

ــ تقدم حتى آخر العنبر .

دوى صوت مونى قويا . وبينما كان يتكلم مع كارتر خيم الصمت على كلّ من الزنزانتين الواقعتين على اليمين وعلى الشمال، ولم يلبث ان انتقل الى الطابق الأرضى كله . وسار كارتر ، ومونى خلفه وكانت هناك درجتان فى آخر الممر تفضيان الى الطابق الأول، والأبواب ذات القضبان الحديدية للمصعد الذى لم يره كارتر مفتوحا الا مرتين أثناء صعود بعض المرضى الى المستشفى ، وبابان سميكان بقفلين كبيرين فى جدار حجرى . واحد هذين البابين يفضى الى « الجحر » . ومر مونى أمام كارتر ، واخرج حلقة المفاتيح الضخمة من جيبه .

سمع كارتر همهمة جماعية صماء ترتفع من الزنزانات ، اشبه بدوى الرعد . وقال شخص فى صوت هادىء بحيث أدرك كارتر أنه صوت حارس ، حتى قبل أن يلقى نظرة خلفه :

ـ ما الخبر يا مونى ؟

أجاب مونى :

ـ ضبطت مهندسنا العظيم وهو يوزع سجائر .

ثم اردف يخاطب كارتر :

ـ اهبط .

توقف كارتر بعد بضع درجات . كان قد سمع عن « الجحر » ، وحتى لو بالغ المساجين ، وكان متأكدا من ذلك فقد كان « الجحر » حجرة تعذيب .

وقال :

ـ اسمع .. ان عقوبة مثل هذا الذنب ، وأعنى اسداء خدمة لهانكى لا تستوجب غير بعض التوبيخات .

راح مونى وشرنيفر ، وهو الحارس الذى أقبل ، يضحكان فى شيء من التكبر ، كما لو ان الملاحظة التى ابداها كارتر صدرت من مخبول .

وقال مونى :

ـ تقدم . انك استوجبت حتى الآن توبيخات لا يمكننا ، لا انا ولا إنت ، ان نحصيها .

افلح كارتر فى الاحتفاظ بتوازنه ، واستمر يهبط الدرجات وهو يحرص كل الحرص على المكان الذى يضع فيه قدميه لأنه لو وقع فلن يستطيع النهوض بسهولة والأصفاد فى يديه . كان قد سبق أن وقع فى اول يوم لقدومه بالسجن . ولكن فى ذلك الوقت كانت الأصفاد مثبتة فى حزام متين من الجلد . وصحيح انه سبق أن ارتكب حماقات كثيرة ، غير ان ذلك كان يرجع غالبا الى انه لم يكن يعرف ما يجب ان يفعل وما لا يجب . كان السجين يستحق اللوم اذا خرج من الصف عند الذهاب الى قاعة الطعام ، او اذا لم يقل « عن اذنك » او اى شيء آخر وهو يمضى الى الورش . ولكنه لا يستحق اللوم عند عودته منها ، ويستحقه اذا مشط شعره فى اوقات معينة ، او اذا أطال النظر الى زائر ، رجل غريب مثلا أو امراة ، من خلال القضبان الحديدية المزدوجة فى آخر العنبر رقم ١ . وقد حرم كارتر من رؤية زوجته أربع مرات كل يوم أحد بسبب استحقاقه لتلك التوبيخات ، وقد احنقه ذلك الأمر لأن الخطابين اللذين يسمح له بارسالهما الى هازل كل اسبوع كان يرسلهما قبل ان يتمكن من نصحها بعدم المجيء فى ذلك الأحد لأنها لن تستطيع ان تراه . لم يكن هناك فى اى مكان لائحة يمكن لأى سجين ان يعرف منها ما يجب تجنبه لتحاشى المخالفات التى تستحق اللوم . وقد استفهم كارتر من مساجين كثيرين عن الطرق التى يمكن ان يتفادى بها اى لوم ،

وسمعهم يذكرون ثلاثين أو اربعين طريقة ، فان الحراس لا يتورعون عن اختلاق اى سبب . وقال كارتر يحدث نفسه انه سوف يقضى الآن اربعا وعشرين ساعة أو ربما ثماني واربعين فى الحبس الانفرادى ، فى الظلام . واخذ نفسا طويلا محاولا ان يتقبل الأمر بهدوء ، فلن يدوم ذلك الى الأبد ، وما أهمية أن تضيع عليه ثلاث او اربع وجبات مع رداءة الطعام الذى يقدمونه فى السجن . ان الشيء الوحيد الذى يقلقه هو عدم استلامه رسالة هازل اليومية التى تصله فى زنزانته فى نحو الساعة الثالثة والنصف .

أحس كارتر بالأرض تميد تحت قدميه . وكانت هناك رائحة غريبة بعض الشيء ، ورائحة اخرى مألوفة وهي رائحة العفن والبول .

كان مع مونى مصباح كهربى ، ولكنه كان يستخدمه لكى يهتدى به هو وشرنيفر فى خطواتهما ، تاركا كارتر يتقدمه فى الظلام . ولم يلبث أن تبين على يمينه وعلى يساره أبواب الزنزانات التى سمع عنها ، وهى الجحور الضيقة السوداء التى لايمكن أن يبقى فيها واقفا ، وامام كل باب درجة مرتفعة بحيث لابد من الزحف لدخولها . وتذكر كارتر ان السجن قد بنى فى سنة ١٨٦٩ ، وان تلك الزنزانات هى المبانى الأصلية وان هذا الجزء من السجن لم تمتد اليه يد التجديد ، كما امتدت « كما يقال » الى باقى السجن .

وقال شرنيفر يسأل فى صوت خافت : الأنبوبة ؟

ــ بل شيء اكثر قوة .. ها نحن قد وصلنا . قف .. ادخل .

انهم الآن امام زنزانة ليس لها باب على الاطلاق . زنزانة مدخلها مرتفع جدا ، وسمع كارتر وهو يدخلها انينا صادرا من

الزنزانة المجاورة .. انين اشبه بتذمر يشوبه شخير وتتابع . وكان معنى هذا ان هناك على الأقل انسانا فى الزنزانة المجاورة ، وقد شجعه ذلك . وكانت الزنزانة فسيحة بالمقارنة الى تلك التى يشغلها هو وهانكى ، ولكن لم يكن بها فراش أو مقعد أو مرحاض، وانما حفرة صغيرة كالبالوعة ، حفرة مستديرة فى الأرض فى منتصف الزنزانة . وكانت الجدران من المعدن وليست من الطوب، لونه يميل الى السواد ، وقد بدا الصدا يأكله فى بعض الأماكن. ولحظ كارتر فجأة سلسلتين سوداوين تتدليان من السقف وتنتهى كل منهما بأنشوطة .

وقال مونى :

ــ اعطنى يديك .

بسط كارتر يديه . ونزع مونى الأصفاد وقال :

ــ هل لك أن تبحث لى عن مقعد يا شرنى ؟

اجاب شرنيفر :

ــ طبعا ، وخرج وهو يضىء مصباحه الكهربى ، وعاد ومعه منضدة صغيرة مربعة وضعها تحت السلسلتين وقال مونى :

ــ اصعد .

صعد كارتر ، وصعد مونى خلفه . ورفع كارتر ذراعيه قبل أن يطلب منه مونى ذلك . وكان الحزامان من الجلد المبطن بالكاوتشوك ويلتحمان بأبزيم .

وقال مونى :

ــ اعطنى ابهاميك .

رفع كارتر ابهاميه مذعنا . وادرك عندئذ بكل بشاعة نية

مونى ، فقد ثبت هـذا الأخير الحزامين بين المفصل الأول والمفصل الثانى من كل ابهام من ابهاميه ، ثم ربط الأبزيمين مشددا الضغط. وكان بالحزامين ثقوب متعددة بين كل منها نحو اكثر من سنتيمتر على امتداد طولهما .

وهبط مونى وقال :

ــ ادفع المقعد بقدمك .

كان كارتر معلقـا عاليا جدا بحيث ان طرفى قدميه يكادان يمسان المقعد ولا يستطيع أن يدفعه كما قيل له . فدفع مونى المقعد بقدمه الى أمتار بعيدة أمام كارتر ثم قلبه بحيث أصبح معلقا فى الهواء واحس بالدم يتدفق نحو أطراف ابهاميه ، وكان موليا ظهره للحارسين ، وتوقع أن يتلقى بعض الضربات .

ضحك مونى ثم ركله احد الحـارسين فى فخذه فراح يتأرجح الى الأمام والى الخلف متوترا بعض الشىء . ثم تلقى ضربة فى بطنه فتغلب على الـمه وكتم انفاسه ، وتصبب العرق من اذنيه وسال حتى فكه . وزاد الطنين فى اذنيه ، وتصـاعدت الى منخريه رائحة السجائر ، وتساءل ان كان هناك وقت محدد لمثل هـذا العذاب .. ساعة مثلا ، أو ساعتين ؟ كم من الوقت مضى عليـه حتى الآن ؟ .. ثلاث دقائق ؟ خمس عشرة ؟ .. واشفق أن يصرخ بعد لحظات وحدث نفسه قائلا : لا تصرخ فسوف يغتبط هذان الوغدان بذلك . وراحت بعض العضـلات تهتز فى مكان ما من ظهره . واصبح من الصعب عليه أن يتنفس ، وخطر له فى لحظة عجيبة انه يغرق وانه فى المـاء وليس معلقا فى الفضاء ، ثم ازداد طنين اذنيه بحيث غطى على صوت الحارسين .

ضربـه شىء فى ظهره ، وتدفـق المـاء أمامه على الأرض ، ووقع دلو محدثا دويا شديدا ، وبدأ كل شىء يمر فى بطء شديد ،

واحس بانه ازداد ثقلا ، وتصور أن الحارسين قد تعلقا بساقيه . وتمتم يقول :

ــ اوه ... هازل !

وقال احد الحارسين :

ــ هازل ؟

ــ انها زوجته . وهو يتلقى منها رسالة كل يوم .

ــ لن يتلقى منها شيئا اليوم .

احس كارتر بأن عينيه تخرجان من محجريهما ، وحاول أن يغمز بجفنيه . خامره احساس بأن مقلتيه قد جفتا وتضخمتا ، وان هازل تمشى بعصبية جيئة وذهابا فى زنزانته ، تدعك يديهـا وتنظر اليه من وقت لآخر ، وتقول له شيئا لا يسمعه ، ثم تغير المنظر ووجد نفسه فى المحكمة . مات والاس بالمر ولكن ماذا تظن انه فعل بالنقود .. هيا يا مستر كارتر .. أنت رجـل ذكى ، وحائز على شهادتك الجامعية .. ومهنـدس نيويوركى ، تعرف الحياة ولا يمكن ان توقع على أوراق دون أن تعرف مضمونها .. بل كنت اعرف على ماذا اوقع .. ايصالات وفواتير .. لم يكن من شأنى ان أعرف الثمن الحقيقى للأدوات ، فان بالمر هو المقاول وكان من الممكن ان يزيد الأسعار بعد ان أوقع على الفواتير .. كنت اعرف أن المواد من نوع ردىء ، وقد قلت له ذلك . أين النقود يا مستر كارتر ؟ أين المائتان والخمسون الفدولار ؟ .. ثم كانت هازل بالباب تقول بصـوتها الواضح : كان لدى انـا وزوجى حساب مشترك دائما فى البنك .. لم يكن بيننا اسرار أبدا فيما يتعلق بالنقود . وصاح :

ــ « هازل » ثم انتهى كل شىء .

القيت فوقه دلاء كثيرة من المـاء .

خيل اليه أنه يسمع خلفه غناء وضحكات ثم ساد الصمت وأصبح وحده من جديد . وأدرك أن الغناء لم يكن الا نبضات دمه هو بالذات فى أذنيه . وخيل اليه أن ابهاميه قد اصبح طولهما اكثر من خمسين سنتيمترا الآن لطول تمددهما . لم يمت وانما بالمر هو الذى مات .. بالمر الذى كان بمقدورهم اجباره على الكلام لو أنه كان لايزال على قيد الحياة .. وقع بالمر من فوق سقالة ، من ارتفاع طابقين ، بجوار خلاط الأسمنت . وقد اكتمل بناء المدرسة الآن ، ورآه كارتر .. لونه أحمر غامق ومن ثلاثة طوابق يرفرف فوقه علم أمريكى . كان البناء قائما ولكنــه كان مبنيا من مواد رديئة . لم يكن الأسمنت جيدا والأنابيب لا تقوم بعملها كما يجب ، وبدأ الجبس يتشقق قبل أن تنتهى عمليــة البناء بالذات . وتحدث كارتر عن مسألة المواد مع جاويل وبالمر . ولكن هذا الأخير قال له ان الأمر على أتم ما يكون ، وان هذه هى رغبة العميل ، وأن مجلس ادارة المدرســة يبغى التوفير وانه لا يعنيه اذا كانت مواد البناء من نوع جيد أم لا . وقالت لجنــة الأمن ان الأطفال لا يجب ان يضعوا أقدامهم فى تلك المدرســة وانهــا يمكن أن تقع فوق رؤوسهم ، وأن مجلس ادارة المدرسة لم ينشد اى توفير ، وانه دفع للحصــول على الأجور . واذا كان الأمر كذلك فمن هو المسئول ؟ كان المسئول والاس بالمر ، وربما بعض أعضــاء شركة تريومف للبناء ، الذين حصلوا على نصيبهم من ال ٢٥٠ الف دولار . وما كان جاويل مثلا يجهل ما يدور . ولكن فيليب كارتر كان كبير المهندسين ، واقربهم صلة بالمقاول بالمر ، وهو ليس من البلد وانما هو من نيويورك .. رجل ذكى ، قرر أن يغتنى على حساب أهل الجنوب .. رجل يمتهن مهنة حرة خان شرف مهنتــه وثقتها ، وقررت الدولة عــدم التســاهل معه ،

وقال المدعي العام : فلتبق المدرسة مكانها ، خالية ، حتى تأتى اول هبة ريح وتودى بها ، فهذا عار .. وعار للدولة كلها .

أقبل رجلان وانزلا كارتر . وارتطمت رأسه بالأرض . وبذل الرجلان وسعهما لحمله ولكنهما لم يفلحا ، فتركاه مكانه وانصرفا وهما يسبان . واحس كارتر بالغثيان . ولكنه لم يتمكن من افراغ ما فى بطنه . وعاد الرجلان ومعهما محفة . وكانت رحلة طويلة خلال ممرات لم يرها كارتر تقريبا لأن عينيه كانتا مطبقتين تقريبا ، وصعدا سلالم وسلالم لا نهاية لها .. مونى ورجل آخر .. نسى اسم ذلك الرجل .. حارسا مساء الأمس . وصعدا فى غير حرص بحيث كاد ينزلق من فوق المحفة . ثم كانت هناك ممرات اخرى ، اكثر ضيقا ، حيث المساجين . وقد عرفهم كارتر من ثيابهم السمراء ، وبعض الزنوج من المساجين هم الآخرون ، ينظرون اليهم وهم يمرون فى صمت . ثم كانت هناك رائحة صبغة اليود والمطهرات . دخلوا العيادة ووضعوا المحفة فوق منضدة صلبة ، وتمتم صوت بشىء فى غلظة وغضب . وراق ذلك الصوت لكارتر . واجابه مونى قائلا :

ـ انه لا يحافظ على النظام ابدا .. ابدا .. ماذا تريد ان نفعل مع مثل هذا الرجل ؟ .. اود ان اراك مكانى يا سيدى . حسنا ، يمكنك أن تتحدث مع مأمور السجن فى ذلك ، فانا أيضا لدى ما اريد ان اقوله .

وتكلم الطبيب مرة اخرى وهو يمسك بمعصم كارتر : انظر الى هذا .

ـ وماذا تريد ؟ اننى رأيت اسوأ من هذا .

ـ كم من الوقت بقى معلقا ؟

ـ لا ادرى ، فلست انا الذى علقه .

ـ ليس أنت .. ومن اذن ؟

ـ لا ادرى .

غسل رجل يرتدى سترة بيضاء وجه كارتر بقطعة كبيرة من القماش المبتل ، وسكب على لسانه بضع قطرات . وقال الطبيب :

ـ مورفين يا بيت .. جرعة كبيرة ؟

وشمرا كمه وحقناه . وبدأ الألم يتراجع بسرعة ، كموجة ترتد وبحر يجف .. كما لو فى الجنة . وغم رأس كارتر طنين مريح كموسيقى راقصة خفيفة ، بينما بدأوا يهتمون بيديه ، وغرق فى النوم أثناء ذلك .

- ٢ -

عندما استيقظ كارتر كان راقدا على ظهره فى فراش ابيض صلب ، وتحت راسه وسادة ، وذراعاه ممدودتان فوق الأغطيـــة وابهاماه كتلتان ضخمتان من الشاش بضخامة باقى يديه . وكان الفراش الذى على يساره خاليا ، ويرقد على الفراش الذى على يمينه زنجى براس مضمدة . وعاد الألم الى ابهاميه من جديد ، وادرك أن هــذا الألم هو الذى ايقظه .. كان المـا فظيعـا ، وتملكه الخوف .

نظر بعينين متســـعتين الى الطبيب ، وكان يقترب منه ، واذ ادرك انه يبدو عليه الرعب طرفت عيناه . وابتسم الطبيب ، وكان رجلا قصيرا ، أسمر ، فى الأربعين من عمره ، وقال يسأل كارتــر :

ـ كيف حالك ؟

ـ ابهاماى يؤلمـانى .

أوما الطبيب وهو لايزال يبتسم فى غموض وقال :

ـ لقد أصيبا بضرر كبير .. سوف نعطيك حقنة أخرى .

ونظر الى ساعته ، وقطب جبينه شيئا ما ثم ابتعد ، وعندما عاد ومعه الحقنة سأله كارتر :

ـ كم الساعة ؟

ـ منتصف السابعة . انك نمت نوما هادئا (ودخلت الحقنة في ذراعه وبقيت بضع دقائق) الا تريد أن تأكل شيئا ؟ .. قبل أن تحدث الحقنة مفعولها ويغلبك النوم ؟

لم يرد كارتر . رأى من خلال زجاج النافذة أن الساعة منتصف السابعة مساء ، وسأل :

ـ فى اى يوم نحن ؟

ـ يوم الخميس . اتريد بيضا مخفوقا ؟ .. وخبزا مقددا ؟ اظن انه لابد لك أن نكتفى بهذا ؟ .. ايروق لك ان تتناول شرابا مثلى ؟

فكر كارتر فى غمار تعبه ان ذلك الصوت هو اعذب وارق صوت سمعه منذ دخوله السجن .. بيض مخفوق ؟

ازيلت ضماداته بعد أن قضى يومين فى المستشفى ، وخيل اليه ان ابهاميه قد تضخما واستحال لونهما الى اللون الوردى الفاقع ، وانهما ليسا ابهاميه ، وليسا جزءا من يديه . كان ظفر كل منهما صغيرا جدا فى كتلة اللحم . ولم تخف آلامه . كانوا يحقنونه بالمورفين كل اربع ساعات ، وود لو تزداد تلك الحقن . وحاول الطبيب أن يكون مطمئنا ، ولكن كارتر لاحظ تماما انه قلق لأن الألم لا يخف . وكان معروفا باسم الدكتور ستيفن كاسينى .

ولم يسمح له بأية زيارة يوم الأحد ، ولم يكن ذلك بسبب لوم أو توبيخ ، وانما لأنه كان فى المستشفى .

تصور الذن فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم الأحد ، عندما بدأت الزيارة ، هازل واقفة فى الردهة الكبيرة ،

فى الطابق الأرضى ، تؤكد أنها اقبلت لكى ترى زوجها وانها لن تنصرف ما لم تره . وكان الدكتور كاسينى قد كتب لها خطابا املاه كارتر عليه هربه الدكتور بطريقة ما يقول لها فيه انها لن تستطيع أن تراه . ولكن كارتر لم يكن واثقا انها تلقت ذلك الخطاب يوم السبت ، وكان يعرف أنها حتى اذا كانت قد تلقته فسوف تاتى لأنه يقول لها فيه انه أصيب بجرح طفيف فى يديه . بيد أنه كان يعرف أيضا انها ستغلب على أمرها أخيرا امام الأبواب الحديدية الضخمة ورجال البوليس فى زيهم الرسمى الذين يتحققون من شخصية الزائرين وأوضاع المساجين . وتلوى فى فراشه ازاء هذه الفكرة ودفن راسه بقوة فى وسادته الصلبة .

واخرج خطابى هازل الأخيرين من تحت الوسادة وأعاد قراءتهما وهو ممسك بهما بين أصابعه :

« حبيبى .. تيمى يتحمل الموقف بصورة لا بأس بها ، فلا تقلق من أجله . وانا انصحه كل يوم واتدبر امرى لكى لايبدو الأمر كما لو كان نصيحة ، فان الأولاد الآخرين بالمدرسة يستثيرونه ، واعتقد أن الطبيعة البشرية لن تكون كذلك اذا هم لم يفعلوا » .

وفى الخطاب التالى :

« قضيت أكثر من ساعة مع مستر ماجران الذى رشحه دافيد لكى يحل محل توتنج . وهو يروق لى كثيرا ، فيبدو مما يقول انه ذكى ومتفائل وان لم يكن كما كان توتنج بحيث بدات اشك فى الأمر . ومهما يكن فان توتنج قال انه ليس هناك ما نفعله اكثر مما فعلناه ، كما لو أنه لا توجد محكمة عليا . ولكننى لا اريد ان ارى توتنج يلجأ اليها . وقد انتهى بى الأمر الى اننى سددت بقية حسابه وأعطيته الخمسمائة دولار المتبقية

من اتعابـه . وعليه ، واذا وافقتنى فيمـكن لماجران ان يتولى القضية . وقد قال لى ان تقديم التماس الى المحكمة العليا سيتكلف ثلاثة آلاف دولار ، وانت تعرف اننا نستطيع ان نواجه ذلك ، ولكنه يريد ان يراك فى اقرب وقت . اوه يا عزيزى .. اننى لقيت الكفاية من ذلك النظـام الذى يستقبلوننى به كل يوم احد ، واعنى أن المخالفـات التى تصـدر من السجين رقم ٣٧٧٦٥ لا تسمح بزيارته هذا الأسبوع . وقد قلت لى ان ذلك بسبب خروجك من الصف لكى تمضى الى قاعة الطعام ، فحـاول يا عزيزى أن تلتزم بقوانينهم السخيفة .

« سيكتب ماجران الى المحـافظ مباشرة ، وسيرسل اليك صورة من خطابه . ولا يجب على الخصوص ان يتملكك القلق فاننى اعرف ان هـذه الحال لن تدوم الى الأبد ، بل لن تدوم الى وقت طويل .. من ست سنوات الى اثنتى عشرة سنة ! بل لن تدوم ستة شهور » .

حدث كارتر نفسه فقال ان ماجران سيطلب ثلاثة آلاف دولار على الأقل ، وبالاضافة الى الثلاثة آلاف التى سيتكلفها الالتماس الى المحكمة العليـا فسـوف يستنفد ذلك ما لديهما من نقود سائلة .. بدت كل الأرقام هائلة ، وقال ذلك مبلغ الكفالة وقدره ٧٥٠٠٠ دولار ولم يتمكنا من جمعه طبعا . ولم يشأ كارتر ان يلجأ الى عمته ادنا . ثم ان منزلهما وقيمته خمسة عشر الف دولار كان مرهونا ، وسيارتهما تساوى الفـا وثمانمائة دولار ، ولكن هازل بحاجة اليها لقضـاء احتياجاتها ولقطع السبعة والعشرين كيلو مترا كل يوم احد لزيارته ، أو لمحـاولة زيارته على الأقل .

ولكن ها هو قد انخلع ابهاماه . وهذا امر حقيقى وسخيف . وقد أطلق الطبيب على ذلك اسما آخر . ولكن الحقيقة انهمـا انخلعا ، والعمليـة الجراحية نتائجها مشكوك فيها كرأى الدكتور

كاسينى ، والسجن الذى اعتقد كارتر انه لن يقضى فيه غير بضعة اسابيع ، وانه سوف يحتمله ولن يكون مرحلة خطرة فى حياته قد وسمه الآن الى الأبد ، فلن يستطيع ان يثنى مفصليه الأماميين وسوف يكون بينهما نوع من الفراغ . سيكون لابهاميه منظر غريب، ولن يستطيع استخدامهما فى لعب البريدج او فى برى قلم أو فى صنع قوس وسهم لتيمى . على ان تيمى لن يهتم بالأقواس والسهام طالما هو فى السجن . وقد كتب لهازل فى ذلك اليوم ، وهو يوم احد ، بعد أن ازيلت ضماداته ببضع ساعات ممسكا بالقلم بيد مضطربة بين ابهامه وأصبعه الوسطى ، واضطر أن يروى لها ما حدث رغم فداحته ، ليفسر لها غرابة خطه ، ولكنه خفف من الأمر قائلا ان ذلك لم يدم غير بضع ساعات بدلا من ثمان واربعين ساعة . لقد تشوه ابهاماه الى الأبد بسبب لا يفهمه تماما ، لأن رجلا يدعى هانكى يحقد عليه . ولماذا ؟ لأنه رفض ان يريه صورة هازل ؟ هل الك زوجة هل معك صورة لها ؟ .. ارنى اياها .. طلب منه هانكى ذلك فى أول يوم التقيا فيه . وقال له كارتر بقدر ما استطاع من رفق : أوه .. فيما بعد .. أو ليس معك صورة لها ؟ ربما كانت هذه هى الفرصة لكى يريه الصورة ، فلعله يهدأ . ولكنه لم ينتهز تلك الفرصة . كانت صورة هازل فى جيبه ، وكان قد اقتطعها من صورة مكبرة بالألوان. كانت تقف وسط الثلوج ، أمام مسكنهما بنيويورك ، بالشارع السابع والخمسين شرقا ، بدون قبعة . وشعرها الأسمر يتطاير حول وجهها . كانت تضحك وفى عينيها ابتسامة رائعة . كانت هى السبب فى ان كارتر يفضل تلك الصورة عن غيرها . وتساءل اى سرور يمكن لذلك الخنزير هانكى أن يستمتع به وهو ينظر الى صورة امرأة ترفع ياقة معطفها الفرو حتى ذقنها .

وفى نحو الساعة الرابعة من يوم الأحد ، اقبل الدكتور

كاسينى لزيارة الأربعين مريضا الذين يرعاهم ، وعندما جاء دور كارتر قال له :

ـ حسنا يا كارتر .. الا تحاول ان تخطو بضع خطوات ؟

اجابه كارتر وهو يجلس فى فراشه :

ـ طبعا يا دكتور .

واحس بألم يعتريه فى ظهره كالبرق ولكنه تغلب عليه وكتمه . وترنح عند أسفل الفراش ، واضطر أن يمسك باليد التى بسطها له الطبيب لكى لا يفقد توازنه .

ابتسم الدكتور كاسينى وهز راسه وقال :

ـ انت لا تهتم الا بابهاميك ، ولكن هل تعرف ان الانشوطتين اللتين كانتا على ساقيك أوقفت سير الدورة الدموية بحيث كدت تصاب بالفرغرينة . هل كنت تعرف صباح أمس ان حرارتك كانت اكثر من اربعين درجة ؟ لقد اشفقت ان تصيبك الحمى بالتهاب رئـوى .

احس كارتر بالسرور حين جلس ، فلم يكن يشعر بأنه على ما يرام ابدا .

ـ ومتى يزول الخطر من ساقى ؟

ـ الأنشوطتان ؟ .. مع الوقت .. ومع التدليك . قم بدورة حول الفراش ، اذا أردت ، ولكن لا تجهد نفسك أكثر من ذلك .

وتركه الطبيب ومضى الى مريض آخر .

بقى كارتر جالسا يلهث كما لو انه قطع شوطا كبيرا فى الجرى ، وتذكر ما قاله له الدكتور كاسينى بالأمس ، وهو أنه فى الثلاثين من عمره ولا أمل له فى البرء من مثل هـذه القصـة

سريعا كما لو كان فتى فى التاسعة عشرة . كان الدكتور كاسينى يتكلم عن الجحر والضحايا الذين يخرجون منه فى لهجة مرحة غير متكلفة اوحت الى كارتر ايحاء غريبا . بأنه فى بيت مجانين فى سجن . بيت مجانين الحراس فيه هم المجانين . وكان يبدو انه لا يدين ما يحدث فى السجن . ولكن هل هذا صحيح ؟ كان قد سأل كارتر بالأمس عن سبب وجوده فى السجن ، واخبره كارتر بالسبب . وعاد الدكتور يقول : إنا لا أهتم عادة بالقاء هذا السؤال على غالبية الأشخاص الذين ياتون هنا ، فاننى أعرف ذلك مسبقا .. السرقة والسطو المسلح وسرقة السيارات . ولكن أنت .. انت لست اشبه بالغالبية منهم . وسأله الدكتور ايضا فى اية مدرسة تلقى علومه . ورد عليه كارتر وقال له سبب قدومه الى الجنوب ، وندم لأنه لم يلق على نفسه هذا السؤال منذ ثمانية شهور عندما قرر هو وهازل الاقامة فيه . اقبل كارتر اليه لأن عرض شركة تريومف للبناء بدا له مهما جدا .. ١٥٠٠٠ دولار فى السنة بالاضافة الى امتيازات اخرى مختلفة .. ماذا تظن أن بالمر فعل بالنقود ؟ واجابه كارتر : أعرف انه كانت له صديقة فى نيويورك واخرى فى ممفيس . كان يرى الواحدة أو الأخرى فى عطلة نهاية الأسبوع . كان يستقل الطائرة دائما للذهاب الى مكان ما كل يوم جمعة ، وكان يبتاع لهما سيارات وأشياء كثيرة أخرى . وهز الدكتور كاسينى رأسه وقال :

ـ آه . اننى افهم . واحس كارتر بأن الطبيب يصدقه . وكان ذلك صحيحا على كل حال ، ولكن المحكمة لم تصدقه ، ولا حتى عندما جيء بالفتاتين للادلاء بشهادتيهما ، فلم تصدق المحكمة ان بالمر تمكن من انفاق ٢٥٠٫٠٠٠ دولار فى سنة واحدة تقريبا على فتاتين ، فى حين انه ثبت بالبرهان القاطع ان كلا منهما لا تملك غير معطف من الفراء قيمته خمسة آلاف دولار وسوارا من الماس لا يزيد ثمنه على ثمانية آلاف دولار . وبدا أن أحدا

لا يشك او يهتم بأن بالمر يمكن ان ينفق خمسمائة دولار على طعامه شهريا ، أو أن ركوبه الطائرة يكلفه مبالغ طائلة من المال او أن الفتاتين قد تخلصتا من سيارتيهما الفارهتين قبل قدومهما الى المحكمة بالذات . أو أكثر من ذلك ان بالمر قد تمكن من تهريب النقود الى البرازيل .

وتمدد كارتر فى فراشه من جديد . وبينما كان يجلس على حافة الفراش نظر الزنجى ذو الراس المضمدة اليه من غير ان يطرف بعينه ، كما لو انه يشاهد فيلما مملا . حاول كارتر ان يحادثه مرارا كثيرة ، ولكنه لم يلق منه اية استجابة ، وقال له الدكتور كاسينى فى ذلك الصباح ان الزنجى يعانى من خراجين فى أذنيه تسببا له فى شىء من الصمم بحيث لم يسمعه .

وأعاد قراءة الرسائل الأربع الأخيرة لهازل ، تلك التى كانت فى جيبه عندما علقوه فى الفضاء والثلاث التى تلقاها فيما بعد . وكان كارتر يمسكها فى أصابعه فى حين كان ابهاماه الضخمان يدقان معا بين عينيه وبين الصفحات كدقات الطبول . وكانت هازل قد وضعت على رسالتها الأخيرة قطرة من عطرها . وكانت تلك الرسالة ابهج الرسائل الأربع . ودخل الممرض بيت وفى يده حقنة المورفين ، وأعد الجرعة فى صمت . ولم يكن لكارتر غير عين واحدة ، اما العين الأخرى فكانت عبارة عن تجويف عميق . ولم يستطع ان يعرف ان كان ذلك بسبب مرض أو جرح . ودخلت الحقنة فى ذراعه . وخرج بيت بعد ذلك من غير ان ينطق بكلمة . وبينما كان المورفين يسرى فى دمه بدأ يسمع صوت هازل تقرأ ما كتبته ، وقرأ كل الرسائل ، كما لو كانت جديدة تماما بالنسبة له . وسمع كذلك صوت تيمى يقاطع هازل فتقول له هذه الأخيرة : لحظة واحدة يا عزيزى .. الا ترى اننى اكتب لأبيك ؟ .. اوه ، حسنا ، قفازى الملاكمة ؟ ولكنه هناك امام عينيك ، فوق الأريكة ،

وهى مكان غريب لكى تضعه فوقهـا . الا يمكن ان تأخذه الى غرفتك ؟ .. ويلكم تيمى القفاز بيده اذ أصبح لا يصلح له ويقول: متى يعود ابى الى البيت ؟ .. متى يعود ابى الى البيت ؟ وتقلب كارتر فوق فراشـه مغيرا وضعه وأرغم نفسه على ان يقصى عن راسه تلك الرؤية وأن يبقى مستلقيا سلبيا وعيناه على خط هازل حتى تأتى رؤية أخرى وتحل محل الرؤية الأولى . ورأى مخدعهما، وهازل أمام السراحة تمشط شـعرها لأجل الليل . وهو نفسه مرتديا البيجامة . واقترب منها وابتسمت له فى المرآة . وتعانقا طويلا . ونبه المورفين ذهنه بحيث بدا له أن هازل راقدة بجواره، على الفراش الصلب .

كان بمقدور كارتر أن يتأمل تصـوراته كما لو كانت تدور على خشبة مسرح . ولم يكن بالمسرح أحد غيره . كان هو المتفرج الوحيد . لم ير احد المشهد قبله ولن يراه احد غيره . لم يكن من الممكن أن يسمع هنا أصـوات المساجين . سمح له ابهاماه المشوهان على الأقل ببضعـة أيام من الهدوء تقريبا .. انة الم تصدر من فراش وصوت المـاء فى الأحواض .. بدا له كل ذلك كما لو كانت موسيقى بالمقارنة الى أصـوات الاثارة والهيجان فى الساعة السادسة والنصف فى الزنزانات ، حيث تتصاعد ضحكات صغيرة مجنونة فى الليل ، كضحكات النسـاء ، ثم الأصـوات الأخرى والتى لا تقل عنها جنونا ، وهى ضحكات الرجـال . وتسـاءل كارتر : من المجنون ؟ من منهم ؟ ومن من المحلفـين والقضاة بين الآلاف الذين أرسلوا هنا الستة آلاف رجل الموجودين فى هذا السجن .

- ٣ -

لم يستطع كارتر السير على قدميه قبل يوم الأربعاء ، وقد جاءه الدكتور كاسينى بزى آخر من أزياء السجن ، ناسبه أكثر من الزى الذى كان يرتديه . وكان لايزال ضعيفا ، وقد هاله ضعفه هذا ، ولكن الدكتور كاسينى قال له : هذا أمر طبيعى .

هز كارتر راسه وهو مضطرب وشارد الذهن ، كشأنه دائما عندما يتحدث عن الجحر ، وكأنه يتحدث عن أمر واقع وقال : ولكنك قلت انه سبق لك ان رايت حالات اخرى كحالتي هذه .

اتى دكتور كاسينى بحركة من يده تدل على عجزه ، ثم عدل وضع نظارته فى عصبية ، ونظر الى كارتر وقال :

ـ من الجنون محاربة الاداريين ، على أن بقائى هنا لن يطول على كل حال .

وهز راسه وكأنه يؤكد لنفسه ذلك ، واذ بدا القلق على كارتر اردف يقول :

ـ حان الوقت الآن للحقنة الثانية ، اليس كذلك ؟

كتب كارتر رسالة للمأمور ، ويدعى جوزيف ج. بيرسون تكلم فيها عن مونان وشرنيفر ، وكانت نيته أن يكتب رسالة مقتضبة هادئة لا يتجاوز فيها ما حدث له . ولكن كانت النتيجة

انها جاءت معجزة فى التلميح وتسببت فى مرحه شيئا ما ، فقد قـــال :

ــ « السيد المحترم بيرسون :

اود ان الفت نظركم الى أننى بعد ظهر يوم أول مارس علقت من ابهامى فى احدى غرف بدروم السجن ، وتركت معلقا ثمانى وأربعين ساعة تقريبا . وقد فقدت الرشـــد ، وعدت الى وعيى مرارا كثيرة بدلاء من المـــاء البارد ، والنتيجة ان ابهامى أصابهما التلف نهائيا ، وعظيماتهما انخلعت ، والحارســـان اللذان فعلا بى ذلك هما مستر مونان ومستر شرنيفر ، واطالبك بكل احترام أن تستخدم سلطتك بصدد هذا الحادث » .

المخلص فيليب كارتر
رقم ٣٧٧٦٥

حاشية : اكون شاكرا اذا تكرمت بارسال بيان مفصل عن نظم السجن لكى أستطيع تجنب الكثير من اللوم .

قال احد المساجين لكارتر ان المـأمور يفيد دائما باستلامه الرسائل التى تصله ولكنــه لا يرد على اى منها على الاطـلاق . ومع ذلك فقد ألقى كارتر رسالته فى صندوق الشكاوى ، وجمل نفسه بالصبر ، ومهما فكر فى هازل فان المعركة ستكون طويلة وبطيئة . ســوف يراها يوم الأحد ، فقد قدم الدكتور كاسينى التماسا خاصا لكى يتمكن كارتر من رؤية زوجتــه . سيراها لمدة عشرين دقيقة بالتدقيق ، بعد اثنتى وسبعين ساعة .

امدته هذه الفكرة بالشجاعة ، فانهم لن يستطيعوا قتله قبل اصيل يوم الأحد ، ولن يكون هنــاك فى الظاهر اى عائق يمنعه من رؤية هازل . فان من المحــال أن يتعرض للوم أو التعنيف

فى المستشفى لأنهم لا يفعلون فيها شيئا ، ولا يذهبون الى اى مكان ولا يستخدمون فيها ادوات أو معدات ، فيما عدا دورة الميـاه .

وقرأ رواية مرتفعات ويذرنج ، ثم كتب لهازل :

حبيبتى :

اتتصورينني أقرأ اميلى برونتى فى السجن ؟ ليس الأمر سيئا كما ترين ، وأرجو ان لا تقلقى ، وحاولى أن لا تغضبى على الخصوص ، فقد غضبت انا فى الأسابيع الأولى ولكن ذلك لم يسبب لى الا الكثير من اللوم واستياء الحراس ، ولهذا فمن الأوفق ان لا نشعر بالغضب اذا أمكن ذلك ، وأن نتصرف كمـا يتصرف الذين يمارســون اليوجا او المقاومة السلبية ، فنحن امام شيء يفوق قدراتنا بكثير .

سرنى أن أعلم أن تيمى يتقدم فى القراءة ، وانهم لا يزعجونه كثيرا فى المدرسة فى الأيام الأخيرة . ولكن هل انت واثقـة من ذلك ؟ اما انا فلا ، ولعله يضغط على إسنانه ولا يفصح عما يلاقيه. فهل هـذا ما يفعله ؟ اكتبى لى واذكرى لى الحقيقة . سأكتب اليه هو فى المرة القادمة ، ولهذا لن تصـلك انت رسـالة منى ، وفى اثنـاء ذلك قولى له اننى اراه عظيمـا وهو يقوم بدور رب العائلة اثناء غيابى .

اننى أساعد المرض بقدر ما استطيع .. ارتب الأسرة واقوم بأعمال أخرى طريفة ومسخرة . لا تقلقى بسبب اصابعى فأنا استطيع الكتابة كما ترين . اننى أحبك يا عزيزتى .

فيل

احس بالارهاق بعد ان فرغ من الكتابة ، كما لو كان قد قام

بعمل ضخم . وكان خطه رديئا مضطربا ، وجميع الحروف تكاد تكون متفرقة .

قال الزنجي متعجلا :

ــ مستر كارتر .. مستر كارتر ..

اسرع كارتر الى فراش الزنجي ، واخذ القصرية بين كفيه ودسها تحت الغطاء . فقال الزنجي :

ــ اشـــكرك .

ورد كارتر رغم ان الزنجي لم يكن يستطيع ان يسمعه :

ــ العفو .

وفى يوم الأحد حلق كارتر ذقنه بعناية خاصة ، وكانت هذه ميزة اخرى من مزايا المستشفى ، فقد كان فى امكانه ان يغتسل وأن يحلق ذقنه كل يوم بدلا من ان يساق فى قطيع مرتين كل أسبوع مع الآخرين الى الحمـــام والى الحلاق . واغتسل مرة اخرى عند الظهر ولمع حذاءه الثقيل ، وعنى عناية فائقة بزينته ، عنايته بها يوم زواجه ، وتساءل هل يقول ذلك لهازل ، ولكنــه رأى أن لا يفعل حتى لا تستغرب ذلك كثيرا . وكوى بنطلونــه الفضفاض فى غرفة متصلة بالعيادة ثم ارتدى قميصــه الأبيض الذى كان مسموحا للمساجين بارتدائه ايام الآحاد ، اذا كانوا يتوقعون زيارة أحد لهم ، وهو قميص قصير الكمين . ولم يكن مسموحا لهم برباط العنق خوفا من ان يستخدمه احد فى ان يشنق نفسه . وعلى كل حال فقد كان القميص ابيض اللون ، غير اللون الوردى الخاص بزى السجن .

نظر كارتر الى صورته فى المرآة ، وحاول ان يرى نفسه كما سوف تراه هازل . كانت هنــاك هالات سوداء تحت عينيه ،

ولكنها غير داكنة . وكان الهزال قد اصاب وجهه بطبيعة الحــال ، وبدا كأنه فى الخامســة والثلاثين ، وليس فى الثلاثين ، وبدت شفتاه رفيعتين واكثر توترا ، ورأســه أكثر ضيقا ، ولكن كان ذلك راجعا الى الحلاقة التى خضع لها فى السجن . ونظرت عيناه الزرقاوان اليه كما لو كانتا تنظران الى شخص آخر ، متعب ، عيناه قاسيتان ، حذرتان شيئا ما .

مر الدكتور كاسينى وربت بيده على كتفه وقال :

ــ هانت ذا تتجمل !

أومأ كارتر برأسه مبتسما ، وفجــأة تسارعت دقات قلبه لفرط الانفعال . أحس بالانزعاج كما لو أن الزمن قد عاد به الى الوقت الذى كان يمضى فيه للقاء هازل ، وحيث كان يستقل سيارة اجرة تمضى به مسرعة الى حديقــة جرامرس وفوق ركبتيه باقة من الزهور ثم يصعد الدرجات الأمامية لمنزل هازل درجتين درجتين ركضا ، وهازل تسرع للقائه وتدير أكرة الباب حتى قبل أن يلمس الجرس .

ــ الا تريد حقنة اخرى ؟

ــ كلا ، شــكرا .

بدأ ابهاماه يسببان له بعض الألم . ولكنــه لم يشأ ان يتزود بحقنة ، خصــوصا الآن ، فى منتصف الساعة الواحدة ، فقد أخذ حقنة فى الساعة العاشرة ، على امل ان يبقى مفعولها حتى الساعة الثانية ، بعد أن تنتهى زيارة هازل . ولكن نبضـــات ابهاميــه اشتدت حدتها فى الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة ، واحس بالرغبة فى ان ياخذ حقنة سريعة ، وما كان بيت ليتردد فى اعطائها له بمجرد ان يطلب منه ذلك ، الا انه رأى أن يتمســك بالقسم الذى قطعه على نفسه بأن لا ياخذ اية حقنة قبل زيارة هازل له ، وحمل بيت على ان يضمد ابهاميه بطريقة لا تثير فزع هازل .

وهبط بالمصعد ومعه التصريح الذى وقعه الدكتور كاسينى ورافقه الحارس كلارك بطول دهليز المستشفى . واضطر ان يقدم تصريحه ثلاث مرات لكى يضاف اليه تأشيرة فى كل مرة حتى اللحظة التى بلغ فيها العنبر رقم ١ ، وفى نهايته باب عنبر الاستقبال ، واحس بضعف فى ركبتيه بعد كل هذا المطاف .

ورأى هانكى البدين يسير امامه بطول الناحية اليمنى من الدهليز متجها دون شك نحو زنزانته القديمة ، وتباطأ كارتر حتى لا يلحق به او يراه الآخر وراح ينظر من خلال القضبان وهو يتقدم ، ولكنه لم يستطع ان يتبين هازل بين الزائرين الذين ينتظرون .

كانت صالة الانتظار مزودة بمقاعد خشبية طويلة كمقاعد الكنائس ، وفى وسطها ممر ، وفى آخرها ، بجوار باب الخروج آلة اوتوماتيكية لتوزيع القهوة ، واخرى لتوزيع الحلوى واللبان. وهناك ، بين عنبر الزنزانات وصالة الانتظار منطقة من ستة امتار مربعة مغلقة من احدى الناحيتين بجدار ومن الناحية الأخرى بقضبان ترتفع من الأرض حتى السقف ، وهى منطقة تعرف باسم القفص ، يقف فيها باستمرار حارسان ، ولا يفتح البابان فى وقت واحد ابدا ، ولا يسمح لأى زائر بالتواجد فيها اثناء وجود أحد المساجين . وعلى اليمين ، امام صالة الانتظار ، باب مغلق يدخل من خلاله الزائرون الذى يمضون الى صالة الاستقبال فى الطابق الذى يعلو العنبر . اما المساجين الذين يأتيهم الزوار فيدخلون من باب الدهليز ، بجوار القفص .

رأى كارتر هازل عندما اصبح على بعد خمسة امتار من القفص . كانت تقف أمام المكتب الكبير ، على اليمين ، فى غرفة الانتظار ، وتقدم تصريحها للشرطي الجالس امام المكتب . ووثب

قلب كارتر بين ضـلوعه ، وتحول ببطء حتى لا يخطر للحارس المتكىء على الجدار أنه يختلس النظر .

وقال الحارس الذى بجوار الباب :

ــ سانتوز ...

هرع اليه حارس آخر قائلا :

ــ هأنـذا .

ــ كوليجان .

وجوه كئيبة ، هادئة ، غير مكترثة ، يبدو فيها شيء من الغيرة تنظر الى الرجال ذوى القمصـان البيضاء ، وهم ينفصلون من الجماعات الجامدة الواقفة فى الدهليز ، وينبضون بالحيـاة ، ويسرعون الى باب صالة الاستقبال وتصاريحهم فى أيديهم .

ــ كارتر .

أخذ الحارس تصريحه ودون عليه بضـع كلمات ثم سمح له بالمرور .

وهبط كارتر السلم الخافت الضوء ، وهو يفضى الى غرفة طويلة منقسمة الى قسمين بحـائط زجاجى ولوح خشبى منخفض بارتفاع منضـدة ومقـاعد طويلة على الجـانبين . وكان الزوار يدخلون من ناحية من الصالة ، ويقف فى الناحية الأخرى أربعـة من الحراس مدججين بالسـلاح ، واحد فى كل ركن من أركـان الصالة . وراح كارتر يتقدم وهو يحدق فى باب الدخول باحثا عن هازل .

دخلت ، واستمر فى تقدمه دون أن يفارقها بعينيه نحو مقعد شاغر ، فى الناحيـة الأخرى من الحاجز وهو يشير اليها بيده .

وأفلح فى العثور على مقعد شاغر له هو نفسه . وكانت ترتدى معطفها التويد الأزرق ، وتلف حول عنقها وشاحا فاتح اللون . كانت جميع الألوان التى ترتديها تبدو لكارتر على الخصوص ساطعة وجميلة كالزهور أو كريش الطيور . شفتاها الحمراوان تبتسمان رغم التوتر الذى يبدو فى عينيها . ونظرت الى يدى زوجها . ومط كارتر شفتيه وابتسم وهز كتفيه وقال :

ـ اننى لا اشعر بألم .. ان محياك رائع وجميل .

حاول أن يتكلم فى صوت قوى وواضح بسبب الحاجز الزجاجى ، وسألته :

ماذا يقولون ؟ هل قالوا لك شيئا آخر بخصوص ابهاميك ؟

ـ كلا لا شىء .

وازدرد ريقه ونظر الى الساعة . وجلس على حافة المقعد الخشن . سوف تمضى العشرون دقيقة دون أن يدرك ذلك . بل ها هو يفقد ثوانى ثمينة فى الصمت . ولكنه يرى هازل على كل حال . وسألها :

ـ كيف حال تيمى ؟

بللت شفتيها واجابت :

ـ تيمى بخير .. لقد اصابك الهزال .

ـ ليس كثيرا .

ـ قال لى مستر ماجران انه سيأتى لزيارتك .

ذكره صوتها بخرير الماء الصافى الرطب . وكانت قد مرت ستة أسابيع لم يسمع فيها صوت امرأة . وقال :

ـ جميل أن أراك .

واستولى عليه الضيق بسبب صوت السجين الذى على يساره ، وكان يتكلم مع رجل يرتدى بدلة داكنة على يمين هازل ، ولعله محاميه ، وكان السجين يصيح تقريبا ويقول :

ـ لا ادرى .. لا ادرى .. هذا كل شيء . لماذا .. لماذا تلقي على هذا السؤال دائما .

وكان صوته يكاد يغطى على صوت هازل . وقالت هذه الأخيرة :

ـ هل حصلت على تقرير من الطبيب ؟

تسارعت نبضات ابهاميه ، وتجمد جبينه من العرق وقال :

ـ انه .. يجب ان يلتقط لى إشعات أخرى .. لا يمكنه ان يقوم بتشخيص دقيق من غير ذلك .

ـ الأمر اسوأ مما قلت لى اذن ؟

ـ لا ادرى حقا يا عزيزتى .. ان المفاصل ...

كانت هازل قد قالت له فى احدى رسائلها :

ـ قل لى أسماء الحراس الذين فعلوا بك هذا . هذا غير قانونى تماما فى أيامنا هذه .

كانت كلمتا « غير قانونى » غريبتين بالنظر الى بعض الأمور التى رآها فى السجن ، مثال ذلك : ذلك السجين بالعنبر رقم ٣ الذى انكسر طاقم اسنانه ولم يسمحوا له باصلاحه بحيث لم يعد يستطيع أن يأكل شيئا فيما عدا الحساء . أهذه طريقة قانونية يعاملون بها رجلا فى السجن . احس كارتر بانه يكاد

يختنق ، كما لو أنه على وشك ان ينفجر بالبكاء . وقال لنفسه « كل ما اريد هو ان ألقى براسي على ركبتيها » ، واعتدل في مقعده وهو يقول :

ــ ساحصل على تقرير الدكتور كاسيني بأسرع ما استطيع .

قالت في هدوء :

ــ يستطيع دافيد ان يتكفل بذلك .

ــ دافيد ؟ .. كنت أعتقد أن ماجران هو الذى يريد هذا التقرير .

ــ قال دافيد انه سيسلمه للمحافظ بنفسه . وانت تعلم ان دافيد محام هو الآخر ، سوف يحصل عليه اسرع من ماجران .. فورا .

اسرع كارتر يقول : من الذى يهتم بقضيتي ؟ .. سوليفان أم ماجران ؟

والقى بيديه فوق المنضدة ، كما لو كان ملاكما يستعد لملاقاة غريمه ، وتسارعت نبضات ابهاميه . وخيل اليه ان الدم سينبثق منهما .

ــ يبدو أنك ترين سوليفان كثيرا .

ورأى على الفور ، من ملامح وجهها ، انه جرحها .

في كل مرة أراه أقول لك ذلك . لولاه لأحسست بالضياع . ان كل الجيران يكلمونني تليفونيا ، أو يأتون لزيارتي ، ولكن ماذا يسعهم أن يفعلوا . أما دافيد فهو على الأقل من رجال القانون .

ــ هذا هو الشيء الوحيد الذى من الأوفق ان انساه .

ــ ماذا تعني ؟

ـ القانون .. أين هو .. وما جدواه .

تنهدت هازل وقالت :

ـ أواه يا حبيبى ! .. انت متعب وتتألم !

وبحثت فى انفعال عن علبة سجائرها فى حقيبة يدها وسألته:

ـ أليس معك سجائر ؟

ـ انني نسيت علبتى ، ولا اريد ان ادخن الآن .. لا أهمية لهـذا .

والواقـع انه كان يهفو الى سيجارة ، ولم يفـارق هازل بعينيه وهى تشعل سيجارتها . وكانت يداها ترتعشـان بعض الشيء ، وبشرتها قاتمة جدا ، وبدت لكارتر مع ذلك من الجمال بحيث خيل اليه انها غير حقيقية ، كما لو كانت لوحة مرسومة على القماش أو على الزجاج . كانت وجنتاها وشفتاها بلون الورد الطبيعى ، وفمها صغيرا وشفتاها ارق الشـفاه التى رآهـا أو قبلها فى حياته . وتساءل ان كان سوليفان قد وضع شفتيه عليهما أو ان كان سيفعل ذلك .

وسألته هازل :

ـ ما اسم الحارسين ؟ هل خفت ان تذكر لى اسميهما فى رسـالتك ؟

نظر كارتر آليا الى اليمين والى الشمال ثم قال :

ـ لم اخف . انما خطر لى فحسب ان رسالتى قد يفتحها رقيب السجن .. أحدهما اسمه مونان والآخر شرنيفر .

ـ لن انسى هذين الاسمين . ولكننى أريدك ان تحصـل على تقرير الدكتور كاسينى دون ابطاء .

ـ حسن جدا يا حبيبتى .

واضنى نفسه فى البحث عن شيء يقوله لها أو حدث يرويه يجعلها تبتسم . وكان قد ضحك كثيرا فى المستشفى هو ومن معه . ولكنه لم يستطع الآن ان يتذكر شيئا ، وابتسم وقال :

ـ هل يدعوك سوليفان للعشاء الليلة كالعادة ؟

تجهمت أساريرها من جديد وقالت :

ـ كالعـــادة ؟

ـ اردت القول ككل يوم احد ، فأنت ترينه عادة مســاء الآحاد ، أليس كذلك ؟

ـ ليس دائما يا فيل . فى كل مرة اراه فيها أقول لك ذلك ، وانقل لك كل حديثنا . بل اذكر لك حتى ما نتناوله من طعام .

كان هذا صحيحا ، وجز كارتر على اسنانه . كان ذلك لأن جاويل قد أوعز اليه ببعض التلميحات فى رسالته الأخيرة ، ولا ريب إنه بالغ او اختلق .

وقالت هازل :

ـ انت لا تخبرنى ابدا بأنواع الطعام الذى تتناوله .

عجز كارتر عن الابتسام فجأة وقال :

ـ لا اظن ان ذلك قد يروق لك .. لحم راس الخنزير .. وانواع اخرى من الطعام لا يمكن وصفها ، ولا اسم لها الا فى السجن فحسب .

ـ يمكنك أن تشركنى فى همومك .. اود أن اقتسم ذلك معـــك .

ادار راسه من الألم الذى يحس به فى ابهاميه ، وتكلم لكى يظل واعيا فقال :

ـ لا احب ان إفكر فيك هنا . لا اريدك ان تعرفى كل ما يدور هنا لأن الأمر كله مقزز الى حد اننى فى بعض الأحيان لا اجد بى رغبة فى ان انظر الى صورتك التى معى هنا .

بدت عليها الدهشة والخوف ايضا وقالت :

ـ اى حبيبى !

ـ لا اقصد ان اقول اننى اريد ان تمتنعى عن الحضور لزيارتى .. يا الهى .. كله الا هذا .

وتصبب العرق تحت اذنيه وقال الحارس وهو يمر خلفه :

ـ باق دقيقتان .

وقالت هازل :

ـ قال مستر ماجران انه كتب لمأمور السجن بخصوص ابهاميك .

اجاب كارتر على الفور :

ـ انه لن يرد عليه .

ـ كيف هذا ؟ انها رسالة من محاميك .

قال وهو يحاول ان يتكلم بهدوء :

ـ اعنى انه سيرد بأنه تلقى الرسالة . ولكنه لن يفعل شيئا ، ولن يبد اية اشارة الى المعاملة التى تلقيتها هنا طبعا .

ارتعشت السيجارة بين اصابع هازل وقالت :

ـ سوف نرى . أوه ايها الحبيب ! لو تعرف كم احب أن أعد لك الطعام بنفسى .

ضحك كارتر كما لو أن أحدا زغزغه فى بطنه وقال :

ـ يوجد هنا رجل عجوز يدعى ماك ، فى السبعين من عمره تقريبا . لا يكف عن الحديث عن الطعام الذى كانت زوجتـه تعده له ، ويصف لنـا نوع الفطـائر بالتفـاح والبيض واليخنى .. تصورى .. يخنى .

وانفجر يضحك الى حد أن ركبتيه ارتعشتا ، ورأى هـازل تضحك هى الأخرى ، كما كانت تفعل فيما سبق تقريبا . وتغيرت ملامحها ، ومسح كارتر دموعه التى تفجرت من عينيه وقال :

ـ وهذا غريب ، لأن جميع المساجين الآخرين لا حديث لهم الا مضـايقة زوجاتهم لهم ، فى حين لا يتكلم هو الا عن الطعام ، ويقضى كل وقته منذ أتيت الى هنا فى عمل أنمـاط من البواخر او بالأحرى سفينة لكى يقضى كل وقته على سطحها . وهـذه السفينة طولها متر وعشرون سنتيمترا . وزميله فى الزنزانة يشكو لأنها تشغل مساحة كبيرة من الزنزانة ، وهى هنا بالذات .

واشار بيده نحو اليمين ، كما لو أن هازل يمكنهـا ان تراها . وقال الحارس فى هذه اللحظة :

ـ انتهت الزيـارة .

نهض كارتر فاغر الفم ، وعيناه محدقتان فى هازل ، ووقفت هذه الأخيرة لمغادرته وقالت :

ـ هذه أول مرة تحدثنى فيها عن أحد .. زدنى حديثـا عنه واكتب لى . الى اللقاء يوم الأحد القادم أيها الحبيب .

وأرسلت اليه قبلة بأطراف أصابعها ، واستدارت ومضت.

وقطع كارتر طريق العودة الطويل خلال غابة الزنزانات . كان لابد له من حقنة أخرى لكى يتمكن من البقـاء مع ماجران

عشرين دقيقة . وعندما بلغ نهاية العنبر نظر الى اليسار لأنه كان قد بلغ زنزانة ماك . وكان الباب مفتوحا ، وماك جالسا فوق مقعده ، مستغرقا فى انجاز سفينته بحيث لم يلحظ ان كارتر ينظر اليه . لم تكن السفينة قد طليت بعد ؛ ولكن ماك تقدم كثيرا منذ آخر مرة رآه فيها . كان يبدو انه على وشـك الانتهاء منها ، وقال له :

ـ طاب يومك يا ماك . أننى أدعى كارتر .

قال ماك فى ود ولكن من غير أن يعرفه :

ـ أوه ، وطاب يومك . ثم عاد الى عمله وهو يقول :

ـ ايسمح لك وقتك بأن تبقى معى قليلا .

ـ اننى آسف . سوف ازورك مرة اخرى .

وتابع كارتر طريقه . كان ماك قد وجد نوعا من السـلام مع نفسه ، وحسده كارتر لذلك . ولم يلحظ الرجـل العجوز الضمادات التى فى يديه . واحس كارتر بالارتياح لذلك ، وقـال لنفسه ان ماك لم يره وانما سمع صوته فحسب .

- ٤ -

جلس كارتر ، بعد ان حقنه بيت على احد المقاعد فى آخر المستشفى وقد بلغ به التوتر الى حد انه لم يستطع أن يقاوم رعشة قدميه فوق الموكيت ، اذ كشفت له زيارة هازل حقيقة مهولة وهى انه عاش الشهور الثلاثة الأخيرة فى ضباب مقصود ، كنوع من الوقاية الذهنية ، اصطنعها لنفسه ، ولكنها لم تكن من القوة بما يكفى .. كان فى مقدوره ان يتحمل وضعه مع نزلاء السجن ومع الدكتور كاسينى ، اما مع هازل فقد كان هو نفسه لبضع دقائق ، وكان الألم الذى أحس به فى ابهاميه الضربة القاضية لمعنوياته ، فقد تذمر وأبدى مرارة وتكرانا ، وكان معها كما لا يجب أن يكون الزوج مع زوجته على الاطلاق .

تهالك فوق مقعده ، وانتظر حتى يبدأ مفعول المورفين ، فقد كان يخفف الألم ويقهره وينتصر عليه فى المعركة كما هى الحال دائما .. ينتصر لمدة ساعتين ثم يجمع الألم قواه ويعاود الهجوم ولا يلبث هو ان ينتصر فى النهاية . كانت مجرد لعبة تافهة وغير واقعية ، كلعبة السجن . كان يرى تلك اللعبة الأخيرة كنوع من الصدمات وجهد كبير لابد له من التأقلم معه . كانت الصدمة الأولى هى وقوفه عاريا هو واثنى عشر رجلا غيره ، دخلوا السجن فى نفس اليوم ، أحدهم بقروح فى ظهره وآخر بجرح فى رأسه لايزال ثملا وشرسا ، وفتى فى التاسعة عشرة أو العشرين من عمره ، بسحنة مذعورة وفم دقيق صغير كفم فتاة ، تسبب فى

ان يلقي كارتر بضعة اسئلة على نفسه لحظة ، وجعله يتساءل : اهذا هو الوجه البرىء الذى قد يخفى اجراما يفوق اجرام اعتى المجرمين ، ثم الوجبات الأولى والليالى المظلمة التى لا يتخللها اى نور ، وبرد ديسمبر ، والليلة التى خلع فيها ثيابه وبيجامته وبللها من الحوض واستخدمها فى سد شقوق جدران الزنزانة فى حين أمسك هانكى عودا من الثقاب لكى يمكنه من الرؤية . وقد خطر لهانكى ان فكرته سديدة تماما لكى تبتل الثياب بحيث تتجمد وتسد الشقوق تماما . ولكن الشقوق كانت اكثر من الثياب ، وتذكر ليلة عيد الميلاد التى لزم فيها الفراش بسبب نزلة حادة وأول اغراء تلقاه من رجل شاذ فى ورشة الأحذية .

كان قد اعتاد على كل ذلك تقريبا ، وعندما علقوه من ابهاميه تحمل ذلك فى شيء من الصبر والجلد . ولكن ماذا يحدث لو انهارت قوته وتلاشى صبره وجلده . لو انهارت وشيكا بسبب ذلك الألم الذى يعصف به ولا يريد أن يزول . الن يعدو فى الممرات صارخا ، ويهجم على الحراس ويلقى بقبضته فى وجه كل من يقابله ، حتى يصرعوه فى النهاية او يضرب راسه فى الجدار الى ان يتحطم .

جاءه كلارك لكى يقول له ان هناك من ينتظره فى الطابق الأرضى ، فاعد لنفسه فنجانا من القهوة وضع فيه ثلاث ملاعق من السكر لكى تمده بالقوة وجرعه دفعة واحدة ثم أخذ التصريح من كلارك وهبط بالمصعد .

ومرة اخرى قطع الطريق الطويل حتى صالة الزيارة . اذا كان الزائر هو ماجران فانه لا يعرف هيئته ولا شكله . ولكن فى مقدور ماجران أن يعرفه من الضمادات التى فى يديه . واعتدل كارتر ، فقد كان لابد له من ان يترك انطباعا لماجران ، ليس عن براءته ، وانما عن رباطة جأشه فانه قد يطلع هازل على لقائه به .

وقف رجل فى صالة الزيارة واشار له وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة قائلا :

ـ لاورنس ماجران .. كيف حالك ؟

ـ شكرا .. وكيف حالك أنت ؟

وجلس ، وجلس ماجران هو الآخر . كان رجلا قصيرا بدينا، بشعر خفيف أسود ونظارة من غير اطار وكتفين محدودبين ، يبدو كما لو انه يقضى جل وقته جالسا خلف مكتب . وسأل كارتر عن اخباره ، واذا كان ابهاماه يؤلمانه كثيرا ، وهل أقبلت زوجته لزيارته اليوم . كان صوته هادئا بطريقة غريبة .. واضطر كارتر أن ينحنى لكى يسمعه .

ـ أظن أن زوجتك قد حدثتك عن الاستئناف امام المحكمة العليا .. ان اجراءاته قد تطول كثيرا ولكنه أملنا الوحيد .

اجاب كارتر :

ـ نعم . حدثتنى عنه ، ويسرنى ان اسمعك تذكر كلمة الأمل ، فأنا بحاجة اليه .

ـ اننى واثق من ذلك . ولكن هناك اناسا استانفوا امام المحكمة العليا واعيد اعتبارهم ، وسنحاول نحن نفس الشىء ، اذا وافقت .

ـ انا موافق طبعا .

ـ ولكن قد تنقضى سبعة شهور قبل ان نحصل على اى رد ، وقد يكون الرد بالرفض .

وافقه كارتر ، فما الفرق بين سبعة شهور أو ستة كما قال توتنج . وسأله ماجران وهو يراجع ملاحظات اتى بها معه . واجابه كارتر :

ـ كما سبق ان قلت اثناء المحاكمة ، كنت أوقع على الفواتير والايصالات عندما يكون بالمر غير موجود ، ولم يكن موجودا فى اكثر الأحيان عند قدوم سيارات النقل .

ـ تقول زوجتك انك تعتقد ان بالمر كان يتعمد الغياب لكى تقوم أنت بالتوقيع ، فهل هذا صحيح ؟

ـ نعم . هذا صحيح .

دون ماجران بضع ملاحظات ثم نهض ، وقال لكارتر انه سيكتب اليه بعد بضعة أيام ، ثم اشار اليه محييا ومتفائلا وانصرف .

احس كارتر بالانتعاش ، فلم يذكر ماجران شيئا عن النقود ، ولم يوح بأى امل زائف ، او حتى بأى امل فحسب ، وانما قال له: عليك بالحصول على تقرير الطبيب عن ابهاميك ، ولم يزد عن ذلك . ومشى كارتر امام الحارس ، ولكن هذا الأخير لمس كتفه قائلا :

ـ لديك زائر آخر .

كان الزائر هو جورج جاويل ، عرفه كارتر على الفور . كان رجلا ضخم الجسم ، أسمر ، طوله نحو مائة واثنين وسبعين سنتيمترا ، يرتدى معطفه الرمادى الفضفاض ذا الأزرار البيضاء. وأشار باصبعه الى مقعد شاغر وجلس فوقه . ووجد كارتر مقعدا وجلس أمامه . كان جاويل نائب مدير شركة تريومف لأعمال البناء . كانت هذه المرة الثانية التى يزوره فيها فى السجن . بدا أول مرة بشوشا ومتفائلا ، وقال كغيره ان الأمر لن يعدو الا الاتصال ببعض كبار ذوى الشأن ، وانه سوف يخرج فى أقرب وقت . أما اليوم فقد بدت ملامحه تدل على خطورة الموقف ،

وارتسمت فى عينيه أمارات الرثاء والشفقة ، فقد سمع عن رفض اعادة نظر القضية ، كما سمع عن ابهامى كارتر كذلك .

ـ اتفق ان تكلمت مع زوجتك فى نفس اليوم الذى عرفت هى فيه عن رفض اعادة نظر القضـية . كانت حزينة فى التليفون ، وكنت قمينا بزيارتها لولا انها قالت لى انها على موعد مع دافيد سوليفان فى تلك الليلة .

ـ أوه ...

كان كارتر حذرا جدا ، فقد بدا أن جاويل يحفظ ما يريد ان يقول عن ظهر قلب .

ـ ان لسوليفان تأثيرا كبيرا على هازل ، الى حد انه اكد لها أنه يستطيع ان يفعل المعجزات .

ضحك كارتر ضحكة قصيرة وقال :

ـ ان هازل ليست غبية ،وهى لا تعتقد طبعا انه يستطيع ان يفعل المعجزات كما تقول .

ـ لا تكن واثقا من ذلك . ان سوليفان يقوم بلعبة قذرة ، وقد أصبح له نفوذ كبير عليها الآن . ولعلك لا تدرك ذلك .

أحس كارتر بالضيق والغضب ، وبحث بيده اليسرى عن علبة سجائره :

ـ كلا . اننى لا إدرك ذلك .

ـ أبدأ واقول ان سوليفان يتقصى عنى ، ولا ريب أنهـا قالت لك ذلك .

شعر كارتر بتوبيخ الضمير لحظة ، ولكنـه لم يلبث أن هز

كتفيه ، فهو الذى أوعز الى سوليفان أن جاويل قد يكون مذنبا هو الآخر كوالاس بالمر ، وقال :

ــ ان سوليفان محام ، وله أعماله الخاصة ، ولم اوكله عنى .

ابتسم جاويل ابتسامة كئيبة وقال :

ــ أنت لا تفهم ما أريد أن أقول لك . ان سوليفان يبذل قصارى جهده للفوز بالحظوة لدى هازل ، مؤكدا لها أنه سوف يجد شيئا ضدى فيما يتعلق بعلاقتى بوالاس بالمر ، وانى اتمنى له كل التوفيق .

ــ وكيف تعرف كل ذلك ؟

ــ ان الناس يقولون لى كل شىء ، وان لى أصدقاء مخلصين، ولماذا لا يخلصون لى فأنا لست لصا ، واستطيع ان احطم وجه سوليفان ، فان اللعبة التى يمارسها مع زوجتك لعبة قذرة . هل لابد له من الانحطاط لكى يقوم بمثل هذا الدور مع زوجة رجل خلف القضبان لا يستطيع أن يفعل شيئا لكى يدافع عن نفسه .

قال كارتر يحدث نفسه :

ــ لا تصدق نصف ما يقول . . بل لا تصدق منه شيئا .

ــ عن أية لعبة تتحدث ؟

قطب جاويل جبينه وقال :

ــ اظن انك تعرف ذلك . . لست بحاجة للدخول فى تفاصيل . ان زوجتك امراة فاتنة جدا . . جدا .

تذكر كارتر تلك الليلة التى غازل فيها جاويل زوجته فى حفلة كوكتيل ببيت سوليفان . كان جاويل قد تناول كئوسا

كثيرة اطارت عقله واسرع نحو هازل قالبا كأس احدهم ، وامسكها من خصرها بقوة بحيث انفك احد أزرارها الخلفيـة وكشف عن بشرتها البيضاء . واحس كارتر بالدم يغلى فى عروقه عندئذ وهم بأن يتدخل وينتزع هازل من جاويل وان يطوح بقبضته فى وجهه . وكانت هازل شديدة الغضب هى الأخرى ولكنها القت الى كارتر نظرة كأنها تقول لا تفعل شيئا ، فلم يتحرك . وراح يدعك غلاف مشط الكبريت الذى فى يده وقال :

ــ لماذا لا تدخل فى التفاصـيل اذن ؟ .. ذلك اذا كانت هناك تفاصيل .

وراح يدعك غلاف مشط الكبريت فى قوة أكثر وقال :

ــ هل تدرك أنك تدين زوجتى بقولك هذا ؟

اسرع جاويل يقول :

ــ أوه ، كلا اننى انما أدين سوليفان ، اننى أعتقد انه وغد دبق ، ولا اتردد فى أن اقول ان ظاهره يخفى باطنه . انه على درجة كبيرة من الثقافـة ، وانيق الملبس ، يعرف كيف يعـامل النساء ويحاول التأثير على زوجتك . واننى واثق من ذلك .

ــ اشكرك لاخبارى ، ولكن الواقع إننى واثق من زوجتى .

وود لو يبتسم شيئا ما ولكنه لم يستطع .

وقال جاويل بلهجة ود كارتر ازاءها أن يهجم عليـه رغم جدار الزجاج :

ــ انت وشانك . ولنتكلم الآن فى موضوع أهم . سيصرف لك دريكسل مائة دولار أسبوعيا من أصل مرتبك وانت فى السجن وبأثر رجعى . وسـوف يستمر الدفع طوال مدة عقدك . كان لى حديث طويل معه بخصـوص ذلك مساء يوم الجمعة .

دهش كارتر . كان الفونس دريكسل رئيس شركة تريومف للانشاء ، وقد احتفظ بحياد بارد أثناء قضية كارتر ، وعندما شددوا عليه الضغط لاصدار بيان قال اقل ما يمكن فى صالحه : « انه ، بقدر ما أعرف أنجز أعمالا طيبة ، فى حدود ما طلبت منه . واذا أردتم رايى فيما اذا كان قد اختلس كل او بعض النقود فاننى أقول لا أعرف شيئا على الاطلاق ، وهذا كل شىء » .

قال كارتر :

ـ هذا جميل منه . وماذا كانت نتيجة ذلك الحديث ؟

ـ انا على الأخص الذى تكلمت .. اقنعت دريكسل تقريبا بأن اللص الوحيد فى هذه المسألة هو والى بالمر . واذا أردت المزيد فاننى أحسسته بأنه لم يبذل ما فيه الكفاية أثناء المحاكمة للافراج عنك ، انت البرىء ، وهو يشعر الآن بالذنب نحوك . واذ يدفع لك جزءا من المرتب فذلك للتكفير عن هذا الذنب بعض الشىء . ومهما يكن فقد اقترحت عليه ذلك . واظن انك بحاجة الى ذلك المبلغ .

تساءل كارتر ان كان الأمر بسيطا ومباشرا هكذا . من الواضح أن جاويل اراد أن يبدو وكأن له الفضل فى ذلك . ولكن لماذا ؟ .. الأنه كان هو الآخر مذنبا كبالمر ؟ ولكن كارتر لم يكن واثقا من ذلك فلم تكن هناك صداقة متينة تربط بين الاثنين ، غيران ذلك لا يثبت شيئا . لاشىء أثبت شيئا فيما عدا بعض الشيكات والكروت المصرفية المتداولة بينهما .

قال :

ـ شكرا جزيلا . هذا الخبر سوف يسعد هازل هى الأخرى .

تمتم جاويل :

ـ ولم تكن هذه اول مرة اتحدث فيها عن ذلك مع دريكسل.

ونظر الى ابهامى كارتر المضمدين وهز راسه واردف :

ـ ان زوجتك تقول ان ابهاميك لايزالان يؤلمانك .

اجاب كارتر :

ـ نعـم .

ـ هذا امر سيىء ، ثم ان هناك خطر الادمان .

ـ اعرف ذلك . قال لى الدكتور انه سيعطينى شيئا آخر .. ربما اقراص ديموريل .

هز جاويل راسه وقال :

ـ هناك فى كل قصة كبش فداء ، ويمكن القول انه انت فى هذه المناسبة .

قطب كارتر جبينه وهو ينظر الى منفضة السجائر التى امامه . ما معنى كل هذا ؟ هل يرى دريكسل الآن انه برىء تماما ام ماذا ؟ .. نصف برىء .. ولماذا لم يكتب له بذلك . ولكن لعله يخشى ان يعترف بشىء على الورق . وادرك فجأة ان دريكسل يذكره بجيفرسون دافيس ، صديق قديم ، متقدم فى السن ضعيف الارادة وحاد المزاج . وقال جاويل :

ـ من الخير ان هازل سترحل لبضعة ايام ، فلا ريب انها قضت اوقاتا عصيبة فى هذه الشهور الأخيرة .

ـ سترحل .

ـ الى فيرجينيا . مع سوليفان ، فى عيد الميلاد . الم تقل لك ذلك ؟ .. انها زارتك اليوم ، اليس كذلك ؟

عصف به انفعـال مؤلم .. مزيج من الغيرة والغضـب ، واحساس سخيف بأنه استبعد من شيء ما .

ــ نعم ، زارتني . ولكن كان لدينا الكثير لنتبادله بحيث لم تحدثني عن ذلك .

نظر جاويل اليه في اهتمام وقال :

ــ نعم . ان لسوليفان أصدقاء هنـاك ، أصدقاء لهم بيت كبير .. قصر ملحق به اسطبل وحوض سباحة وغير ذلك .. آل فينورز .

لم يسبق لكارتر أن سمع بهذا الاسم ، ولعل هازل لم تشأ أن تحدثه عن هـذه الرحلة اشفاقا من أن يسبب له ذلك بعض الازعاج وهو سجين ، وتساءل هل يمكن أن يكون هذا الاحتمال صحيحـا .

ــ ان سوليفان يشملها بكل المجاملات ، ولا أعتقد أن له حظا كبيرا معها ، ولكنني أظن أنه يعشقها حقا ، والواقع أنه ليس من الصعب الوقوع في حبها .. هل تذكر تلك الليلة التي سكرت فيها وغازلتها . أرجو أن لا تكون حاقدا علي يا فيل ، وأنت تعرف أنني لم أحاول اعادة الكرة أبدا .

ــ نعم ، انني أعلم ذلك .

وقال جاويل وهو يضحك :

وانا واثق ان سوليفان يضيق عليها الخنـاق بطريقـة حاذقـة .

حاول كارتر ان يبدو كأن كل ذلك لا يزعجه على الاطـلاق . ولكنه تململ في مقعده وتملكه التوتر ، فان سوليفان معسـول القول ، ومتحضر جدا ، ولا ريب أن له طريقة ماكرة في ممارسـة

الغزل .. ثم أن له صفات كثيرة تروق لهازل ، وهي الآن وحيدة ولا احد بجوارها ، ومن الجائز ان لها علاقة خفية مع سوليفان خاصة وانها تعرف كيف تكون كتومة ، ويمكن تماما أن لا تطلع زوجها على شيء لأنها تعرف ان ذلك قد يودى به ، وقال لنفسه انهما لم يضيعا الوقت لأنه لم يدخل السجن الا منذ ثلاثة شهور، ومثل هذا الأمر يجب ان يبدأ فورا او أن لا يحدث على الاطلاق .

انتهت الزيارة واذ رأى كارتر الحارس يقترب نهض مرة واحدة ، ونهض جاويل هو الآخر . وتفكه فى غباء فقال انه سيأتيه فى المرة القادمة بملف لكى يدرسه وأشار اليه بيده ثم انصرف وغادر كارتر غرفة الاستقبال مسرعا .

وعندما بلغ العيادة كانوا يقدمون العشاء ، وكان بيت ينقل الأطباق كلما صعد بها المصعد ، فقد كان الطعام يأتى من بعيد ، وكان باردا جدا .

تناول كارتر عشاءه وهو جالس على حافة فراشه لأن العيادة لم يكن بها مائدة كبيرة تسع كل الأطباق . ووضع كتابا مفتوحا فوق الفراش ، متكئا على مرفقه الأيسر . كانت رواية تاريخية ضخمة ، متوسطة الجودة لم ترق له فى البداية . ولكنه لم يلبث أن أدرك أنها تساعده على قتل الوقت لأنها كانت ، من موقف الى آخر مثيرة ، وقد حيرته تماما . وراح ينظر الى الكتاب الآن بين قضمتين دون ان يرى كلمة واحدة مما هو مكتوب . وكان طعامه مكونا من هامبورجر تفوح منه رائحة فاصوليا حامضة ، وبطاطس مهروسة تسبح فى صلصة رمادية شاحبة تعلوها طبقة من الشحم المتجمد . ولم يكن الطعام يقدم فى أطباق وانما فى صينية ، والجزء الوحيد الصالح للأكل هو الخبز ، وهو عبارة عن كسرتين مع قطعة صغيرة من الزبد . وأكل كارتر بملعقة ، فلم يكن مسموحا للمساجين الحصول على سكين أو شوكة ،

وازدرد القهوة جرعة واحدة من فنجان من البلاستيك ، ثم حمل الصينيــة الى الطرقة ووضعهــا على الأرض بجوار المصــعد . وسينقلها بيت فيما بعد الى المصعد مع غيرهــا من الصــوانى والملاعق .

وعاد كارتر الى فراشـــه ، وأخذ من فوق المنضــدة قلما وامسك بالخطاب الذى كان قد سبق وكتبه لهازل واضـــاف اليه ما يأتى :

« حبيبتى هازل ، احسســت بانطبــاع طيب نحو ماجران كما قلت لى . ويؤسفنى جدا اننى كنت كئيبا اليوم ، وارجو أن تصفحى عنى .. انك كنت على حق عندما قلت لى ان ابهـــامى يؤلمـــانى (فلم اشأ ان اتعاطى حقنة قبل قدومك) وهو ألم يكاد يكون كألم الأســنان الذى يهد الأعصـــاب . ولكن الأمر أصبح محتملا الآن .

جاءنى ج.جاويل بأنباء طيبة . قرر دريكسل أن يدفع لى مائة دولار اسبوعيا وذلك بأثر رجعى وطوال فترة العقد . وقال لى ج. أيضا انك سترحلين فى عيد الميلاد مع دافيد ، وهذه فكرة طيبة حقا . فليباركك الله يا حبيبتى . اننى أحبك وافتقدك ، ولم يعد هناك مكان فى الورقة لكى أكتب لك المزيد » .

والواقع ان الورقة كانت قد امتلأت حقــا بحيث لم تســع اكثر من الحرف الأول من اسمه . وراح كارتر يتقلب فى فراشـــه ثم غلبه النوم وقد دفن رأســـه فى الوسادة لفرط ما لقيه من تعب لكى يكتب ، ولرثائه لنفسه بالذات . أحس بالبطولة لقوله انه مسرور لأنها راحلة مع سوليفان ، ومع ذلك فقد كان من الواضح تماما انه ليس بطلا ، بل كان على النقيض من ذلك . فأية بطولة فى ان يسدى خدمة لهانكى فى رغبته الواضحة فى أن يكون على علاقة ودية غامضة مع مجرم شقى . اما كان فى امكانه أن يشـــك

فى ان هانكى يدبر له لعبة قـذرة عندما طلب منه المضى بعلبتى السجائر ؟ كان غباء منه أن لا يرقى اليه اى شـك ، ولكى يعود الى أبعد من هذا الم يكن غباء منه أن يوقع على شيء لم يقراه أو يتحقق منه ، كايصـالات التريومف . كان من الممكن ان ترتفع الأسعار عند توقيعها ، وما كان فى مقدوره ان يعرف الفرق .
ولكى يعود الى أبعد من هذا أيضا الم يكن من الاهمال بحيث اجاب على سؤالين فقط من ورقة الامتحان لأنه لم يقرا الأسـئلة بعناية أو لأنه لم يقلب الورقة . لقد كانت النتيجة أنه حصل على درجة متوسط وهى درجة لا تؤهله الى الكثير فى الواقع . ولكن احد اساتذته زوده بتقرير فى صالحه لكى يحصـل على وظيفة . ومع ذلك فقد كانت تنتظره وظيفة حتى قبل حصـوله على المؤهل .
كان كل شيء سهلا بالنسبة له . وسره طوال حياته ان ينال كل ما يشتهيه المرء من سعادة وعيش رغيد .. حتى الآن .. مات أبواه .. ماتت أمه بعد شهور قليلة من ولادته ثم مات أبوه عندما بلغ الخامسـة من عمره . وتكفله عمه جون واحبه لأنه لم ينجب أولادا ، كما احبته زوجة عمه ادنا هى الأخرى كما لو كان ابنا لها . واستثمرا ثروة أبويه فى مشروع من اجله انفقا عليـه من ريعه فلم ينقصه شيء ، وابتاعا له سيارة عندما بلغ الثامنة عشرة ، ولم يبخلا عليه بالنقود للخروج مع الفتيات والانفاق عليهن ، ولم يضطر أبدا للعمل اثناء الصيف ، وكانت له صـديقات كثيرات بعد تخرجه من كليته ، وبعد أن حصـل على شقة خاصة به فى مانهاتن . وكانت له علاقات كثيرة بدت له الآن صبيانية جدا ، وأدرك أنها لم تكن لها اى جدوى الا تغذية غروره ، ثم التقى بهازل أولكوت ، وكانت مخطوبة وقتئذ لمزارع شاب يدعى دان ، له مزرعة فى البرازيل . التقى كارتر بها فى حفلة اقامها احد أصدقائه فى نيويورك ، ولفتت نظره على الفور وسأل صاحب البيت عنها ، وعرف عندئذ وجود المزارع الشـاب ، وكان هو الآخر فى الحفلة ..

شاب فى الثلاثين من عمره ، كله ثقة ، وفى نفس الليلة سألته هازل ان كان يريد ان يحضر حفلة عيد ميلاد أعدتها لأمها ، وقبل كارتر بذكائه العادي الدعـوة وهو يقول لنفسه ان الخطيب سـيكون موجودا هو الاخر ، وأمها كذلك ، وأصـدقاء أمها . وتلت الدعوة دعوات لم يكن الخطيب موجودا فيها لأنه كان يبدو كثير المشاغل رغم أن الزواج كان مفروضا ان يتم فى اغسطس . ثم جاء شـهر يولية ، ورغم أنه أحس ان هازل تشجعه فقد خشى أن يعترف لها بحبه لأنه احس لأول مرة فى حياته بان الحظ لا يبتسم له . ثم انه قال لنفسه ان هازل قد تستهجن اعترافه هـذا ما دام يعرف انها مخطوبة . وفى آخر يولية قال لنفسه انه ليس هنـاك ما يخسره ، وتمتم لهازل بأنه يحبها ولم تستهجنه إبدا وانمـا قالت له : نعم ، انني أعرف ولكن لا يزعجنك الأمر فقد فسخت خطبتي لدان منذ ثلاثـة اسـابيع .. يا للسـهولة العجيبة .. ويا للمعجزة ! .. واحس عندئذ ولأول مرة فى حياته بأنه سـعيد ، ودامت سعادته بالذات سبع سـنوات وشهرين . حتى اليوم الذى وقع فيه بالمر من فوق صقالته.

كان كارتر وادنا يتراسلان مرتين كل سنة . الآن . فبعد أن مات العم جون أنتقلت العمة ادنا الى كاليفورنيا للاقامة مع أخت لها . ولم يكتب لها كارتر منذ ان بدات القضية . بدأ بأن قـال لنفسه ان هذا الكابوس سوف يزول ، وان الأمور لن تلبث أن تنصلح بطريقة ما ، ولم يشأ ازعاج عمته بامره فقد تجـاوزت السبعين الآن . ولكن الكابوس ظل جاثما ، وقال لنفسه ان الوقت قد حان الآن لكي يكتب لها . كان كثيرون من أصدقائه قد قرأوا فى الصحف ما حدث له وكتبوا اليه كلمـات رقيقة ، ود لو يرد عليها ، ولكنـه لم يفعل ، وكان التفكير فى الكتابـة اليهم الآن بغيضا ، ومع ذلك فقد ادرك أنه ان لم يفعل فسـوف يكون ذلك بمثابة اعتراف بذنبه .

أستيقظ كارتر متوترا وقلقا لأنه راى حلما . وقام نصف قومة فى فراشــه ، ونظرالى الساعة فوق الباب . العاشرة والدقيقة العشرون ، فعاود النوم من جديد ، وقــد غطى العرق وجهــه وتسارعت أنفاسه ، وابتلع ريقه ، ومد يده ليتناول كوب الماء ورأى أنه فارغ .

لفتت نظره حركة فى ركن الغرفة . نهض الدكتور كاسينى من مقعده ، واقترب منه وهو يبتسم وقال كارتر :

ـ كلا لست بحاجة الى حقنة اخرى .

ـ لم اقل انك بحاجة اليها . هل رايت حلما بغيضا .

نطق كارتر بهمهمة غير مفهومة ، وغادر فراشــه لكى يأتى بكوب من المــاء ، وعاد به وهو ممسك به بين أصبعيه الصغيرين وسبابته ، وهى طريقة لم تعد تثير طرب اى احد . وكان أصعب شيء بالنسبة له هو تزرير قميصه وبنطلونه .

بقى الدكتور كاسينى واقفا بجوار فراشه وقال :

ـ اظن انك تســتطيع العودة الى عنبر الزنزانات غدا اذا أردت .

احس كارتر بشيء من التحدى فى كلماته . كان من الواضح ان الدكتور كاسينى يرى ان حالته قد تحسنت جدا الآن . وراح الطنين يدوى فى راســه بسبب المورفين .

ـ وربما تستطيع البقاء هنا اذا شئت ان تساعدنا ، فانت ترى اننا بحاجة الى مساعدين . حتى بدون ابهاميهم .

نظر الدكتور كاسينى اليه كما لو انه يرى من الأهمية ان يتخذ كارتر قرارا ، واستطرد يقول :

ـ لا اعرف اى عمل سيعهدون به اليك فى عنبر الزنزانات . . ربما عمل زراعي . . أو صناعة الأحذية أو النجارة . . كل ما يخطر لى على بال مستبعد بسبب ابهاميك . ومن ناحيــة أخرى قد نستطيع ان نلتقط لك اشعات أخرى بعد اسبوع . يجب أن يزول الالتهاب أولا ، وقد يكون من الخير لك البقاء هنا .

احس كارتر لحظة بالغثيان . . رائحة المطهرات والقصارى والبواسير والفتاق . . كل ذلك عــاد الى ذهنه مرة واحدة . . ثم . . ثم الخوف من الادمان على المورفين لأن الحصــول عليه فى العيادة أمر ميسور .

وقال الدكتور كاسينى فى هذه اللحظة بالذات :

ـ لا يمكنك الحصول على ما تريد من مورفين بسهولة كما تعرف .

ـ اعلم ذلك . وقد قلت لى انك ستعطينى شيئا آخر .

عقد الدكتور ذراعيه وابتسم وقال :

ـ لن تكون له فائدة كبيرة .

خطر لكارتر ان الدكتور نفســه قد يكون مدمنا ، وقد واتته هذه الفكرة قبل ذلك ، ولكنه لم يكن متأكدا . ولم يكن هــذا ليهمه على كل حال ، ولكن بدا له كأن الدكتور كاسينى يدفعــه دفعا للاستمرار فى تعاطيه والاعتياد عليه ، وربما مثله .

قال كارتر :

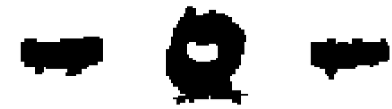
ـ استطيع ان اجرب على كل حال .

وجلس فى فراشــه .

ـ حسن جدا . غدا صباحا ساعطيك الأقراص . ويمكنك ان تمضي الى الغابة اذا اردت .

وابتعد ، ولكنه استدار فجاة وقال :

ـ اذا واجهتك مشاكل فى العمـل الذى يعهدون به اليك فاخبرنى ، فقد استطيع مساعدتك .



هبط كارتر فى صباح اليوم التالى الى العنبر رقم ١ وفى جيبه دستة من الأقراص ، واغراضه مربوطة فى قميص . وكان الدكتور كاسيني قد ضمد له ابهاميه بحيث يكونان فى مأمن من كل شيء ، وكانت الساعة قد اشرفت على التاسعة والمساجين يباشرون أعمالهم . ونظر الحارس الى تصريح كارتر ، والقى نظرة الى ابهاميه ثم مضى به الى زنزانته القديمة . وكان الحارس جديدا بالنسبة لكارتر ، والزنزانة يشغلها رجلان حاليا ، وقد ادرك كارتر ذلك وهو ينظر الى الحزامين المرقمين المعلقين بالباب والمنشفتين . وكان هانكى لايزال مقيما بها وقد عرف كارتر ذلك من الصورة الملونة للشقراء الموضوعة فوق المنضدة والخاصة بهانكي .

وقال الحارس :

لعله يجب وضع سرير نقال هنا .

كان كارتر يعرف ان العديد من الزنزانات يقيم بها ثلاثة رجال رغم انها مبنية فى الأصل لاقامة سجين واحد . واشفق من ان يتواجد من جديد مع هانكى والرجل الآخر ، خاصة وان كلا منهم يمكن ان يصطدم بالآخر عند اقل حركة ؛ فقال :

ـ اليس هناك زنزانة اخرى ؟

قال الحارس وهو يلوح بتصريح كارتر :

ـ اذا قبل الزنزانة رقم ٩ فى الزنزانة رقم ٩ . انتظر هنا .

ومضى نحو القفص .

كان كارتر يعرف أن الانتظار سيطول ، فاجتاز الطرقة وتهالك فوق مقعد خشبى ، وانتظر نحو خمس وأربعين دقيقة قبل أن يعود الحارس . ونهض عندما رآه . وقال الحارس :

ـ سيأتون بسرير نقال بعد دقائق ، فادخل .

عاد كارتر الى الزنزانة رقم ٩ . ولما لم يكن هناك فراش خاص به فلم يعرف أين يضع اغراضه فوضعها فوق الأرض ثم تمدد فى الفراش السفلى تاركا قدميه يتدليان نحو الأرض .

وجاء السرير النقال . جاء به سجين لم يسبق لكارتر أن رآه . وحاول أن يساعده فى اعداده ولكنه لم يستطع بسبب ابهاميه المضمدين . وقال له السجين :

ـ « لا تراع » واعد السرير فى ثوان ، كما لو كان قد فعل ذلك مرارا ، وكان شابا اسمر الشعر يبدو ايطالى الجنسية وسأل :

ـ هل علقوك من ابهاميك ؟

ـ نعم .

القى الشاب نظرة سريعة حوله من خلال باب الزنزانة المفتوح ثم قال :

ـ جميل ان ضمد هؤلاء الأوغاد أصابعك . ارجو أن يكون زميلك ظريفا لكى يعاونك فى اعداد الفراش .

ـ شكرا .. شكرا جزيلا .

ـ اسمي جو زوك .

ـ وانا اسمي كارتر .

ووضع قرصا في فمه وانحنى فوق صنبور الحوض وامتص الماء الذي تجمع في كفيه ثم استلقى فوق السرير النقال في انتظار ان يقوم المسكن بمفعوله . ومضت عشر دقائق دون ان يلحظ اي تغيير في المه ، وشك في ان الدكتور كاسيني قد خدعه واعطاه اقراصا لا مفعول لها ، ولعنه كارتر في سره ، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة وخمس دقائق ، وسيعود الرجال بعد عشر دقائق لقضاء ربع ساعة من الراحة قبل الغداء ، وكان الدكتور كاسيني قد قال له :

ـ اذا رايت انك بحاجة الى حقنة فاطلب من احد الحراس تصريحا لكي تصعد الى العيادة ، ولكنه لم يعطه شيئا كتابة .
وابتلع كارتر قرصا آخر كيفما اتفق ، ثم خرج من الزنزانة .

كان الحارس المنوط به الحراسة في تلك الساعة هو شرنيفر ، ولم يكن هناك احد غيره . ونظر الى كارتر بعينين متسعتين لفرط الدهشة ، ربما لأنه رآه يخرج من زنزانه كان يعتقد انها شاغرة ، او ربما لأنه تصور ان كارتر يخرج من القبر . وقال له كارتر :

ـ اريد تصريحا للذهاب الى العيادة .

ـ ماذا بك ؟

ـ انني اتالم . قال لي الدكتور كاسيني انه يستطيع ان يعطيني حقنة عندما احتاج اليها .

ارتسمت على وجه شرنيفر النحيل تقطيبة قد يكون سببها الاشمئزاز او الذهول ، وقال :

ـ اذن فقد عدت الى الغابة .

ـ نعم يا سيدى . ولكن مسموحا لي ان امضى الى العيادة وقت الحاجة .

كشف شرنيفر عن اسنانه دليلا عن عجزه ، ومضى نحو القفص . وادخله ، ومر امام الحارس الثاني واختفي خلف متاهة القضبان المزدوجة .

وانتظر كارتر . كان يقف في منتصف الطرقة تقريبا . وكان في مقدوره ان يمضي حتى نهاية العنبر وان يستدعى المصعد ، ولكنه لم يكن متأكدا ان فتي المصعد سيمضي به الى العيادة بدون تصريح ، حتى ولو كان الألم يعصف بكل كيانه . عاد الرجال زرافات من المصنع ، وهو ينتظر بحيث لم يستطع ان يرى اذا كان شرنيفر عاد ام لا ، او اذا كان هانكي وزميله دخلا الزنزانة رقم ٩ ام لا . وخشي ان يري هانكي اغراضه ويعرف صاحبها او أن يرى السرير النقال ويتملكه الغضب بسبب الوافد الجديد . في مقدوره تماما أن يطوح بالأغراض أو بالكتب وبخطابات هازل وصورتها بعيدا وان تقع في يد اى شخص . وامضه الألم وارهقه واوشك أن يفقد رشده . ضاع كل أمل له في الحصول على تصريح ، ولا ريب ان شرنيفر كان مشغولا باحتساء القهوة من آلة التوزيع في صالة الانتظار .

قال له بعضهم في صوت مرح :

ـ اهلا يا كارت . ولكنه عندما نظر الى الجهة التى صدر منها الصوت لم ير غير ظهور تتحرك . والقى نظرة حوله يبحث عن حارس آخر ، وتشبث بقبضان زنزانة كانت مفتوحة ؛ ورأى زنجيا داخل الزنزانة يقول له شيئا لم يسمعه ثم اغمي عليه .

وعاد الى وعيه فوق سريره النقال . وكان هانكى ينظر اليه

وقد وضـع قبضتيه الضخمتين حول خصره ، وسجين آخر اسود ينظر اليه بعينين متسـعتين بياضهما يبرق بطريقـة غريبـة . واحس كارتر بأن جبينه مبتل وكذلك شعره ، ربما من العرق او من ماء القي عليه . وقال له هانكى :

ـ اذن فقد عدت .

سمع كارتر سؤاله ولكنه لم يستطع ان يعرف المعنى الذي يقصده . وافلح فى الوقوف وهو يقول :

ـ يجب ان أمضى الى العيادة . وتقدم بضع خطوات فى مشية بالغة ، وتراجع الزنجى خطوات وكذلك سجين آخر كان يقف ويراقب ما يدور . وسار كارتر وهو يترنح الى الطرقـة وتحول فى طريقـه الى المصعد . كان هناك حشد يندفع الآن نحوه لأن الرجال كانوا فى طريقهم الى قاعة الطعام ، وتقع على يسـار القفص . واصطدم بعضهم به ، ودفعوه بمناكبهم ، فارتد الى الخلف واصطدم بغيرهم ، وصاح بعضهم :

ـ ايه يا انت .! . هل انت سكران ؟

ـ واين اجد ما اسكر به ؟

ضحكات .

ـ انت لا تسير فى الطريق الصحيح .

لم يكن امامه الا بضع خطوات لكى يصل الى المصعد . سيطلب من الدكتور كاسينى ان يهبط اليه اذا لم يتمكن هو من الصعود .

ـ ايه يا كارتر ...

ـ انه كارتر .

وصاح احد الحراس فى صوت مرتفع :

ـ انت يا كارتر !

وهوت على رأسه بعد ذلك مباشرة مطرقة ، دوى رنينهـا كرنين الجرس . وفى اللحظة التى وقع فيها ارتطم شيء ببطنـه ولم ير غير السواد بعد ذلك ، وسمع هديرا عاليا كما لو انه فى بحر خضم ، ودوت صفارة ، ومشوا على ابهاميه ، ومشوا على كل جسده ، ولم يؤلمه شيء فى الواقع غير ابهاميه . ولم يلبث أن جرته بعض الأيدى وتركته بجوار بعض القضبان ، وهنـاك انهار فوق الأرض .

انطلقت صفارة ثلاث مرات . وصاح الحراس خلال الصمت المفاجيء ، ورأى كارتر من خلال عينيه النصف مفتوحتين المساجين يبطئون ويتفرقون ثم لم يعد هنـاك غير دبيب الأحذيـة على الأرض . كان هناك حارس طريح فى الطرقة ، على بعد عشرين قدما منه . وكان وجهه مخضبا بالدماء وقبعته على الأرض على مقربة منه . واقترب حارسان شاهرى السـلاح نحو الحارس الملقى على الأرض ، وراحا ينظران الى المساجين الذين بداوا يتقهقرون . وصاح أحد الحارسين :

ـ من فعل هذا . . . من الذى لمس هذا الرجل ؟

وقف ثلاثمائـة سـجين مكانهم صـامتين بحيث بدا انهم لا يتنفسون !

ـ عودوا الى زنزاناتكم . . . جميعا . . . عودوا . . . هل تسمعون ؟

ارتفعت همهمة فى الخلف ، اعقبها ضحكة حادة قويـة . وعادت الحياة ببطء الى المساجين . وعادوا الى زنزاناتهم وهم يجرون اقدامهم فى صـوت واحد .. ونظر أحد الحارسين الى كارتر فى شيء من الجد ، ثم انحنى فوقه كزميله الذى كان جاثيا

على ركبتيه بجوار الجسد الممدد على الأرض . واستطاع كارتر ان يرى عندئذ أن الحارس الممدد هو شرنيفر بالذات .

صدر صرير من باب العنبر ، ودخل اربعة حراس جدد مدججين بالسلاح ومروا مسرعين امام المساجين الذين بداوا يعودون الى زنزاناتهم فى جماعات صغيرة . وشهر الحراس الأربعة مسدساتهم ، ودوت أحذيتهم على الأرض . وقال احدهم :

ـ انه شرنيفر .

ـ وهو ميت .

ـ من فعل هذا ؟

ـ اوه .. الجميع .. الجميع بلا استثناء . كان العنبر يزخر بهم .

وارتفع صوت من بين صفوف المساجين قائلا :

ـ هذا صحيح . وكان يمكن ان تكون انت . واعقبت تلك العبارة قهقهات وهتافات وقال احدهم :

ـ القوا به حيث تلقون قمامتكم .

راح الحراس الأربعة يجرون فى كل ناحية من العنبر ، شاهرين مسدساتهم وهم يسبون المساجين وصاح احدهم :

ـ اصمتوا .. اصمتوا وكفوا عن بذاءاتكم والا ستتلقون الرصاص من خلال القضبان .

وصاح حارس آخر بصوت جهورى :

ـ اغلقوا ابوابكم .. اغلقوا كل الأبواب .

اغلقت الأبواب ، وراح الحراس يجيئون ويذهبون وفى عيونهم

نظرات التهديد نحو الزنزانات ، وسرعان ما ارتفع طنين أشبه باقتراب جيش من النحل أو بهبوب ريح عاتية ، ورأى كارتر وهو ينظر الى الزنزانات التى تواجهه كل الرجال .. وقوفا خلف القضبان ، مطبقين افواههم ، والهدوء مرتسم على وجوههم ، ولكن الطنين استمر يرتفع فى نظام وبقوة من جميع الزنزانات .

صاح احد الحراس :

ــ كفوا عن هذا الهدير والا القينا بكم جميعا فى الجحور .

ولكن الهدير ازداد ارتفاعا .

حمل الحارسان الجسد الهامد نحو القفص . وتعثر احدهما واوشك ان يقع فراح احد المساجين يضحك فى جنون .

اصطفقت بعض الأبواب ، ثم غيرها وغيرها ، ولم تلبث ان سرت ضجة آلية كما لو ان آلة ضخمة أصابها التلف . وجاء حراس آخرون وراحوا يركضون فى كل ناحية من العنبر وهم يصرخون ، ولكن احدا لم يتمكن من سماع ما ينطقون به . وانطلقت رصاصة فجأة ، ولم يعرف كارتر من من الحراس أطلقها ، وفجأة اطلق جميع الحراس الرصاص الى اعلى نحو السقف ، وارتفع الدخان من مسدساتهم ، وران صمت تام بحيث ان كارتر أصبح يسمع انفاس الحراس اللاهثة ، كانت عيونهم جاحظة ، يرددون البصر فى كل مكان لكى يروا ان كان هنالك من يجرؤ من المساجين على القيام باية حركة .

تقدم حارسان ، مونان ورجل آخر ، فى بطء ، كل منهما من احدى ناحيتى العنبر ، شاهرين مسدسيهما . واذا رأيا ان الهدوء قد عاد سارا حتى آخر القفص ، وارتفعت عندئذ همهمة .. همهمة جماعية ، وادرك الرجال الذين خلف القضبان انهم سيحرمون من الغذاء .

قال احد الحارسين وهو يقترب من كارتر :

ـ من هذا ؟ .. من انت ؟

ـ كارتر ... ٣٧٧٦٥ .

ـ ما الذى وقع لك ؟

واذ راى كارتر ان الحارس منفعل ويوشـك ان يضربه بذل جهدا كبيرا لكى يقف ،وتشبث بباب اقرب زنزانة ، واحس بيد احد المساجين تساعده ، اخرجها صاحبها من بين القضبان وساعده على النهوض . وكانت يدا سوداء .

ـ يجب ان امضى الى العيادة .

ساله الحارس :

ـ اين تصريحك ؟

جفف كارتر سيلا من شىء يجرى على وجنته ، وادهشه انه دم وقال :

ـ كنت فى طريقى لطلب تصريح ، ولكنهم اوقعونى .

ـ من اين انت ؟

اجاب كارتر اوتوماتيكيا وهو يرفع احدى يديه قليلا :

ـ من العنبر رقم ١ ، زنزانة رقم ٩ . قال الدكتور اننى استطيع ان آخذ حقنة كلما احتجت اليها .

قال له الحارس :

ـ تعال ... وتقدم نحو القفص .

افلح كارتر فى ان يتبعه وهو يتشبث بكل ما تقع عليـه يداه

من قضبان الزنزانات التى يمر بها . وارتفعت منها همســات التشجيع ، وكذلك بعض عبارات السباب ضد الحراس ، ودخل الحارس الذى يتقدمه القفص ، وخرج بعد قليل ومعه تصريح واشار اليه وتقدم كارتر نحوه بضــع خطوات ولكن قواه خذلته ووقع . وصاح الحارس :

ـ ادى ... فرانك ... هلما ساعدانى .

وامسكوه من ذراعيه ، ودفعوه نحو آخر العنبر الذى بدا له الآن وكأنه استطال الى خمسة عشر كيلو مترا ، وعندما بلغوا المصعد حمله الحراس الثلاثة تقريبــا ودخلوا به وهم يتمتمون ان شرنيفر لقى حتفه لهذا السبب .. بسبب ابهاميه : « يا لها من حياة قذرة لا تســـاوى ما يدفعونه لنا .. أولاد العاهرات .. واذا حدث وقتلنــا واحدا عرضا ... آه ... » وانفتح باب المصعد .

اقبل بيت وعلى وجهه إمارات الدهشة ، وعينه الوحيدة مفتوحة على اتساعها . وقال له أحد الحراس :

ـ ضربه بعضهم .

سار الى فراشه القديم بمعاونة بيت وهو يحمى ابهاميه حتى النهايــة .. حتى اللحظــة التى اســتلقى فيها على ظهره واستطاع أن يمدد يديه تحت الغطــاء . وسأله بيت وهو يعد الحقنــة :

ـ ما الذى حدث ؟ ... يا الهى .. ان حاجبك وارم .. انتظر لحظة .

لم يكن المورفين قد بدأ مفعوله بعد ، وتصــوره كارتر يسرى بقوة خــلال عروقه ، يبحث عن الألم يمينا ويسارا ويجده ..

وينازله مسرعا كالنمر الذى ينقض على فريســته . وكان بيت يمسح جبينه بالحكول .

ـ ماذا حدث ؟ .. سمعتهم يقولون ان تمردا وقع . تناهت الضجة الى آذاننا . هل جرح أحد الحراس ؟ .. لقد استدعوا الدكتور تحت .. هل ضربوك ثانية .

لم يكن فى صوته اى ود ، وانما مجرد فضـول . وقـال كارتر :

ـ قتل شرنيفر .

أسرع بيت يقول :

ـ الى حيث القط . ولكن من الذى قتله ؟ هل رايته ؟

اجاب كارتر فى صوت ناعس :

ـ الجميع يا بيت.. يجب ان استرد اغراضى من الزنزانة رقم ٩ .

ـ حسنا . سأهبط وآتيك بها .

الفى كارتر نفسه مع الأحلام التى فى راســه . راى هازل بثوب الاستحمـام الأزرق والأبيض ، وبقبعة ، كمـا تبدو فى الصيف .. اين ؟ .. اين ؟ .. واى صيف ؟ .. رأى شاطئا طويلا مشمسـا ، وتيمى على الشاطىء فوق الرمال ، والســماء الزرقاء تمتد فوقهم الى مدى البصر .. مضـوا بعد ذلك الى مطعم واكلوا سمكا ، ثم استقلوا السيارة وعادوا الى الفيللا التى استأجروها . ورفعت هازل وشاحها وتركت الريح تصفر خـلال شعرها .. تذكر كارتر الآن .. كان ذلك فى نيوهامبشاير ، منذ سـنتين .

وفيما بعد ، ومن غير ان يستيقظ تماما راح يتقلب فى فراشه لأن الألم عاوده ، ورأى بيت منحنيا فوقه . وبدا له وجهه ورأسه كبيرين . ورغم أنه كان يتجنب دائما النظر الى عينه الفارغة فانه لم يستطع أن يحول بصره عنها ، كما لو كان واقعا تحت مغناطيس . كان بيت يبتسم مسرورا وفى شىء من الطرب وهو يرى أن كارتر لا يستطيع تحويل عينيه عن هذا التجويف .

ثم استيقظ كارتر تماما ، ونظر الى عين بيت مباشرة وصرخ . وصرخ مرة اخرى وراح يتقلب لكى يتخلص من يدى بيت اللتين تتشبثان بيديه . واقبل الدكتور كاسينى فكف كارتر عن الصراخ فجأة . كان متكئا الآن على أحد مرفقيه ، واحد ابهاميه المضمدين فى عينه هو بالذات .

واعطوه حقنة اخرى . وقال الدكتور فى مرح :

ـ ليس هذا بمورفين على الاطلاق ، وانما هو مسكن أكثر فاعلية .. يا له من يوم يا فيليب .. هاها .. لقى السيد شرنيفر حتفه (ونطق بهذه العبارة الأخيرة فى ارتياح) .

وفى الأيام التالية كان مصرع شرنيفر والهدير والهمهمة حديث الدكتور كاسينى وبيت وألكس فى العيادة ، واتفقوا على أن ذلك الهدير وذلك التمرد لم يكن لهما من سبب ان لم يكن سببا تافها كرداءة الطعام . كان مقتل شرنيفر حادثا تافها ومن كثرة الحديث عنه بدا لكارتر أنه حادث تافه وتافه جدا .

كان لزاما على كل سجين يستطيع السير حضور قداس يوم الأحد الذى يقام فى الساعة العاشرة صباحا . وقد حضره كارتر ، وحياه بعض المساجين فى صمت . ولم يكن قد سبق لهم أن حيوه فى السجن . ومع ذلك فلم يكونوا اكثر من عشرين او ثلاثين سجينا من المائة الذين حضروا القداس . وتكلم الواعظ بعد الصلاة

والتراتيل عن الحـارس توماس شرنيفر الذى لقى مصرعه يوم الاثنين أثناء قيامه بواجبـه ، وطالب الرجال أن يغسلوا قلوبهم من كل ذنب وان يغفروا للذين من بينهم الفارقة قلوبهم فى الجهل والذين حادوا عن الطريق القويم وارتكبوا هـذا الاثم ، وان يصلوا لروح توماس شرنيفر . واحنى كارتر رأسـه مع الآخرين ، وكان يجلس فى آخر الكنيسة تقريبا ، وسمع بضع همهمات وضحكات لم يستطع أصحابها كتمانها .

- ٦ -

التقى كارتر بماجران مرتين خلال الشهر الذى تلا مصرع شرنيفر ، وكان يعيد الاجراءات التى سبق أن قام بها توتنج ، ولكن بطريقة أكثر عمقا ، فوجد شاهدا .. موظف بالبريد يدعى جوزيف دودى تذكر انه أجر صندوقا بريديا لوالاس بالمر فى يولية الماضى فى مدينة تعرف باسم بونتدهيل ، على بعد مائة كيلو متر من فريمونت . وتذكر دودى ، عندما رأى صورة بالمر انه أجر له صندوق بريد باسم آخر غير اسمه . وقيل الكثير أثناء نظر القضية عن صندوق بريد رقم ٤٢ بأوجيلفى وآخر برقم ١٩٥ بسوتيبرايد ، وكانا مدونين على بطاقة بحافظة بالمر ، ولكن لم تصل أية رسالة الى هذين الصندوقين بعد موته . وقد اتضح أن الموردين الذين تدفع لهم شركة تربومف من أموال مجلس ادارة المدرسة لا وجود لهم ، وان بالمر اختلق هذه الشركات والمعدات التى توردها وتسلم المال نيابة عن الشركة فى مختلف صناديق البريد التى اتخذها باسماء مستعارة . وقد سأل كارتر ماجران اذا كان يظن ان جاويل قد تسلم مالا من بالمر فأجابه بكل هدوء :

ـ هذا ممكن فان ذلك المال ذهب الى مكان ما .

ومن ناحية اخرى فان دافيد سوليفان ، وكان قد أتى لزيارة كارتر مرة اخرى فى ذلك الشهر ، وهى زيارته الثالثة أو الرابعة له وهو فى السجن كان يبدو مقتنعا تماما باشتراك جاويل ، ويزعم

أن فى استطاعته اثبات ذلك ، وقال انه تحدث كثيرا مع ماجران ؛ وانهما يتعاونان معا فى محكمــة النقض ، غير أن سوليفان كان محاميا مدنيا ليس من حقه المرافعة فى القضايا الجنائية ، ثم ان كارتر لم يدفع له . وكان لدى كارتر احساس غامض بأن جاويل على حق وأن سوليفان يحــاول الظفر بانطباع حسن لديه لازالة الاستياء الذى قد يشعر به لكثرة رؤيته لهازل .

وجاء عيد الفصح ومر شهر . ورأى كارتر ماجران يوم الأحد ، وكان قد اخذ حقنة من المورفين قبل قدومه . وكان يحقن نفسه بنفسه الآن ممسكا بالحقنــة بين أصابعه ويدفعها بكفه . وساهم المورفين وجدية الحديث فى رفع معنوياته وفى ازالة الحزن الغامض الذى يعصف به بسبب عدم قدوم هازل فى ذلك اليوم . وفيما بعد استطاع وهو مستلق على فراشه بالعيادة أن يبتسم وهو يفكر فيما يمكن أن تفعله هازل فى ذلك الوقت . لعلها تأخذ حماما شمسيا وهى تجرع كأسا بجوار حوض ســباحة مضيفها وتثرثر مع سوليفان وآل فينورز وتستمع الى الاسطوانات وهى تدور . سيتخذون بعد ذلك أماكنهم امام مائدة كبيرة عليها مفرش كبير فوق أطبــاق بها أشهى الأطعمة . ولعل سوليفان سيطرى هازل بمجاملاته ويشملها بنظراته الوالهة عبر المــائدة .. أوه .. لم يهتم كارتر بذلك على الاطــلاق ، فان هــازل تحب المجامــلات .

وفى ليلة الأحد من عيد الفصح لم يستطع النوم رغم كل المورفين . كان ينهض من وقت لآخر وهو يترنح ليرد على شكوى أو نداء يهمهم به بيت . احس بأنه متواضــع جدا تلك الليلة . والواقع انه احس بأنه لاشىء على الاطلاق ، او كأن مقصا خفيا قطع فى تلك الليلة من عيد الفصح ما يربطــه بهازل . كان يستطيع أن يتصورها بكل وضوح كعادته . ولكنــه لم يشعر بأى تأثير

عندئذ . كان الأمر يبدو كما لو انهما غير متزوجين ، وكما لو انها لا تحبه وأنها لم تحبه على الاطلاق وبدا له ذلك عجيبا لا سيما وانه قال لنفسه فى اليوم السابق بالذات لاشىء يمكن الاضرار بى حقا لأن هازل ملك لى ولأنها تحبنى .

ولكنه عندما عاد الى فراشه توهم بأن سوليفان وهازل يرقدان فى الفراش معا ، ربما بعد أن مارسا الحب . كلا . ان سوليفان حرى به أن يعود الى غرفتــه على اطراف اصابعــه لأنهما فى بيت آل فينورز ، وراح يتقلب فى فراشه . لم يصدق هذا الوهم طبعا ، أو لعله صدقه ، واذا لم يكن قد صدقه فلماذا يخطر له ذلك ، أو اذا كان لايخشى ذلك فى الواقع فلماذا يفكر فيه ؟ انه يخشى ذلك بالطبع ، وقد اقر به منذ وقت طويل .

تقلب كارتر فى فراشه مرة اخرى ، وحاول ان يطرد هــذه الأفكار البغيضة . كان لابد له أن يصــل الى قرار سليم ، قرار فيه الأمل واخذ الأمور بجدية فى نفس الوقت ، فهناك أناس يفقدون أيديهم فى ماكينات السجن . ولكن من الصعب أن يصــل الى قرار سـليم فى الوقت الذى لم تصــل فيه خطابات ثم ان الخطابات التى حملته على كتابتها للمؤسسات القانونية لم يكن لها من نتيجة الا افادة وجيزة باستلامها ولاشىء أكثر . وفكر فى الشاهد الجديد الذى اكتشفه ماجران : جوزيف دودى ، وتساءل اى نوع من الرجـال هو . ثم تذكر شاهدة الاثبـات وأحس فجأة بتوتر شديد . امرأة تدعى لويزماكفى ، تعمل صرافــة فى فيرست ناشيونال بنك ، تذكرت ان كارتر اتى الى البنك ليصرف شـيكا بمبـلغ ١٥٠٠ دولار مســحوبا على التريومف لصـالح والاس بالمر ومظهرا باسمه . لقد احتاج بالمر الى نقود سائلة فى ذلك اليوم ، وطلب كارتر ان يمضى لاستلام قيمة الشيك نيابة عنه . واستغل المدعى العام هذه النقطة ، وقال ان كارتر صرف

الشيك واحتفظ بالنقود لنفسه . وبدا الأمر أمام القـاضي كما لو ان كارتر ضالع فى مسألة الاختلاس .

كانت هناك جلبة عند المصعد ، وأصوات تنادى الدكتور كاسيني . وجلس كارتر فى فراشـه ورأى حارسين يقفان فى الطرقة مع سجين ينزف ويكاد يغمى عليه .

كان الجريح شابا أشقر مجعد الشعر تلقى طعنة خنجر فى عنقه وبراسه قطع ينزف منه الدم بكثرة . وخاط الدكتور جرح الرأس فى غرفة صغيرة مجـاورة يطلقون عليها غرفة العمليات . وقال ان طعنة الخنجر لم تمس الشريان . ولكن الدم كان ينبثق من فم الشاب باستمرار .. تسبب سكين مثلوم فى جرح العنق ، وهو ثاني جرح يراه كارتر . كانت تلك السكاكين تصنع من معالق قاعة الطعام . وقال الدكتور كاسيني ان الزنزانات تزخر بهـا رغم الجهود التى يبذلها الحراس لكى يعيد كل سجين ملعقته مع الصينية . وخاط الدكتور كاسيني جـرح العنق كذلك ، وكان كارتر يعاونه فى تثبيت الخياطة .

ونقل الشاب الى فراش وحقن بحقنة مهدئة ، ولكن ما أن عاد كارتر الى فراشه حتى هب الشاب جالسا وراح يصرخ وهو ينازل أعداء غير منظورين وصاح كارتر :

ـ دكتور كاسيني ! ..

وعاد الدكتور كاسيني وهو يربط حزام منامته ، وتذمر قائـلا :

ـ آه ! .. اللعنة .. الا سبيل للنوم ! .. اين الابرة .

أمسك كارتر والحارس بالشاب . الحـارس من رأسـه فى حين جلس كارتر فوق قدميه . وصاح صوت من احد الأسرة :

ـ يا الهى .. كيف السبيل الى السلام والهدوء .

ورد الدكتور كاسينى يقول :

ـ اذا لم يرق لك الأمر هنا فعد الى العنابر واجعلهم يقطعون عنقك كما فعلوا مع هذا الشاب .

بدأ الجريح يهدأ ، وراح يلهث اخيرا . ونهض كارتر ، واتى الحارس بحركة صغيرة من يده ، وعاد كارتر الى فراشه وبقى واقفا بجواره مطبق العينين ، وهو يقول لنفسه ان النور الباهت الأصفر المنبعث من خلال الباب هو انسب نور لحالته الذهنية ، كما لو كان فجرا كاذبا عليلا .

وربت الدكتور كاسينى على كتفه وهو يضحك فى هدوء ، وتراجع كارتر . بدا كأن الحالات العاجلة والألم والدم وضعت الدكتور كاسينى فى مزاج بهيج غريب وقال الدكتور :

ـ سبق ان رايت هذا الشاب قبل اليوم ، اسمه ميكى كاستل ، وهو أكبر سنا مما يبدو ، ولكنه يعرف كيف يحتفظ بشبابه . وهو يصاب بجرح كل بضعة شهور . يا له من سجن غريب !

زمجر صوت من بين السرر وقد أزعج صاحبه دردشة الدكتور ، وتهالك كارتر فوق فراشه . وعاد الدكتور الى غرفته فى آخر الطرقة . وكانت الساعة قد بلغت الثالثة وعشر دقائق ، ويبدو أن الليلة لا نهاية لها .

ارتفعت صيحة حادة جعلت كارتر يرفع رأسه من فوق الوسادة . كان ميكى قد وقف من جديد . هبط من فراشه وهو يترنح ، وراح يضرب الهواء بيديه وهو لايزال شبه ناعس . ومضى كارتر اليه وقال :

اهدا يا ميكى .. انت فى العيادة ، ثم اسرع الى آخر الطرقة لاستدعاء الدكتور كاسينى والحـارس ، ولكن هذا الأخير لم يكن مكانه ، ولا ريب انه مضى الى دورة المياه . وكان ميكى قـد سار فى اثره ، فوقف كارتر وانتظره . وعندما اقترب منه تنحى عن مكانه فاصطدم ميكى بالبـاب فى عنف ووقع على الأرض . وكانت القاعة كلها الآن فى حالة من الاضطراب . واقبل الدكتور كاسينى مسرعا .

تمكن الحارس والدكتور من اعـادة ميكى الى فراشـه . واغمى على الشاب هذه المرة نهائيا . وقال كارتر :

ــ انه ينزف من عنقه من جديد .

قال الدكتور :

ــ اوه .. ان الأمر ليس خطيرا .. سأهتم به صباح الغد.

صباح الغد .. اى بعد ثلاثة إرباع الساعة بالتدقيق . ولهذا لم ينطق كارتر بشىء ، وعـاد الى فراشه . وخطر له بضع دقائق ان خياطة ميكى ربما انفتحت تحت الضمادة التى حول عنقه . وقال لنفسه انه لو لم يحم ابهاميه لاستطاع ايقاف ميكى قبل ان يصطدم بالباب . ولكن اذا كان ميكى لم يلق حتفه بهذه الطريقة فسوف يلقاه بطريقـة اخرى ، وليس مطلوبا من اى احد فى هذه الدنيا ان يكون ملاكه الحـارس وحاميه .

كان ميكى ميتا فى الصباح . لحظ كارتر ذلك قبل الجميع . كانت الأغطية والفراش غارقين فى الدم ، منعته الملاءة الكاوتشوك التى تحته من تلويث المرتبـة . واثار المنظر اعصابه ، فان رفع الأغطية بمثابة كشف عن جريمة قتل ، ولم يكن الأمر غير ذلك فى الواقع .

وهاج الدكتور كاسيني وصب لعناته على الحراس وعلى المساجين سواء . واستيقظ كل من فى العيادة وأصغوا اليه واهاجهم ان واحدا منهم قد قتل وكان من ضمن ما قال :

ـ ها هو رجل آخر يموت . وما فائدة الحراس اذا لم يكن لتجنب ذلك ، ولكن كيف يمكن تجنبه اذا كنتم تتصرفون جميعا كعصابة من الكلاب المسعورة .

أصغى كارتر اليه كالآخرين وقد تجمد مكانه . وعادت صوانى الطعام من غير ان يلمسها أحد . ولم يحاول كارتر وبيت رفع الأغطية والملاءة لأن الدكتور كاسيني كان يشير الى الفراش والجثة وهو يصخب ويلعن . كان بين ما يقول أشياء بدت نبيلة وصادقة ذكرت كارتر بالكلمات الأولى التى سمعها من بين شفتي الدكتور نفسه عندما جيء به الى العيادة مغمى عليه . ولكن هذا السخط النبيل للدكتور لم يدم طويلا . كان فيه شخصان على الأقل ، وقد يوقظ المورفين فيه اشخاصا آخرين مع الزمن . تأكد كارتر الآن أن الدكتور يتعاطاه لأنه راى انه يحتفظ بكمية احتياطية منه فى غرفته .

عجز كارتر عن الكتابة لهازل فى تلك الليلة . كان مهزوزا جدا . ليس بسبب موت ميكى فحسب ، وانما بسبب كل شيء . هل يمكن الوثوق بالدكتور كاسيني بما يكفى لكى يقوم بالتشخيص طبقا لصور الأشعة ليديه . شك كارتر فى ذلك الآن . وهل يمكن الوثوق به لاجراء عملية ؟ امضته هذه الفكرة بالذات ، وحقن نفسه بالمورفين للمرة السابعة قبل ان يأوى الى فراشه . لم تأته رسالة من هازل وهذا طبيعي اذا كانت قد رحلت يوم السبت مع سولبفان لأنها لم تجد الوقت لكتابة رسالة ، ولكن كان فى مقدورها أن ترسل بطاقة بريدية .

وفى منتصف الليل واتته فكرة أزعجته كثيرا ، فقد أحس

بانه يجب أن يقترح على هازل أن تنتقل للاقامة فى مدينة كبيرة اثناء المدة المتبقية له فى السجن . سوف تحتج طبعا وتقول انها لا تريد المضى الى نيويورك ولا الى اى مكان آخر لكى تستطيع المجىء لزيارته . ولكنه راى انه لابد له من الاصرار على رأيه مدركا أنها اذا انتقلت الى نيويورك فسوف يبعدها ذلك عن سوليفان . وتنهد . لم يكن هذا هدفه الرئيسى طبعا .

وحدثها فى ذلك يوم الأحد التالى فقالت :

ــ نيويورك ! .. ثم لزمت الصمت بضع دقائق ، ولكن كارتر راى من ملامحها أنها سبق ان فكرت فى ذلك . وعادت تقول : كلا يا فيل .. لا تكن احمق . وماذا أفعل فى نيويورك ؟

ــ بل ماذا تفعلين هنا ؟ .. انني إعرف مدى ملل هذه المدينة ، منذ ان اقمنا فيها منذ سنة . ولا اذكر اننا وجدنا فيها ما يستحق الذكر .

ــ كتبت لك فى الأسبوع الماضى اننى قد اقبل اقتراح السى بافتتاح بوتيك معا . انها لا تطلب منا راسمال كما تعلم ، وانما تريد أن أعمل معها بجد .

ــ انها تجاوزت الخمسين ، وانت التى ستقومين بكل العمل تقريبا .

ــ ان المدينة بحاجة الى محل جديد للفساتين .

ــ وهل يوجد بها من لهن ما يكفى من الذوق لشراء هذه الفساتين ؟ هل بدات تميلين الى هذا البلد القذر ؟

ــ ما دمت اعيش فيه .

ــ لا اريدك ان تعيشى فيه يا حبيبتى . لا اريد أن تعيشى فيه شهرا آخرا ، بل ولا حتى اسبوعا .. اريد منك أن ...

قال أحد الحراس وهو يتقدم نحو كارتر :

ـ هدوء . هل تظن انك وحدك هنا ؟

نطق كارتر بكلمة نابية من اربعة حروف ، ونظر الى هازل ورأى انها سمعتها فقال :

ـ معذرة . اردت أن أقول ان حقيقة وجودك على بعد ثلاثين كيلو مترا من هنا لن تغير من الوضع الراهن ولن تخرجني قبل الأوان بيوم واحد يا حبيبتي .

وألقى الى الساعة نظرة سريعة وقال :

ـ باق ست دقائق .

ـ لا أريد الحديث في هذا الموضوع ثانية يا فيل . انني أريد أن أراك كثيرا بقدر ما تريد أنت أن تراني .. هذا كل ما لدينا في الوقت الحاضر .

هوى كارتر بأطراف أصابعه على المائدة في يأس لكي يقول شيئا .. قلت لي انك استمتعت بوقتك في عيد الفصح ، أليس كذلك ؟

ـ لم أقل انني استمتعت بوقتي ، وانما قلت انني قضيت وقتا لا بأس به .

تساءل لماذا غضبت منه . أبسبب الكلمة النابية التي نطق بها أم بسبب اقتراحه في أن تقيم في نيويورك ؟ كان الوقت قصيرا لا يسمح بتسوية الأمور ، وقال :

ـ لا تغضبي مني يا حبيبتي ، فأنا لا أطيق ذلك .

ـ لست غاضبة منك .. انت لا تفهم .

قالت ذلك ونظرت الى الساعة هي الأخرى ، كما لو اصبحت تتلهف على الانصراف بمجرد أن ينتهي الوقت .

ذهب كارتر فى تلك الليلة الى السينما . كان قد ذهب الى سينما السجن مرارا رغم أن أفلامها ليست من تلك التى يزعج نفسه لرؤيتها وهو طليق . وأدرك انه لم يستمع فى طرب الى الدعابات المتوسطة والقذرة التى يرويها له الكس ، عامل القمامة من وقت لآخر . ولولا السينما بل ولولا القصص القذرة التى تبدو كدعابات لأصبح مجنونا ، فان أولئك الذين يرفضون حياة السجون ويديرون ظهورهم للسينما وللمرح يصيبهم السعار والهياج كالحيوانات الضارية خلف قضبان الأقفاص فى حديقة الحيوانات ، وقد سمع كارتر الدكتور كاسينى يتحدث عن حالات كهذه .. رجال يأتون بهم الى العيادة وليس بهم من علة غير الجنون ، ولايمكن علاجهم الا بترحيلهم الى مستشفى المجاذيب ، ولكن هذه الأخيرة تفتقر الى الأماكن لاقامتهم . ورأى كارتر أن الذين يمكنهم التعايش فى السجن هم الأصحاء الذين لا أهل ولا اقارب لهم يتدخلون فى حياتهم . هؤلاء الرجال لا يتركون فيلما واحدا يضيع منهم ، ويشتركون فى كل مباريات كرة القدم ، بل ان الحراس انفسهم يحبونهم ، وعندما يلقى عليهم السؤال يردون بانهم على استعداد لاعادة الكرة ، مهما كان السبب الذى جاء بهم الى السجن .

اعمل الخير واعرف الله وتعلم مهنة وصل لكى تصبح أفضل ، واعلم ان الوقت الذى تقضيه فى السجن ربما يكون وقتا سعيدا

لأنه يمدك بوقت للتفكير فى اخطائك ، وهكذا دواليك ، كما تقول جريدة السجن ، وهى جريدة من اربع صفحات يشترك جميع المساجين فى تحريرها ، فيما عدا العمود المخصص للمأمور والذى تجد فيه العديد من الأخطاء اللغوية والنحوية ، وغالبا ما يلقى كارتر بها فى صندوق القمامة برسوماتها العجيبة ومداعباتها السمجة المستهجنة .

- ٧ -

شاركت هازل السى مارتل فى مغامرة بوتيك الثياب النسائية، وزخرت خطاباتها فى مايو بوصف ديكورات المحـل والوان هذه وتلك ، بل انها راحت تصف بعض الفســاتين والتايورات التى يعرضانها ، رغم انها كانت تعرف ان كارتر لم يكن يهتم بالثيــاب النسائية كثيرا ، وتذكر كارتر انه سمع هازل تقول له مرة « إنت لا تحب الفساتين الا حين اكون انا فيها » .

قالت له فى خطابها ان المحل يقع فى الشــارع الرئيسى ، بجوار الصيدلية الكبرى تقريبا .. هازل شريكة فى بوتيك للثياب بالشارع الرئيسى بمدينة فريمونت . كان الأمر يبدو غريبــا وغير معقول ، ولكن الشىء الذى بدا حقيقيا حقا هو تلك الواقعة التى ذكرتها فى احدى رسائلها وهى ان دافيد سوليفان مر بسيارتــه فى الساعة الثامنة مساء ذات مرة ، وانه مر بعد ذلك كثيرا بينما كانت تقوم بلصق الأوراق الملونة على الجدران وتعليق الســتائر لكى يدعوها لتناول العشاء معه ، وانه دعاها هى والسى معا « وهذا كرم منه » ولكنــه دعاها وحدها ثلاث مرات « وهــذا من حسن حظى حقا لأنه لم تكن بى اية رغبة فى العودة الى البيت واعداد اى طعام ، ولا اظن انه استغرب امرى ، فقد كنت مرهقة حقا لكى ارقص » . وقد عادت فى تلك الليالى فى الساعة السادسة لاعداد عشــاء تيمى ، وميللى ، وهى فتاة تقيم غير بعيد منهم ، تجالس تيمى اكثر الأوقات . « وليس هنــاك ما يخشى عليــه

منه بعد الظهر فان أوتوبيس المدرسة يوصله حتى باب البيت ويدخل بمفتاحه الخاص ويعلقه بدوبارة حول عنقه ، ويتناول عشاءه الذى أتركه له فى الثلاجة » .

كان كارتر فى أوقات فراغه يجدد معرفته باللغة الفرنسية . وكانت هازل قد أرسلت اليه قاموسها الفرنسي ومعم مجموعة رواياتها الكاملة عن فولتير ، وجاءته من نيويورك بالرواية الأخيرة الفائزة بجائزة جونكور . كان قد درس اللغة الفرنسية خمس أو ست سنوات فى المدرسة ثم فى الكلية وقد أصبح الآن قادرا على قراءتها بأكثر مما كان فى الكلية ، أما التحدث بها فهذا امر آخر ، اذ لم يكن هناك لسوء الحظ من يتمرن معه على ذلك .

وبدأ يتعلم الجودو والكاراتيه كذلك مع الكس . قال له هذا الأخير فجأة ذات يوم : أليست لك رغبة فى أن تتعلم الجودو ؟ يجب أن تفعل لأنك لن تستطيع ، مع ابهاميك ، الدفاع عن نفسك ضد اى أحد . وقال كارتر لنفسه ان الكس على حق فما من أحد يدرى متى يكون من الضرورى ان يدافع عن نفسه . ولهذا ، ولقضاء بعض الوقت بدأ كارتر يتلقى دروسا من الكس ، وكان هذا الأخير أقصر من كارتر ، ولكنهما كانا فى نفس الوزن تقريبا ، وكان يحرص على ان لا يلمس ابهامى كارتر فى معاركهما الصورية . كانا يستخدمان الرواق لمرانهما ، على مرأى من الحارس الذى كان يطربه الأمر . وكان الكس قد وجد فى مكان ما حصيرتين قذرتين ، كان يفرشهما على الأرض . وبعد ثلاث جلسات من المران كتب لهازل يقول « ان الكس يعلمنى الجودو . تعلمه هو فى الجيش ، ويبدو انه يجيده . ولكن هل يمكن أن تجدى لى كتابا فى هذا الموضوع . يجب أن تطلبيه من المكتبة » وأراد أن يضيف انه لا يجيد استعمال قبضتيه بعد بسبب ابهاميه . ولكنه يعرف كيف يلقى ضربات عنيفة بحد يديه ، الا انه

راى أن لا يقول ذلك لأن هازل رقيقة جدا ولا تحبذ العنف . واحدى الضربات التى علمها له الكس عند مقدم العنق كانت قاتلة . وحصلت هازل على الكتاب ، ولكن رقيب السجن رفض تسليمه لكارتر وأعاده اليها . ومع ذلك فقد استمرت الجودو ، تحت مراى وبصر الحارس . وتمرن كارتر على الضرب بحد يديه فوق الخشب ليكتسبا خشونة ، ولكن ابهاميه كانا يتلقيان الكثير من الضربات بحيث لم يلبث أن عدل عن ذلك .

والصيف فى الجنوب طويل وقائظ . ورغم ان السجن قائم على ارض مرتفعة ، فلم تكن هناك تقريبا اية نسمة . واذا اتفق وحدث ذلك فانها تكون ساخنة هى الأخرى ، ويعتدل الرجال فى الحقول عندئذ لتلقيها ، ويخلعون قبعاتهم متحدين الشمس الحارقة ، ويتركون النسمة المتحركة تلمس جباههم التى تتفصد بالعرق . وطوب واحجار السجن القديم تمتص أشعة الشمس أسبوعا بعد اسبوع ، وتحتجز الحرارة ، كما تحتجز البرد فى الشتاء . وفى اغسطس تتحول الزنزانات الى أفران ساخنة وخانقة ، حتى فى الليل ، وتفوح برائحة البول وعرق البيض والسود .

وقالت هازل فى اغسطس ان فريمونت تكاد تكون خالية ، وان القليل من الناس المتبقين فيها يلزمون بيوتهم احتماء من لسعة الحر . ورحلت الى نيويورك مع دافيد سوليفان . وكان لهذا الأخير اصدقاء فى نيويورك ، هم آل كنولتون ، ويقيمون فى شقة بالشارع الثالث والخمسين غرب ، أمام متحف الفن الحديث . وقد عرضوا شقتهم ، وهى مكيفة ، على سوليفان للاقامة فيها فى اغسطس لأنهم سيرحلون الى اوروبا . واستاء كارتر فى بادىء الأمر لمجرد فكرة رحيل هازل ، ثم تملكه الغضب ثم صعق أو لعله هزم . واحس بتلك المشاعر المتتالية طوال الأيام الثلاثة التى

تلت تلقية لرسالة هازل التى تخبره فيها بهذا النبأ . وصحيح ان ابنة كنولتون البالغة من العمر أثنتين وعشرين سـنة ستقضى معهم عطلة نهاية الأسبوع لأنها تعمل فى الصيف فى شاطىء قريب ، وصحيح أن تيمى سيكون هنـاك مع هازل ، ولكن الشقة الكبيرة فى نظر كارتر شـقة خاصـة ومشبوهة ، وبمعنى آخر كفندق يسجلان فيه نفسيهما كزوج وزوجة . وكتب لهازل يقول :

ـ الا نملك ما ندفعه للاقامة فى فندق ؟

واجابته هازل :

ـ هل تعرف ان الاقامة فى فندق فى نيويورك باهظة التكاليف وانه يجب أن نتناول فوق ذلك كل وجباتنا فى الخـارج نحن وتيمى ايضا . سأراك يوم الأحد ، وسوف نتحدث فى ذلك بهدوء .

وفى يوم الأحد قالت له :

ـ اننى مولعة جدا بديف يا حبيبى ، وهـذا صحيح . ولكننى اقسم لك أنه بالنسبة لى كحذاء قديم .. نعم ، كحذاء قـديم .

قال كارتر من غير أن يبتسم :

ـ لا اعتقد انه يظن نفسه كحذاء قديم لك .

نظرت هازل اليه وقطبت جبينها وقالت :

ـ هل تريد ان تقول انك لا تريد أن أمضى الى نيويورك مع دافيد ؟ .. هيا .. ان لك الحق فى ان تقول ذلك .

تردد كارتر . يستطيع دافيد طبعا أن يرافق هازل الى اماكن لا يمكنها هى أن تمضى اليها بمفردها ، وفوق ذلك ستمرح كثيرا مع سوليفان ، ولا يستطيع أن يحرمها من هذا المرح .

ـ كلا . كلا . لم أقصد ذلك .

بدا الارتياح على هازل شيئا ما وابتسمت وقالت :

ـ هل تعتقد انه لا يمكن ان يكون هنـــاك حب افلاطونى بين الرجل والمراة ؟

ابتسم كارتر بدوره وقال :

ـ اظن أننى أعتقد ذلك حقا .

ـ استطيع ان أؤكد لك ان ذلك ممكن بالنسبة للمراة .

ـ بالنسبة للمراة نعم ،ولكن محال بالنسبة للرجل .

ـ أوه ، هذا هراء .. وقرار مجحف .

ـ ربما بالنسبة للنساء المسنات وغير الجميـلات ، ولكنك جميلة ، وهذا هو الأمر .

ومع ذلك فقد رحلت . وكان شهر اغسطس قاسيا بالنسبة لكارتر ، رغم البطاقات البريدية والرســائل التى تلقاها من هازل. واحب تيمى متحف التاريخ الطبيعى واصطحبه دافيد اليه ذات يوم فى حين مضت هازل لشراء بعض الأحذية واشترت ثلاثة ازواج منها بسبب متانتها .. « ماذا قال الدكتور كاسينى عن الأشــعة الأخيرة ؟ .. » .

كان الدكتور كاسينى قد تكلم كثيرا ، ولكن أهم ما قاله هو ان الجزء الثانى من المفصــل قد انفصل كثيرا ولا يمكن اعادته الى وضعه ، وان العملية لاعادته الى مكانه تتجــاوز بكثير قدراته وانه لا ينصح باجرائها . وود كارتر أن يستشير طبيبا آخر ، اخصائيا فى عظام اليد ، ولكنه قال لنفسه انه قد يغادر السجن بعد قليل ، فى الخريف أو فى ديسمبر ، بعد جلسة محكمة النقض،

ولهذا عدل عن استشارة اخصـائي في اغسطس ، فقد كان لابد له من تصريح من الدكتور كاسـينى لذلك ، وان يعين المأمور حارسا مسلحا لمرافقتـه اذا اضطر الى الخروج من السـجن لاستشارة ذلك الاخصـائي . صفوة القول .. كم من اجراءات كان مجرد التفكير فيها يضنيه ويرهقه . وكان ورم ابهاميه قد خف كثيرا ، ولم يعد يربطهما باية ضمادات . غير أن لونهما كان يتحول الى اللون الوردى ويلمعان عند أقل ملامسة . والواقع انهما فقدا كل قوة ، واصبح لا فائدة منهما تقريبـا ولولا خوفه من العملية لبترهما . وكان يأخذ أربع حبات من المورفين يوميا ، واصبح ذلك ضرورة .. بدأ بحبتين ، وازداد ادمانه .

غابت هازل ومعها تيمى ثلاثة اسابيع ويومين . وعـادا يوم السبت لكى تستطيع هازل زيارته فى اليوم التـالى . وفى ذلك السبت ، وهو يوم شديد القيظ بحيث جيء الى العيـادة بسبع حالات من الهبوط والانهيـار ، تلقى كارتر خطـابا من لاورنس ماجران يخبره فيه بأسفه الشديد ان محكمة النقض رفضت اعادة النظر فى القضية .

كان رد فعل كارتر غريبا . جلس فى الفراش والخطاب فى يده . لم يشعر بأية صـدمة او اية مفاجأة أو خيبة امل رغم انه كان قد اقتنع منذ شهر تقريبا . بأن المحكمة العليـا ستعيد النظر فى القضية ، فقد اهتدى ماجران الى ثلاثة شـهود جدد رأوا بالمر يتسلم شيكات ، واكتشف مصرفين جديدين غير الثلاثة التى سبق اكتشافها ، حيث كان بالمر يودع نقوده . ورأى كارتر ان كل ذلك يكفى لفتح القضـية من جديد ، وكان هـذا رأى ماجران هو الآخر ، رغم ان المبالغ المودعة فى تلك البنوك كانت أقل من خمسين الف دولار . وقال ماجران فى خطابه انه دهش جدا لقرار المحكمة وانه سيأتى لزيارته ذلك الأحد والأحد الذى يليه .

ونهض كارتر ومضى الى النافذة فى آخر العيادة وقال لنفسه ان هازل لم تعرف هـذا النبأ بعد . كانت مستقلة الطـائرة ويجب ان تهبط فى المطار فى الساعة السابعة وعشر دقائق ، وانها تعود الى البيت لكى يستقبلها هذا النبأ .

وقال كارتر :

ـ لقد محا السجن كل احساساتى .. واغضبه ذلك .

وفى الساعة السابعة والنصف كانت أفكاره قد تغيرت تماما ، وكان يجلس امام الآلة الكاتبة يكتب رسالة للاورنس ماجران . كتب يقول ردا على رسالته :

لم اعد ارى الآن اى امل فيما عدا أن دافيد سوليفان قد يفلح فى اثبات الحقائق التى تدل على وجود علاقة بين جورج جاويل ونشاط بالمر ، فهناك أمور يمكن أن يكتشفها دافيد ، هـذا اذا كان لها وجود .. ودائع اودعت فى مختلف البنوك مثلا . وانـا اعرف تماما ان ذلك لن يقلل من ذنبى الا بعض الشىء . ولكن لايزال فى مقدور سوليفان أن يجد شهودا جددا ، فان زوجتى تقول انه لايزال مهتما بقضيتى ، فهل اذا عثرنا على ثمانية أو عشرة شهود يكون لهم وزن أكثر من الشهود الذين لدينا الآن ؟

أوى كارتر الى فراشه رغم أن الساعة لم تتجاوز الثامنة . احس بالاحباط وعدم القدرة على الحركة ، حتى لكى يحقن نفسه بالمورفين كمـا يفعل عادة قبل النوم . كان ابهاماه يؤلمـانه ألمـا خفيفا ، بما يكفى لاثارة جزعه ، وربما لاجباره على السهاد . ولكن عندما اصبح الألم لا يحتمل فى الساعة الواحدة اضطر ان يحقن نفسه . بدا له المورفين عدوا آخر .. هل سيقهره هـذا العدو كما قهره السجن ؟ .. ان المورفين عدو غريب .. صـديق وعدو فى نفس الوقت .. مثله فى ذلك مثل دافيد سوليفان ، ومثل

القانون الذى يحمى الناس فى بعض الحالات ويضطهدهم فى أكثر الحالات .

عندما اقبلت هازل لزيارته يوم الأحد كانت تعرف النبأ . ادرك كارتر ذلك بمجرد ان دخلت قاعة الزيارة . فقد كانت تتكلف الابتسام ، ولم تكن بذلك التألق الذى ينساب منها عادة ويأسر قلوب الجميع ، حتى المساجين . قالت ان سوليفان اتصل بماجران تليفونيا فى الصباح ، وأن ماجران اخبره بالنبأ فاتصل بها على الفور . وقال كارتر :

ــ اننى آسف يا هازل .

فكر فى الخطابات العديدة التى كتبتها .. خطابات غاضبة وساذجة ، كتبتها بكل صبر .. خطابات والتماسات إرسلتها الى نيويورك تايمز والى الجريدة المحلية والمحافظ ، وبعثت اليه بصورة من كل منها لكى يقراها .

قــالت :

ــ دافيد هنا ، ويريد أن يراك .

بدت مرهقة بحيث بذل كارتر جهــدا كبيرا لكى يتمــالك اعصــابه .

ــ قال ماجران ذات يوم انه ليس هناك قانون يمنع أن يلجأ المرء الى محكمة النقض مرة ثانية . تذكر ذلك . الم يقل لك انه سيزورك الليلة ؟

ــ كلا . لا ادرى .. ربما قال ذلك لدافيد .

وبذلا جهدهما لكى يتكلمــا عن نيويورك ، وعن الأشــياء الجميلة التى قامت بها هى وتيمى .

سـألها :

ـ ألم ينزعج تيمى لعودته الى فريمونت ؟

ـ اوه يا فيل !

واحنت رأسها فجأة ودفنت وجهها بين يديها .

كانت راسها وشعرها المتألق على مقربة من يدى كارتر ، يفصلها عنه لوح من الزجاج فحسب . وقال محاولا ان يضحك :

ـ لا تبكى يا عزيزتى .. مازالت لدينا ثمانى دقائق .

رفعت هازل عينيها اليه ، واستندت على مقعدها من جديد وقالت فى هدوء :

ـ انا لا إبكى ، ولكن عينيها كذبتاها .

أفلحا بعد ذلك تقريبا فى التحدث عن نيويورك حتى انتهت الزيارة . وقالت وهى تنصرف :

ـ سأكتب لك الليلة . ابق يا حبيبى من اجل دافيد .

دخل سوليفان القاعة . وقال كارتر وهو يشير اليه :

ـ لدى زائـر .

تحقق الحارس من تصريح سوليفان . وجلس كل منهما امام الآخـر .

كان دافيد سوليفان فى الخامسة والثلاثين من عمره تقريبا ، وكان أطول من كارتر ببضعة سنتيمترات ، وهو نحيل أصـلا ، ولكن كارتر فقد ثمانية كيلو جرامات منذ ان دخل السجن . وعيناه زرقاوان كعينى كارتر شيئا ما ولكنهما صغيرتان تعبران دائما عن الهدوء والأناة والاتزان . ولم يضـع الوقت فى كلمات اشـفاق

لا جدوى منها بخصوص رفض المحكمة اعادة نظر القضية وقال :

ـ يمكنك ان تعيد الكرة بالطبع ، وانا واثق أن هـذا ما ينويه ماجران ، فلا تعتبر الأمر كأنه هزيمة يا فيل . سنعود بحقائق جديدة ، وسيكون لدينا الوقت لكى نجمعها .

كانت مشاعر كارتر غامضـة .. وافكاره كذلك . كان لديه احساس بأن حالته أصبحت نوعا من المواضيع المفضلة لسوليفان. ولو أن هـذا الأخير كتب مذكراته بعد بضـع سنوات فسوف يكرس فيها صفحات لقضـية كارتر المثيرة للحيرة والغضب .. زوجة كارتر أصبحت زوجتى .. تغلب كارتر على أفكاره الضـالة ، وحاول أن يصغى .

ـ وانا افعل نفس الشيء مع جاويل .. اعنى .. ما حاول توتنج ان يفعل مع بالمر . انني اقوم بالتحرى والاستقصاء قبل الذين يوردون اليه الخمور ، وارجو أن تعلم انهم كثيرون ، وذلك لاثبات مقدار ما يستهلكه منها . وسوء الحظ أن أكثر هؤلاء التجار لم يحتفظوا بفواتيرهم .

وتوتر جبين سوليفان الذى لوحته الشمس وبرز حاجباه وهو ينحنى ليسحق سيجارته فى المنفضة واستطرد يقول :

ـ التقى بالمر بجاويل فى نيويورك مرتين على الأقل ، وقد توخى كل منهما الحرص والحذر فلم ينزلا فى نفس الفندق ولم يستقلا نفس الطـائرة . وهذا ما توصلت اليه جزئيـا . وقد تحريت فى عشر او عشرين فندقا ، واقتضى كل ذلك وقتا ، وأعرف انه ليس من المستحب أن تطول اقامتك فى هـذا المكان البغيض .

وردد البصر حوله ونظر الى السقف واردف :

ـ كان يجب ان يهدموا هذا المبنى فى بداية القرن ان لم يكن قبل ذلك .

قال كارتر :

ـ او ان لا يبنوه على الاطلاق .

ضحك سوليفان وقال :

ـ هذا صحيح .

كانت أسنانه جميلة ، دقيقة بعض الشيء كفمه .

كان كارتر يعلم انه يجب إن يتكلم عن وجود جاويل فى نيويورك ، فى نفس الوقت الذى كان بالمر موجودا فيها . كانا يتقاسمان الفتيات طبعا فقد كان جاويل زئر نساء شأنه فى ذلك شأن بالمر نفسه . ولكنه لم يستطع ان يهتدى الى الكلمات المناسبة وقال :

ـ قالت لى هازل انكما استمتعتما بوقتكما فى نيويورك .

ـ أوه ، إرجو أن تكون استمتعت بما فيه الكفاية . كانت وحدها فى أغلب الأوقات فيما عدا الأمسيات . قدمتها الى اصدقائي القدامى وقدمتني الى اصدقائها بحيث ان امسياتنا كانت على العموم اجتماعية . وكان تيمى يرافقنا دائما تقريبا لأننا كنا نكثر من زيارة اناس يمكن أن يستضيفوه للنوم اذا ما غلبه النعاس .

ـ وكيف احتملت هازل كل هذا .. فى رايك ؟ .. ان فى استطاعتك ان تقضى معها وقتا اكثر منى انا .

ارتسمت امارات الجد على سوليفان ، وانتظر كارتر وهو يأمل ان لا يكون قد القى سؤاله بكآبة واستكانة كما قد يخطر لسوليفان .

ـ اظن انه من الخير لها انها اهتمت بمحل الثياب ، فانها

بذلك تجد شيئا تفعله ، مع انها ليست بحاجة الى ان تفعل اى شيء . ولكن هذا كفيل بتغيير افكارها . ان فيها الكثير من القوة والارادة . اذا اردت الحقيقة .

ـ انها تقول انها مولعة بك كثيرا .

قال سوليفان فى صدق :

ـ اوه ، نعم .. ارجو ذلك .

ـ وانا واثق انك تحبها انت ايضا ، والا ما قضيت معها كل هذا الوقت .

طرفت عينا سوليفان ، وبدا عليه الجد ، ولكنــه استمر يبتسم محتفظا بهدوئه وقال :

ـ فيل . لو أن نواياى سيئة نحو زوجتك فهل تظن اننى كنت ازورك فى السجن .. هل تظن اننى استطيع ان اكون منافقا الى هذا الحد .

كان جاويل قد قال ان سوليفان فى الواقع منافق الى أبعد حدود النفاق . وقال كارتر وقد احس بالضيق فجأة :

ـ لم أقل ان لك نوايا سيئة .

ـ ان هازل اكثر النساء اللاتى التقيت بهن فى حياتى اخلاصا ووفــاء .

ايقول ذلك لأنه اختبرها وصدته ؟ .. واستطرد سوليفان :

ـ يبدو ذلك فى كل تصرفاتها ، فهى لا تتحدث الا عنك ، وتكتب لك وتأتى لزيارتك ، وعندما نخرج فى نزهة بالســيارة فى ضواحى فريمونت تريني الأماكن التي كنتما تتنزهان فيها .

وهز كتفيه وأردف :

ـ وهى تتحدث عما سوف تفعله عندما تخرج .. تريد ان تمضى الى أوروبا . انكما ذهبتما اليها مرة ، أليس كذلك .

ـ نعم . قضينا فيها شهر العسل ، وكان ذلك هدية العم جون والعمة ادنــا .

وسأله كارتر :

ـ هــل تحبهــا ؟

اصطبغت وجنتا سوليفان ، وارتسم على وجهه تعبير محايد وهادىء فى نفس الوقت وأجاب :

ـ لا حق لك طبعا فى ان تلقى على سؤالا كهذا .

ابتسم كارتر ابتسامة خفيفة وقال :

ـ ربما لا حق لى .. ولكننى القيه عليك مع ذلك .

ـ لا اظن أن لذلك إية اهمية .

ـ بل له كل الأهمية .

قال سوليفان فى هدوء وفى لهجة مهنية :

ـ حسن جدا . مادمت تسألنى ذلك . الواقع اننى أحبها ، ولا يمكن لأحد ان يمنعنى من حبها ، ولن أحاول استغلال حبى لها.

ـ اوه ، وهل قلت لها ذلك ؟

ـ نعم ، وقد قالت ان .. هذا مستحيل ، وانه يحسن ان اكف عن رؤايتها . كانت حزينــة ، وكان ذلك واضحا . وقــد احزننى انا الآخر اننى قلت لها ذلك .

راح كارتر يحدق فيه مليا ثم قال :

ـ اننى فاهم .

ولكنه لم يكن فاهما على الاطلاق . كان كل ما يفهمه أن هناك موقفا خطرا يوشك على الانفجار فى وقت من الأوقات .

ـ اظن اننى قلت لها ذلك منذ ستة شهور ، ولكننى لم اعاود الكرة بعد ذلك .

ونظر الى كارتر فى هدوء وهو متمالك لنفسه تماما كما لو أنه قام بعمل نبيل ، وسأله كارتر :

ـ هل تحب أن تعذب نفسك ؟

أجاب سوليفان وعلى شفتيه ظل ابتسامة :

ـ لا أعتقد أننى اعذب نفسى . اننى أوثر ذلك على أن لا أراها على الاطلاق .

اومأ كارتر براسه وقال :

ـ هل كنت تقول لها ذلك لو لم اكن فى السجن ، بل هل كنت تقع فى حبها ؟

فكر سوليفان لحظة ثم أجاب :

ـ لا أدرى .

قال كارتر فى شىء من البذاءة :

ـ بل تعرف .

ورأى سوليفان يتلقى اللطمة ، كما لو أنها اصابته فى الصميم . ودفع سوليفان مقعده الى الخلف قليلا وعقد ساقيه ثم قال :

أنت على حق فى الواقع ، فهناك صلة بين الأمرين فلم أكن ادرى الام تبقى فى السجن وكذلك هازل ، فهى الأخرى لا تعرف ذلك ، وللرجل الحق فى القاء السؤال اذا ما أحب . اليس كذلك ؟ هذا كل ما حدث .

شدد كارتر الضغط بابهاميه على مشط الكبريت الذى امامه على المنضدة وقال :

ــ ظننت انك قلت لها ذلك ولم تسألها المزيد .

ــ لم افعل . قلت لها اننى احبها ولم ازد .

لم يصدق كارتر قوله ، ولكن بما ان هازل لا تزال تداوم على رؤيته ، فمعنى ذلك ان ما قاله لها لم يسبب لها أى ضيق او استياء ، كان كارتر يعرف هازل جيدا ، فهى لن تقضى وقتها مع رجل يزعجها ، وكان هذا على كل حال اهم ما فى الموضوع .

ــ ولكنك تضر نفسك بحبك لهازل ومحاولتك اخراجى من السجن .

ضحك سوليفان ضحكة عالية وقال :

ــ لا تكن احمق . ان فرصتى مع هازل واحدة سواء خرجت من السجن أو لم تخرج . ولك أن تعلم أن حبى لها يدفعنى الى ان اعاونها فى الحصول على ما تريد ، وما تريده هو أنت بالذات .

وضع كارتر مرفقيه فوق المائدة وابتسم . ومرت بذهنه بعض العبارات القذرة التى سمعها فى السجن فى هذا الصدد وقال :

ــ اننى لا أؤمن بالحركات النبيلة .. لم اعد أؤمن بها .

ـ بل اعتقد انك تؤمن بها ، فانني اعرف ان حيـاة السجن لا يمكن أن تغير مبادئك ، طبقا لمـا تقوله هازل عنك .

لم ينطق كارتر . وسأله سوليفان وهو ينحنى الى الأمام :

ـ هل تظن إننى اتباطأ فيما يتعلق بجاويل ؟ .. اننى اتحرى أعماله السابقة فى نيواورليانز وفى بتسبورج وهنـا . وهو يعلم ذلك . وحتى لو كان بريئـا ، اعنى فيما يتعلق بقضية تريومف فماضيه حافل بما يشين ، وديريكسل يعرف ذلك . ويمكنه أن يطرده بسبب الشكوك التي ولدتها أنـا عنه ، بل كان يجب ان يطرده ولكنـه خشي اثارة الشكوك حول موظفيـه اثنـاء نظر قضيتك .

ونظر سوليفان اليه كما لو كان يتوقع تعليقا منه ، ولكن كارتر لم ينطق فاستطرد يقول فى لهجة تنطق بالغضب والحيرة :

ـ بل اننى أزيد واقول اننى أخشى اذا اصبت بعض النجاح فى تحرياتى أن يحاول جاويل التخلص منى .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ بأن يقتلنى ، أو بالأحرى بأن يعمل على قتلى .

ـ هل تعتقد ذلك حقا ؟

ـ كان يصاحب بعض إصدقاء السوء فى نيواورليانز . وقد وقعت هنـاك جريمة قتل ،بقى جاويل بعيدا عنها طبعا . وحذا جميع أصدقائه حذوه ، فان رجلا يدعى بوشـان ، كان موظفا فى المجلس التشريعى ، وحريصا على تنفيذ القانون ، وجد غريقا فى نهير ، وثبت من التحقيق أنه مات مخنوقا . وبعد مقتله استطاعت الشركة التى كان جاويل يعمل بها أن تنجز مشروعاتها البنائيـة ، وقد تبدو لك هذه النقطة واهية فى نظرك ، ولكننى واثق ان

جاويل له يد فى تلك الجريمة ، وان لم يكن بطريقة مباشرة .

اقبل الحارس فى هذه اللحظة والقى يده على كتف كارتر فنهض الأخير وقال :

ــ معـذرة .

ونهض سوليفان بدوره وقد انبسطت ملامحه واستعاد هدوءه ووقاره من جديد وقال :

ــ ساعود لزيارتك قريبا يا فيل ، فلا تدع الاحباط يتغلبه عليك .

ثم استدار وانصرف مسرعا .

- ٨ -

كان كارتر ينقل من وقت لآخر العقاقير والأقراص الى مختلف عنابر المساجين . وكان هنـاك ستة عنابر أسواها جميعا العنبر الثالث ، كما قال الدكتور كاسيني . جدرانه اشـد قذارة من جدران العنابر الأخرى ، ويبدو معتما دائما لأن به مصـابيح كهربية كثيرة تالفة ، والمساجين الذين يشغلونه يبدون أكبر سنا واكثر هدوءا ، ومع ذلك فالجو الذى يخيم عليه أكثر عداء من العنابر الأخرى . وكانت ذكرى مقتل شرنيفر لاتزال حية فى ذهن كارتر ، وربما فى ذهن الجميع . وفى مقدور المساجين المرور فوق رجل كالطوفان ،وفى مقدور اى حشد منهم أن ينقض ويوجـه ضربته فى ثوان ثم يعود الطوفان ويتراجع ، بريئا فى مظهره ، هادئا فى تصرفاته ، ويبقى المذنبون مجهولون لايمكن معرفتهم لأنهم كلهم مذنبون . وتساءل كارتر ماذا كان يحدث له لو انه فى صحة جيدة ، ولو ان يديه محتفظتان بقوتهما العادية ، وماذا كان يفعل لو انه وجد نفسه قريبا من شرنيفر ذلك اليوم .. نعم ، كان يمكن ان يوجه اليه ضربته هو الآخر ؛ دون ان يشجعه اى احد لأنـه هو نفسه اضير منه .

كانت العنابر الستة بالسجن متصـلة ببعضها البعض . وكان السجن غاصا فى تلك الساعة ، وهى ساعة الغداء بحيث انه كان من المتعذر أن يتناول جميع المساجين غداءهم فى وقت واحد ، ولهذا اضطر الحراس الى تقسيمهم الى ورديتين .

وكان هناك ، فى العنبر الخامس رجل ضخم فى الخمسين من عمره باذنه اليسرى جرح بشع عالجه الدكتور كاسينى فى العيادة ، واعاده الى زنزانته ووصف له نوعا من المراخم . وكان كارتر ماضيا اليه بعلبة منه فى ذلك اليوم ، ووجد الرجل بمفرده فسأله اين زميله الذى يشاركه فى الزنزانة فرد عليه يقول :

ـ ان ذلك الوغد محظوظ . مضى الى بيته ، فقد ماتت امه .

ـ الى بيتــه ؟

ـ نعم . فى شيكاغو .. سيقضى هناك يومين .. لكى يرى زوجتــه .

وغمز له بعينه غمزة لها معناها ثم اندفع يتكلم . رافقــه حارسان وكانت الأصفاد فى يديه حتى وهو يصعد الى القطار . ولكنه سيقضى ليلتين مع زوجته .

غرق كارتر فى ذهول ، كما لو انه يستمع الى قصــة خيالية عن شخص يختفى بطريقة غريبة او يتبدل او يمر من خــلال ثقب الباب . وهز راسه فجاة وقد اثاره اتســـاع أفكاره بالذات ، وقال فى صوت أوتوماتيكى :

ـ يا له من محظوظ !

رماه الآخر بنظرة غاضبة لأنه قطع عليه كلامه ، ودهش كارتر اذ رآه ينهض فجــاة ويلوح بقبضـــته فى الهواء ، فتقهقر واجتاز عتبة الزنزانة وخرج الى الممر .

نطق الرجــل بسبة ، والقى ببرطمــان المرخم الى ابعد ما يستطيع . وارتطم البرطمان بالحائط وانفتح وتدحرج غطاؤه مصدرا صوتا أشبه بزمجرة غبية قبل أن يتوقف على الأرض .

بعد أربعة أيام من ذلك قام كارتر بحيلة ما وحصل على اذن من كلارك وعاد الى الزنزانة رقم ٢٧ بالعنبر الخامس ، لا لشيء الا لكي يرى سويبى . وكان معه برطمان جديد ، وكانت الساعة قد تجاوزت الرابعة بقليل والمساجين ينتظرون فى زنزاناتهم رنين جرس العشاء . لم يكن الرجل الضخم موجودا تلك المرة ولكن سويبى كان جالسا وسماعتاه على اذنيه ، يستمع ويتحرك فى مقعده ويفرقع بأصابعه وهو فى منتهى النشوة والاستمتاع . وقال يستقبل كارتر :

ـ طاب يومك ايها الطبيب . اية خدمة استطيع ان اقدمها لك ؟

ـ اننى جئت ببرطمان آخر لزميلك .

ـ حسن . حسن . سوف اخبره .

هبطت نظرة كارتر من شعر الرجل الداكن الى حذائه ثم عادت وارتفعت :

ـ سمعت انك ذهبت الى البيت .

ـ نعم . ولم استمتع كثيرا على كل حال . ماتت أمى .

وكان لايزال يبدو عليه الاستمتاع بالموسيقى ، كما كان واضحا انه يريد ان يعيد السماعتين الى اذنيه . وقال كارتر فى فظاظة :

ـ اذن .. رايت زوجتك على الأقل .

وكان مستعدا للانصراف ، بل انه لم يدخل الزنزانة ، واكتفى بأن القى بالبرطمان على السرير السفلى . ولكنه لم يستطع الانصراف . وقف يحدق بعينيه فى سويبى محاولا ان يكتشف فيه اية علامة سحرية . وقال سويبى وهو يضحك :

ـ نعم . وقد اسعدنى ذلك كثيرا .. مات أبى ، ولم يبق على قيد الحيـاة غير أختى ، وهى فى أحسن صحة . ووضـع السماعتين على اذنيه وعـاد الى فراشه وهو يقول :

ـ شكرا من اجل جيف .

وانصرف كارتر .

وبعد شـهرين أو ثلاثة ، فى عيد الشـكر ، تعرف كارتر بماكس سمبسون . وكان هـذا الأخير فى العنبر رقم ٢ ، حيث قدم كارتر بدواء للسعال ، ولم يكن الدواء لزنزانة سمبسون . ولكن كارتر رآه أثنـاء مروره يقرأ كتابا باللغة الفرنسية ، وكان يجلس بمفرده ، فتوقف بجوار الباب المفتوح وقال :

ـ معـذرة .

رفع الرجل عينيه عن الكتاب فسأله كارتر :

ـ هل انت فرنسى ؟

ابتسم الرجل . كان وجهه يطفح بالبشر والهدوء ، وكان شاحبا جدا ، ويبدو بجبينه العريض ابيض تقريبا تحت شـعره الخفيف المتموج .

ـ كلا . وانما يحدث لى أحيانا أن اقرأ بالفرنسية ، وهذا كل شىء .

ـ وهل تتكلمها ؟

ابتسم الرجل وقال :

ـ كنت ومازلت . لمـاذا ؟

كانت تلك الابتسامة بالذات مصـدر سعادة لكارتر ، لأنهـا

كانت شـــيئا نادرا فى السجن ، لم يكن هنـــاك غير تكشيرات وزمجرات .

ـ سألتك لأننى ادرسها .. وحدى .. هل تتكلمها حقا ؟

ـ نعـــم .

واتسعت ابتسامة الرجل وكشفت عن اسنان قوية بيضاء ، اشد بياضا من وجهه .

اخذ كارتر يثرثر معه نحو عشر دقائق الى ان دوى رنين الجرس للغداء . وكان على ماكس أن ينصرف .. تكلما باللغـة الفرنسية والانجليزية . واحس كارتر بالانفعال والســعادة . وعندما كان يتردد فى البحث عن الكلمة التى يريد التعبير بها كان ماكس يسرع ويزوده بها اذا استطاع ان يخمن ما يريد أن يقول . وكان يملك عشرين كتابا مصفوفة فى زنزانته ، ونصفها باللغـة الفرنسية ، وكان من الكرم بحيث ارغم كارتر على قبول كتابين عن الشعر الفرنسى فى القرن الثامن عشر وكتاب تأملات لباسكال . كانت اعارة طبعا الا ان ماكس قال له انه لا يتعجل ردها . وعـاد كارتر الى العيـــادة باحساس انه تبدل تماما . كان ماكس أول شخص يلتقى به فى السجن اغتبط بمعرفته واحس أنه يستطيع مصادقته ، وكان ذلك أمرا رائعــا . فى تلك الدقائق العشر التى قضاها فى الحديث معه عرف أنه من مواليد ويسكونسن ، وان أباه امريكى وامه فرنسية ، وانه عاش مع امه فى فرنســا منذ أن كان فى الخامسة من عمره وانه مضى الى المدرســة وبقى بها حتى اصبح عمره احد عشر عاما . وعندما القى كارتر عليه السؤال اجابه فى غير اكتراث بانه دخل السجن منذ خمس ســنوات ، ولكنه لم يقل لمــاذا ، ولم يهتم كارتر بمعرفة السبب .

قال له ماكس انه تراهن مع سجين آخر فى العنبر رقم ٢ ،

وان الرابح منهما من يفلح فى ان يكون اكثر شحوبا عن الآخر حتى يوم عيد الميلاد . وكان الرهان على ست علب من البن . وقال ماكس انه هو الذى سيربح ، رغم ان منافسه كان أشقر ، وبسبب ذلك الرهان راح يحمى وجهه أثناء فترات الاستراحة فى ساحة السجن . وعينت لجنة من ستة من المساجين الممتازين لاختيار الرابح ، وقال ماكس بفرنسيته البطيئة الواضحة : « كنت شاحبا دائما ، كان من الواضح فى وقت مبكر من حياتى انه مكتوب على ان أقضيها فى السجن » .

وتواعدا على اللقاء فى زنزانة ماكس فى اليوم التالى فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين .

وفى الضوء الفضى لصداقته الجديدة بدا آخر خطاب تلقاه من هازل حزينا وكئيبا ، فقد كتبت تقول :

حبيبى ، أتظن ان القدر فرض علينا هذه القضية الفظيعة ليختبرنا ؟ أرجو إن تصفح عنى ان بدوت لك متشائمة فهذا راجع الى ما اعانيه الليلة .. وهو احساس اعانيه كل ليلة على كل حال ، وطريقة لتأمل الأمور . فان الحياة البشعة التى نحياها والتى تقول ان الله يختبرنا بها قد اجتزناها حتى الآن ، فلنستمر اذن حتى نرى نهايتها ، ولاشك أننى أقول ذلك بعد أن تأثرت بالحديث الذى تبادلته تليفونيا بعد ظهر اليوم مع ماجران .

ذلك ان ماجران قال لها انهم يستطيعون اللجوء الى محكمة النقض مرة ثانية قبل منتصف يناير بسبب الأجازات . ولم ير كارتر ما يدعو للتشاؤم وأجاب :

انك تسالينني دائما لماذا لم التق بشخص محترم فى هذا المكان ، وكنت أقول لك دائما ان السجن ليس به اناس محترمون ، ولكننى اسحب كلامى اليوم وأقول لك اننى تعرفت

صدفة برجل ظريف جدا يعرف الفرنسية . يقرأها ويتحدثها بطلاقة ، وعليه فلدى الآن رجل استطيع ان اتمون على الحديث معه ، اسمه ماكس سمبسون ، يناهزنى سنا تقريبا . وهو طويل القامة ، وشعره اسمر وشاحب جدا . سأقول لك المزيد عن هـذا الشحوب عندما أراك . انه فى العنبر رقم ٢ ، ولكننى استطيع ان أراه كلما اردت .

وادرك كارتر انه ليس لديه مايقول عن ماكس اكثر من ذلك ، لأنه لا يعرف عنه شيئا آخر ما لم يكن ان امه فرنسية .

وفى الأيام التى تلت لم يعرف كارتر عنه المزيد . ولكنه كان يقضى معه فى زنزانته عشرين او خمسا وعشرين دقيقة كل يوم . وكانت تلك اللقاءات لحظات سعادته ، فان زميل ماكس كان زنجيا بسيطا لا يعرف من لغتهما الفرنسية اكثر من كلمة نعم ، ولكنه كان يأوى الى فراشه العلوى كلما اقبل كارتر لكى لا يزعجهما ، ويقرأ رواية مصورة قديمة أو يضع السماعات على اذنيه للاستماع الى الراديو . وكانت خطابات كارتر تزخر الآن بالحديث عن ماكس ، وكان يحدث هازل عنه عندما تزوره يوم الأحد . ودهش عندما رآها تبدى سخطها من هـذا الصديق الجديد .

قـال لها :

ـ ظننت انك اردت ان اجد شخصا يروق لى فى هـذا الجحـر .

قالت فى استياء واضح وهى تبتسم :

ـ الا تدرك انك من عشرين دقيقة تكلمت عنه أكثر من عشر دقـائق .

ـ معذرة يا حبيبتى .. ان الحياة هنا مملة . هل تفضلين مثلا ان احدثك عن الوغدين اللذين أوشكا أن يصابا بالعمى لأنهما شربا كحول ورشـــة اصلاح الآلات الكاتبة .

وضحك . وكان يضحك بسهولة أكثر منذ أن التقى بماكس، وأردف :

ـ أود أن تتعرفى بماكس .. انه .. اعتقد انه بالنسبـــة لامراة يجب بالحرى أن يكون وسيما .

ولكن هازل لم تتعرف بماكس على الاطلاق . كان يكفى أن تطلب رؤيته ذات يوم أحد ، وما عليها الا أن تزعم انها قريبةله . وقد فكر كارتر فى ذلك ، ولكن ماكس رفض وقال له بالانجليزية :

ـ كلا . إظن ان من الأفضل ان لا اراها فان هـــذا مجلبة للنحس . ولم يعاود كارتر اقتراحه ، ولم يعاوده لهازل كذلك لأنه احس انهـــا سترفض هى الأخرى . ولم يقدر لهـــازل أن ترى ماكس على الاطلاق ، ولا حتى فى أيام الزيارة لأن ما من أحد كان يأتى لزيارته فقد كان وحيدا فى الحياة ، لا أهل له ولا أقارب. والشخص الوحيد الذى أقبل لزيارته ذات مرة كان صـــاحب البيت الذى يسكن لديه . وهو رجل اجر له غرفة قبيل دخوله السجن بالذات ، واقبل لرؤيته مرتين ، ولكن كان ذلك فى السنة الأولى . وقال كارتر لنفسه أن من الخير لمـــاكس أن زاره صاحب البيت مرتين ، ولكنه لم يلق عليه إى سؤال عن ماضيه ، ولم يلق ماكس عليه أى سؤال هو الآخر ، غير انه لحظ ابهـــامى كارتر ، وعرف الظروف التى أصيبا فيها ، واكتفى بان قال باللغـــة الفرنسية فى استكانة :

ـ ان السجن مكان قاس حقا .

كانا يمضيان الى السينما معا مساء أيام السبت والآحاد .

راق لكارتر ان يكون بجواره رجل يرى مثله ان الأفلام التى يعرضونها دون المستوى . ولاحظ بعض الحراس وكثير من المساجين صداقتهما ، وافترض البعض انهما من اللوطيين ، واخذوا يتحدثون فى ذلك تحت سمعهما وبصرهما . ولم تؤثر تلك الأحاديث على كارتر ، وانما أزعجته شيئا ما . فان بعض المساجين كان يروق لهم ان يتحرشوا بالرجال الذين يمارسون الشذوذ الجنسى ويوسعونهم ضربا . وكان كارتر يتلفت دائما خلفه حين يمضى الى عنبر ماكس بعد الظهر خوفا من ان ينقض عليه أحد . وكان باب زنزانة ماكس يبقى مفتوحا دائما عندما يزوره كارتر . ومهما يكن فقد كان فى مقدور اى شخص أن يلقى نظرة ويراهما من خلال القضبان ، ثم أن الزنجى ، زميل ماكس كان دائما موجودا هو الآخر . وادرك كارتر أنه لم يلمس ماكس أبدا ، بل لم يصافحه بيده أبدا .

ساله الحارس بعد ظهر يوم وهو يسمح له بالمرور :

ـ هل تتمرن على تزييف النقود .

ـ تزييف النقود ؟

اومأ الحارس براسه نحو زنزانه ماكس وقال وهو يبتسم :

ـ أراكما احيانا تكتبان . ان ماكس مزور بارع .. بارع جدا .

اتى كارتر بحركة غامضة من يده ، وحاول أن يبتسم هو الآخر واستمر فى طريقه . فكر فى كتابة ماكس البطيئة والواضحة التى رآها فى مذكراته ، فقد كان ماكس يكتب يومياته ، ويدون من وقت لآخر مقطوعة شعرية بالفرنسية . كان خطه يبدو غريبا .. تزييف النقود ! .. كانت صدمة بغيضة لكارتر كما

لو ان احدا انتزع ثياب ماكس ورآه عاريا . وقال يواسي نفسه :

ـ على كل حال لم يسجن من أجل جريمة قتل .

ونام قليلا تلك الليلة . وأخيرا . واذ أمضته أفكاره وأتعبته ، تناول قرصا . وباشر عمله في اليوم التالي وهو بارد الشعور متبلد الذهن ، ولم يتناول افطاره ، وأعد لنفسه في الساعة الثالثة من بعد الظهر فنجانا من القهوة من علبة النسكافيه التي أهداه ماكس اياها في عيد الميلاد ، فقد ربح رهانه لشدة شحوبه واقتسم الجائزة مع كارتر .

وعندما بلغ زنزانة ماكس جلس على الفراش السفلي وأخذ وجهه بين يديه ،وراح يبكي بدون خجل ، ومن غير أن يكترث بالزنجي الجالس بجوار ماكس والذي ذهل وهو يرى رجلا يبكي . وقال ماكس يسأله بالفرنسية :

ـ انني أعرف .. انه رد محكمة النقض ، أليس كذلك ؟

أومأ كارتر برأسه بالايجاب . وسمع السجين كلمتي محكمة النقض وفهم فتمتم يقول :

ـ رحماك يا الله ! .. وخرج بخطوات ثقيلة وتركهما وحدهما .

أشعل ماكس احدى سجائره وناولها لكارتر ، وروى هذا كل شيء عن عمله في شركة تريومف للانشاءات ، وعن وآلاس بالمر وعن القضية والحكم بسجنه في سبتمبر ، ذلك الحكم الذي لم يصدقه ، كما حدثه عن جاويل وسوليفان وعن سوليفان وزوجته . وقال وهو يهوي بقبضته على فخذه دون أن يعبأ بابهامه :

ـ يجب أن أعمل على رحيل هازل الآن . يجب أن تعود الى نيويورك .

قال ماكس فى صوت هادىء رزين :

ــ لا تأخذ اى قرار اليوم .

لزم كارتر الصمت لحظة ، وراح ماكس يتكلم بالفرنسية قال انه رحل الى فرنسا وهو فى الخامسة من عمره ،و تحدث من طفولته . وعندما مات أبوه وانقطعت النفقة عادت به امه الى ويسكونسن حيث ولد . كان لهما هنـاك بعض الأقارب من ناحية ابيه . وتزوجت أمه من جديد . ورفض زوجهـا أن يدعه يتم دراسته ، ولهذا ترك المدرســة ووجد عملا فى احدى المطـابع ، تعلم فيها المهنة . وتعرف بأنيت وهو فى الحاديـة والعشرين فى حين كانت هى فى التاسعة عشرة من عمرها . « وقد انتظرت ، ولكننى كنت سعيدا مع ذلك لأننى كنت عاشقا » وبعد زواجهما بسنة ماتت انيت . كانت أم ماكس فى زيارة عندهما ، ووقعت انيت من فوق جرف وهى تسوق سيارة ، وكانت امه فى السيارة هى الأخرى ، وقال شاهد عيان ان انيت حادت عن الطريق لمفاداة وعل ظهر فجـاة فانقلبت السيارة . وكانت انيت حاملا . وعلى أثر ذلك راح ماكس يشرب ، وفقد عمله ، وجاء الى الجنوب . وفى ناشفيل ارتبط باصـدقاء السوء وبينهم بعض الهاربين من السجن ، يحترفون التزييف . وتعلم كيف يزيف النقود . وراح كل اللصوص والنشالين يأتونه بشيكاتهم السياحية ، كل ما يجب التوقيع عليه . « كنت أعلم اننى مجرم ، ولكننى كنت وحيدا فى الحيـاة لا احد يهتم بى ، فلم اعبأ باى شىء . وكانت العمليـة مربحة للجميع » . وظن ماكس أن وضعه فى العصابة مأمون ، ولكن ذات مساء هجم شرطيان على مقرهم ، وقتل ماكس أحدهما اثناء المعركة التى نشبت . والقى القبض عليـه بتهمة التزييف والقتل وصدر عليه الحكم بالسجن سبعة عشر عاما . « وانـا

الآن فى السادسة والثلاثين ، وهى حياة عجيبة . ان الحيــاة غريبة ، أليس كذلك يا صديقى ؟

تنهد كارتر واحس بالاعياء . ووقف ماكس ، ودفع كارتر برفق فوق الفراش وهو يقول :

ـ استجم ايها الصديق .

انهار كارتر فوق الفراش السفلى ، ورفع ساقيه فوق الغطاء بمشقة . وكان الفراش فراش ماكس ، ولكنــه نهض فجـأة فسأله ماكس :

ـ ما الخبر ؟

ـ هذه ساعة رنين الجرس للعشاء ، ولا اريد أن انام .

راح ماكس يذرع أرض الزنزانة وهو يضم راحتيه . كان وجهه هادئا وعيناه السمراوان نشطتين وماكرتين تقريبــا ، وبدا فى ذلك اليوم كما هو دائما تماما . لم تؤثر فيه الأحداث التى ذكرها . ووجد كارتر فى ذلك عزاء له .

وعاد ماكس يقول :

ـ ان الحياة غريبة حقا . يجب أن يرى المرء نفســه كما هو وان لا يرى نفسه كما هو فى نفس الوقت . ويجب أن يقوم المرء بالشيئين فى نفس الوقت ، وهــذا صعب . انك تتألم كل الألم وانت ترى نفسك كما انت .

وتوقف عن المشى واخذ كتابا وقال :

ـ اقرأ بعض هذا الكتاب الليلة .

وما أن فرغ من عبارته هذه حتى دوى رنين جرس العشاء فى صوت حاد مثير للأعصـــاب . اشد حدة عشر مرات كما يجب ان يكون ، وراح ماكس يبتسم لكارتر فى مرح حتى انقطع الرنين ثم قال وهو يدفع بالكتاب فى يده :

ـ هلم بنا ناكل .

- ٩ -

عرفت هازل مرة اخرى النبأ قبل أن يخبرها به كارتر ، فقد اتصل ماجران بها تليفونيا فى نفس اليوم الذى كتب فيه لكارتر ، وتلقى هذا الأخير رسالة منها بدت فيها شديدة الاحباط ، وان كانت متمالكة لأعصـــابها . ومع ذلك فقد صدم عندما رآها يوم الأحد . كان فى عينيها يأس جعلها تبدو مستسلمة كما لو كانت واقعة تحت تأثير مخدر .

ـ لابد أن ترحلى .. يجب أن ترحلى الى نيويورك .

لم يكن يرى حلا آخر . ولكنها لم تجب على الفور وانمـا قالت بعد لحظة :

ـ انك تقول ذلك بكل برود .. انك تغيرت كثيرا يا فيل .

ـ كلا . اطلاقا (ولكنـــه كان يعرف انه تغير) اننى أقول لك ذلك منذ شهور ، وتوجد الآن اســباب أكثر لكى ترحلى الى نيويورك ، وليس هناك من سبب واحد لبقائك فيها .

ـ انك لا تقول شيئا عما يجب أن تفعل فى الوقت الحاضر .. قال ماجران اننا نستطيع القيام بدفوع أخرى ، فما معنى ذلك ؟

ـ لا ادرى ، فهو لم يتكلم بوضوح تام فى خطابه لى .

ـ بل تكلم بكل وضوح . قال اننا يجب أن نبعث بخطابات

الى بعض المسئولين ، وان هنـاك لجنة فى نيويورك لا اذكر اسمها ولكنها تهتم بحقوق الانسان .. قال لى ذلك فى التليفون .

تنهد كارتر وقال :

ـ انك تعرفين يا هازل انني لست الوحيد فى مثل هـذا الموقف . اتظنين انهم يهتمون كثيرا لاطلاق سراح الآخرين . هؤلاء ايضا يكتبون لهم ، فمن الذى يملك الوقت لمساعدتهم . بل من الذى له المقدرة على ذلك قبل كل شىء .

قالت هازل فى اصرار :

ـ ولكن هناك لجان لمثل هذا الشىء بالذات .

وتوترت يداها فوق المنضدة وهى تستطرد :

ـ ويقول مستر ماجران ان المفروض ان تكتب لهم انت أيضـا .

ـ حسن . اذكرى لى اسماءهم فاكتب لهم دون تأخير .

نظرت هازل الى الساعة وقالت :

ـ لا اعتقد ان علاقتك بماكس فيها خير لك يا فيل .

قطب كارتر حاجبيه وقال :

ـ لمـاذا ؟

ـ انك تغيرت منذ ان التقيت به .

ـ حقا ؟ .. حسنا . انه يجعل الحياة هنا اكثر احتمالا يا هازل .

ـ ذلك لأنه يحتملها هو بالذات خيرا من اى احد آخر .

انك قلت لى انه هنا منذ خمس سنوات . انه مجرم عريق فى الاجرام يا فيل . قلت لى انه خبير فى تزييف النقود .. انه معتاد على حياة السجون ، ولعله لا يعرف ماذا يفعل عندما يخرج . اننى قرات الكثير عن اناس من نوعه ، وهم عاجزون عن التأقلم مع الحياة العادية ولا يتحملون المسئولية او الاضطلاع بأى عمل . ويخامرنى احساس بأن العدوى قد تنتقل منه اليك بما يكفى لكى تتقبل الوضـــع ، وما أن تتقبله حتى يكون فى هذا نهايتك انت بالذات . اؤكد لك انك تحملنى على الاحساس بانك لا تجد أيـــة غضاضة فى هذا المكان ، واذا كان هـــذا حقا فسوف يكون نهايـــة كل شيء .

وكانت كلماتها بمثابة تحد بينهما .

اصغى كارتر اليها فى صمت وفى شيء من الاستياء . كان الهجوم على ماكس بمثابة هجوم عليه هو بالذات ، وقال :

ـ اردتك أن تلتقى به ، ولكن يبدو انك لا تريدين ذلك . كتبت لك عما حدث له . ماتت زوجته بعد زواجهما بشهرين .

ـ هناك اشـــياء كثيرة تقع لاناس كثيرين ولا تجعل منهم مجرمين

ـ انه هنا لأنه ارتكب غلطة ، وليس كما لو انه ارتكب العديد من الجرائم . انه رجل مثقف أذا قورن بكل الأوغـــاد والمجرمين الذى هنا . وانا سعيد باننى التقيت به . ولعله يوجد غيره قليل فهنا ســـتة آلاف نزيل ولكننى لم التق الا ببضعـــة مئات منهم .

لم يكن جميلا من هازل أن تقول انها هى الوحيدة التى لم تشأ أن تلتقى بماكس ، فهو الآخر رفض ان يلتقى بها ، ثم هناك واقعة هى ان ماكس كان قد طلب منه منذ ثلاثة شـــهور أن يأتيه

ببعض المورفين وكان كارتر قد قال له انه موجود فى دولاب عليه قفل . وهذا صحيح ولكنه لم يقل له ان مفتاح القفل معه ، فقد فتشه احد الحراس مرتين وهو ذاهب اليه ، ولو أنه وجد مورفينا معه لساء موقفه ،ولم يدهش كارتر من طلب ماكس ولكنه لم يذكر تلك الواقعة لهازل . « حبيبتى ، أنت تفهمين علاقتى بماكس . لاننى أراه نحو عشرين دقيقة فحسب فى اليوم .. ومع ذلك فانا لا أراه يوميا انما مرتين فى الأسبوع . والمساجين يذهبون الى الورش فى ذلك الوقت من بعد الظهر ، واعرف ماذا تقول الكتب عن السجون وعن المجرمين ، فلدينا بعض الكتب ، فى المكتبة هنا ، وقد قراتها كلها » .

ـ انت تعرف ما اعنيه ، فاحرص ان لا يقع لك ذلك .

كان كارتر متوترا على مقعده . وحدق بعينيه فى يديه ، وادرك فجاة الصورة التى يقدمها من خلال الزجاج . كان يرتدى قميصه الأبيض الخاص بأيام الآحاد ، بكمين قصيرين ، ولم يكن يشعر فيه بالغباء أو الحماقة وانما بالأناقة اذا قورن بقميص السجن العادى ، ولم يعده شعره القصير يزعجه رغم ان القصة ، وهى اجبارية كل اسبوع كانت تبعد عن الجودة والجمال . كان فى صدغيه بضع شعيرات رمادية تكاد لا تلحظ ، ولكن لا ريب ان هازل لحظتها لأنه لا يغيب عنها شىء . وكانت خطوط جبينه التى تفصل حاجبيه أشد عمقا ، وكان شاحبا . وهى صورة غير جميلة لكى يقدمها لهازل . وقال :

ـ اننى .. اننى أعمل منذ أيام فى ورشة النجارة .

ـ أوه ، حسنا . هذا شىء جميل .. وماذا تفعل ؟

ـ اساهم فى الوقت الحالى فى أعمال الورشة .. رفوف للمغسل مثلا . لا استطيع بعد انجاز عمل كامل وحدى ، ولكننى اقوم بالأعمال الدائرة .

تكلما فى الدقائق الأخيرة عن تيمى كعادتهما ، وسألها عن المحل رغم انه كان يعرف انه فى ركود وانه لا يدر اى ربح . كانت هازل تحصل على سبعة وخمسين دولارا فى الأسبوع نظير عملها زائد عمولة عن مبيعاتها ، وهو مبلغ لا يستحق الذكر ، ولكنها كانت تشغل وقتها على كل حال .

لم يمض كارتر لزيارة ماكس بعد ظهر ذلك اليوم ، فان كلمات هازل أمضته وانتظر فى قلق خطابها الذى يجب ان يأتيه يوم الثلاثاء ، فهى لم تعد تكتب اليه يوم الأحد ، كما كانت تفعل من قبل ، بعد أن تراه بالذات . وسيأتيه منها خطاب يوم الثلاثاء ستقول له فيه ما اتفقت عليه هى وماجران ، عندما تراه يوم الاثنين .

وعندما جاءه الخطاب كان بلهجة هادئة لم يتوقعها . زودته هازل فيه بأسماء اللجان الأربع والمنظمات ، ورجلين من المسئولين فى واشنطن ، كان المفروض أن يكتب لهم . وعرف كارتر اسمين من تلك الأسماء ، فقد سبق أن كتب لهما منذ شهور ، واحدهما لم يفكر حتى فى الافادة باستلامه الخطاب .

وداوم على زيارة ماكس ، اربع او خمس مرات اسبوعيا . وراح يكتب مواضيع بالفرنسية يأتى بها الى ماكس ، وكان هذا الأخير ، كالمدرس فى مدرسة ، يراجعها فى المساء ويتناقش معه فيها فى الجلسة التالية . وكان عنوان احد هذه المواضيع « يومى » وهو قصة عجيبة عن يوم كارتر فى العيادة منذ صحوه حتى نومه . وكان هناك موضوع آخر بعنوان « اليوم الذى احب أن أحياه اذا استطعت » وهو قصة خيالية فيها حديث عن البيت وعن هازل وتيمى وعن الطعام الذى يتناولونه والنزهة فى السيارة، وصيد السمك بعد الظهر ، وشوى الدجاج على نار الحطب فى المساء ، وقضاء الليل فى خيمة ، والمسجل يصدح بموسيقى

شوبيرت وموتسارت ، ثم كانت هناك آراؤه فى السجن وعن حياته فيه .. ويعود بمواضيعه المصححة الى العيادة ويعيد كتابتها فى اوقات فراغه مصححة ، بحيث انه اصبح لديه فى النهاية نحو خمسة عشر أو عشرين موضوعا مكتوبة باللغة الفرنسية كان يزهو بها كثيرا رغم بساطتها وسذاجتها .

كتبت هازل .

حبيبى ، اين انت من المورفين . لم تحدثنى عنه منذ قرون . قلت لى آخر مرة انك تداوم عليه ، وانك ستستمر فى تعاطيه بالضرورة وقتا آخر . الا يمكن ان تستبدله بشيء آخر . اننى قرات مقالات كثيرة عن المورفين ، وهو العنصر القلوى الأساسى للأفيون . واذا تصورت اننى لا اعرف ما هو القلوى فأنت واهم . ارجوك أن تحرص .

احس بضميره يوبخه فى غموض وهو يقرأ ذلك الخطاب . وحاول ان يقلل . كان يمكنه أن يكتفى بثلاث حقن بدلا من اربع يتعاطاها يوميا . ولكنه لاحظ الفرق فى مزاجه الذهنى . كان يغدو اقل مرحا واقل حبا للحياة . وطلب من الدكتور كاسينى ان يعطيه اقراص ديمورال او اى مسكن آخر . واعطاه الدكتور شيئا هذه المرة .. شيئا حقيقيا ، خفف من المه . ولكنه لم يلبث ان ادرك ان مفعوله اقل بكثير من مفعول المورفين ، فقد كان لهذا الأخير طريقة مرحة فى تغيير الأمور واحتمالها بسهولة اكثر . وكف عن تعاطى المورفين اسبوعين ثم راح يخلط الجرعة فيجعل نصفها مورفين والنصف الآخر اقراصا .

كتبت له هازل فى يولية انها قررت الرحيل الى نيويورك مع تيمى . وقالت انها وجدت مشتريا للبيت ، وهو رجل دلها داڤيد عليه .

« اسهل على ان اكتب لك هذا من ان اخبرك به من خلال ذلك الزجاج البشع والذى يعطينى الاحساس بالرغبة فى الصياح والصراخ مع ان ذلك غير صحيح . انت تعرف اننى لا اريد مفارقتك ، ولكن كما قلت لى انت نفسك مئات المرات ، فان مواسم الصيف هنا فظيعة ، ثم هناك الضجر والملل » وكل ذلك كفيل باحالة المرء الى الجنون ، ونحن الآن فى عز الصيف مرة اخرى . وكنت اظن ، منذ اسبوعين ، اننى استطيع احتمال صيف آخر فى فريمونت ، ولكن حتى المحل سنغلقه شهرا » .

قالت انه يمكنها الاقامة هى وتيمى مع فيليس ميلن بنيويورك الى ان تعثر لها على مسكن ، وهو يذكر ان فيليس ميلن امراة فى نحو الثامنة والثلاثين ، وتعمل على الآلة الكاتبة فى احدى شركات الدعاية وغير متزوجة ، عرفها هو وهازل وتيمى لايزال رضيعا .

حسن ، قضى الأمر الآن . لن تزوره هازل يوم الآحاد ، ولا ريب انها قررت الرحيل منذ وقت طويل ، لأن من الواضح انها تلقت ردا من فيليس بانها تستطيع الاقامة معها . كانت تعرف ذلك يوم الأحد الماضى ، ولكنها لم تقل له شيئا مع ذلك . فهل كان من الصعب ان تخبره بذلك من خلال الزجاج . او انها احست بانها لا تستطيع أن تقول له ذلك مواجهة .

اردف كارتر الى الخطاب الذى كان يكتبه لها :

ــ سررت جدا اذ عرفت من خطابك انك راحلة الى نيويورك .. ستكونين هناك اكثر سعادة ، وساكون انا كذلك فى نفس الوقت .

كان لاورنس ماجران قد تقاضى اتعابه عن المحاولتين اللتين قام بهما امام المحكمة العليا ، غير انه قال انه سيعمل الآن بصفة

غير رسمية ، كما أخبرته هازل . وشعر كارتر فى غموض بالاستياء لأن ماجران تحدث مع هازل وليس معه هو ، فهل معنى هـذا انه اعتبر كارتر هالكا ، وانه مستعد رغـم ذلك أن يقوم ببعض المحاولات لانقاذ جثمانه .

راحت هازل تكتب اليه كل يوم خلال الأسبوع الذى سبق رحيلها ، كما لو انها أحست بالذنب لذلك . وكانت مشاعره هو الآخر متناقضة .. غضب من هازل ، وذلك خصوصا اذا احس بالتعب او الألم .. واحساس بالسرور والسعادة من أجلها . وكان يحرص على أن لا يكتب لها الا وهو مستريح البال .

« صحيح اننى قد ابقى فى هذا السجن اربع سنوات اخرى على اسوا تقدير ، ولكننى على الأقل افضل من ٩٩٪ من الرجال المضطرين الى البقاء فى زنزاناتهم نصف الوقت . فكرى فى ذلك على كل حال اذا ما فكرت فى » .

كانت تبدو جميلة على الخصوص يوم الأحد الأخير الذى رآها فيه . كانت ترتدى ثوبا جديدا من القماش ، وردى اللون بدون اكمام ، ووشاحا من الحرير الأخضر حول عنقها تربطـه ببروش قديم من الذهب سبق أن أهداه اليها فى العيد الثالث أو الرابع لذكرى زواجهما ، على شكل تنين ملفوف حول نفسـه بعين من الياقوت . وكانت قد غسلت شعرها على الأرجح ، لأنه كان جميلا براقا ولكنها لم تكن تبتسم كعادتها . ولأول مرة لحظ كارتر تجعيدة بوجهها .. خط رفيع افقى يعترض جبينها . واقلقته هذه التجعيدة دون ان يفهم لمـاذا . وقالت :

ـ ذلك اننى احتسيت الآن لتوى كأسا من الويسكى .

ابتسم كارتر وقال :

ـ وددت لو اتيتنى ببعض منه من خلال انبوبة .

ولم يلحظ اى تأثير للويسكى .. ولا دمعة واحدة ولا اية عاطفة . وبذل كل منهما جهده لكى يبدو مرحا ومبتهجا ، ولكنهما كررا أشياء سبق ان ذكراها فى خطاباتهما ، واكد كل منهما للآخر ان ماجران لم يتخل عن القضية ، وانه مازال واحدا من خيرة المحامين الجنائيين .

وقال كارتر :

ـ لعل الضجر يأتى من اننى لست مجرما .. وضحك كل منهما .

كانت قد تسلمت ٨٠٠٠ دولار كدفعة اولى من ثمن البيت الذى باعته باثنى عشر الف دولار . وكان كارتر يعرف ذلك . وسينتقل الشارى ، ويدعى ابراهول ، اليه فى أول اغسطس مع زوجته وولديه الصغيرين وكلب اسكتلندى .

ونجح جهدهما فى التظاهر بالمرح ، وعندما نهضت للانصراف ابتسم كل منهما . قالت انها ستدبر امرها لكى تأتى لزيارته على الأقل قبل عيد الشكر ، وعندما بلغت الباب استدارت وارسلت اليه قبلة ، ولم يفارقها بعينيه حتى اختفت عن نظره .

سار وهو مطرق الراس الى الأرض . لم يكن هناك اى خطر من دموع فى عينيه ، فهل كان يتبدل الى حجر كأرض السجن وكالسجن بالذات ؟ وهل تبكى هازل الآن . وتوقف ، ونظر الى الخلف كما لو انه يستطيع ان يراها خلف قضبان القفص ، وكما لو انها مترددة فى الانصراف . ولكن لا .. ان سوليفان ينتظرها فى سيارته فى الخارج بالطبع .

كانت الخطابات التى تلقاها منها بعد ذلك مفعمة بالحياة ، زاخرة بأوصاف المبانى الجديدة التى شيدت أثناء الصيف ،

حينما كانت فى نيويورك . وحدث اخيرا ما توقعه كارتر ، فان « سوليفان سياتى فى الأسبوع الأخير من اغسطس لبعض الأعمال، وسيمكث فى نيويورك شهرا تقريبا ، وسيقيم فى شقة كنولتون التى سبق له الاقامة فيها » . وهازل نفسها لها شقة الآن ، فى الشارع الثامن والعشرين شرق ، فى بيت صغير من غير مصعد . ثلاث غرف ومطبخ وغرفة استحمام . وكان كارتر قد شك فى ان سوليفان سيذهب الى نيويورك ، وقد أحس الآن بالاطمئنان والارتياح اذ كتبت له هازل ذلك صراحة .

- ١٠ -

لم تأت هازل لزيارته قبل عيد الشكر . كانت تتلقى دروسا فى علم الاجتماع فى المدرســة الجديدة بالشارع الثانى عشر ، وبرنامج الدراســة لا يسمح بأى تخلف قبل عيد الميلاد . وكانت قد سبق ان حصلت على دبلوم فى علم الاجتمــاع اثناء دراستها العليا ، ولكنها ارادت أن تحضر تلك الدروس لانعاش ذاكرتها ، ولكى تشغل وقتها فحسب . وعادت لزيــارته فى عيد الميــلاد ، عندما دعاها آل ادجرتون لقضاء أسبوعين هى وتيمى بفريمونت . وكان يبدو إنها أصبحت نحيفــة بعض الشىء رغم أنهــا اكدت العكس . وزارته مرتين خلال أعياد الميلاد ، واهداها كارتر مجموعة من الرفوف صنعها فى ورشــة النجارة .. صنعها من خشب شجر الكرز ، بحيث يمكن تعليقها بالحــائط . سلمها لها عبر لوح الزجاج كما هى من غير أن يلفها . وحتى اذا كان قد فعل فان الحارس ما كان الا ليزيل اللفافة ، واعطاها ايضا صندوقا متوسط الحجم ، محفورا على غطائه الحروف الأولى من اســم تيمى ، من صنعه كذلك ، وعلى البطاقة الخاصــة التى اعدهــا لتيمى كتب يقول :

ــ « اننى اعرف الآن انك كبرت وانه لابد من اهدائك بعض اللعب . وقد فهمت من والدتك انك تحب النظــام والترتيب ، وعليك اذن ان تحتفظ بأدواتك الرياضية داخل هذا الصندوق » .

ورحلت هازل مرة اخرى واعدة بانها ســوف تعود فى عيد

الفصح . وزاره آل ادجرتون مرة وأرسلوا اليه بضعة خطابات وجيزة ارادوا ان تكون مرحة ، تحدثوا فيها عن حديقتهم وقطتهم التى وضعت صغارا . وكتب سوليفان اليهم هو الآخر وقال ان جاويل ، بعد أن طردته شركة تريومف عاد الى نيو أورليانز ، وانه يشتغل الآن فى شركة لصنع الخيام . ولم يكن لكل ذلك أهمية بالنسبة لكارتر ، وحدث نفسه فقال انه يسمع عن ترك جاويل شركة تريومف أو طرده منها منذ سنة ، وعزا سوليفان ذلك الى التحقيقات التى كشفت عن نفقات جاويل فى الوقت الذى تم فيه اختلاس أرصدة المدرسة . واذا كان ذلك صحيحا فلماذا لم يتهم جاويل بشىء . قد يكون جاويل مذنبا ولكنه حر طليق ، فالخير أصبح شرا والشر أصبح خيرا . وكل شىء مصنوع من ورق .. الأحكام والعفو والشكاوى والملفات المشينة واللوم وادلة الاتهام ، ولكن يبدو انه لا أدلة اطلاقا على البراءة ، وقال كارتر لنفسه انه لولا الأوراق لانهار الجهاز القضائى كله وتلاشى .

وفى كل مكان فى السجن ، وحتى فى العيادة ، كان الرجال يكتبون الخطابات ، مستعينين بكتب القانون وبمرافعات المحامين وبالقواميس ، يتكلمون فيها عن الحضور ، والمثول أمام المحكمة ، ويذكرون آلاف الشكاوى والتظلمات . وكانوا يأتون الى كارتر فى اغلب الأحيان ، ويطلبون منه مراجعة تلك الخطابات ، ولكنه لم يكن يستطيع شيئا ازاء أسلوبهم الشنيع الذى يكتبون به والذى زعزعه فى البداية الى حد أنه راح يعيد صياغة الكثير منها صياغة تامة . ولكن عندما رأى أخيرا أن محاولاتهم لا تثمر ولا تأتى بنتيجة ترك رسائلهم المريعة كما هى . كان بعضها مشوشا كما لو كان صرخة ترتفع من الأعماق ، والبعض الآخر يصدر من نواحين بطبعهم ، وكتاباتهم المشوشة ما هى الا دليل غبائهم . وبين هؤلاء النواحين رجال لهم بعض المواهب الأدبية يعرضون خطاباتهم على كارتر لا لكى يصححها وانما لكى يسمعوا منه كلمة مديح أو ثناء ،

كانت خطاباتهم متنفسا عما يعانون من مقت وغضب ، وكان أغلبهم من العنبر الذى يقيم فيه ماكس ، كانوا يأتون اليه لأنهم كانوا يرونه يكتب هو وماكس . وكان هـذا الأخير يحرر رسالات كثيرة للأميين والسجن يسمح لكل سجين بأن يكتب رسالتين كل شهر .

وكتب دافيد سوليفان لكارتر :

ـ لعل الموقف لا يبدو لك مشجعا جدا فى الوقت الحالى . ولكن لم يعد امامنا الا العثور على قليل من الأدلة : شهادات اناس ارتبطوا بالعمل مع جاويل : أين تلقوا منه بعضا من الأموال التى انفقها بكل سخاء فى الوقت الذى اختفت فيه أموال شركة تريومف. كان بالمر وجاويل جد حريصين ، ولكن هناك رجال يستطيعون الادلاء بشهادتهم ، وانا شخصيا تحادثت مع رجلين منهم ، وهازل تعرف اسميهما ، الا أن من الأوفق عدم ذكرهما فى هذا الخطاب . ولسوء الحظ ، فان هؤلاء الرجال يخشون انتقام جاويل ، ويفضلون أن يروه خلف القضبان قبل ان يتكلموا . ولكن القانون لا يجرى بهذه الطريقة . ومع ذلك فان التهديد الذى يقع على راس جاويل يهزه فى بطء ، وهو قد عاد الى نيو أورليانز ، مقر أعماله السابقة ، والرجال الذين يحيط نفسه بهم دائما من رعاع الشعب ، وفى نيتى أن أمضى الى هناك ، وان أفعل ذلك متنكرا اذا كان ولابد من ذلك .

رأى ماكس وزميله فى الزنزانة رجلا ثالثا فوق فراش نقال . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدروس الفرنسية غير مريحة ، فان ذلك الرجل كان يبدى رغبته باستمرار فى غسل شعره فى الساعة الثالثة والنصف بالذات ، أو يحتاج الى المنضدة لكى يكتب خطابا . وحتى اذا بقى ماكس وكارتر جالسين فوق فراش ماكس السفلى فان الآخر كان يشكو دائما لأنه يسمعهما يتمتمان مع أن الضجة التى تصدر من الممر اكثر علوا وارتفاعا فى تلك الساعة

من بعد الظهر .. لم يتعد الثلاثين من عمره ، واسمه سكويف ، نحيل ، اشقر الشعر ، به ندبة تبدأ من احدى وجنتيه حتى صدغه . وقال ماكس لكارتر ان سكويف رد سجون ولكنه لا يعلم سبب سجنه حتى الآن . وكانت هذه اقامته الثالثة على الأقل ، وقد صدر عليه الحكم بالسجن مدة طويلة . وعلى كل حال فانه يكره الدنيا بأسرها ويكره ماكس بالذات . وكان هذا الأخير يعامله بكل ادب ، ويحرص على ان يدع بينهما اكبر مسافة ممكنه ، وكان يسخو فى تقديم السجائر اليه . وكان كارتر يرى ان كل ذلك ما كان الا ليزيد من مقت سكويف وكراهيته ، وقال لماكس بالفرنسية ان من صالحه ان يعامله فى شيء من الخشونة ولكن ماكس اكتفى بان هز كتفيه فقال له :

ـ يخامرنى احساس بانه يحاول ان يختلق مشادة بينكما .

قال ماكس :

ـ اوه اننى اكبر منه .

عاد كارتر يقول :

ـ اعنى مشاجرة قذرة . وكان يعرف ان ماكس يفهم ما يشير اليه : جرح بالخنجر او ضربة بالمقعد على الراس عندما يوليه ماكس ظهره .

ـ سوف يساعدنى روى .

وروى هو الزنجى الضخم . وكان كارتر يعرف انه يكره سكويف هو الآخر ، ولكن القليل من الزنوج ، وفى السجن قلة منهم يخفون كراهيتهم الشديدة نحو البيض ولا يجرؤون على لمس احد من البيض مهما حدث . وعلى العموم كان الزنوج يقيمون مع زنوج آخرين ، ولكن اذا لم يكن ذلك مستطاعا كان الحراس

يضعون زنجيا مع رجل أبيض من أهالي الشمال لأنهم معروفون باعتدالهم وهدوئهم كماكس . ولم يتعرض كارتر بعد ذلك الى الحديث عن سكويف ولكنه اصبح لا يطيق وجوده ، ولم يجرؤ على النظر اليه مباشرة خوفا من ان يلمح سكويف نفوره منه ويثيره .

وقال سكويف ذات يوم وهو يتحول عن الحوض ، وكان يغسل قميصا ، ورش قطرات من الماء على ماكس وكارتر وعلى أوراقهما :

ـ هل تتحدثان عنى أيها الماكران الكبيران ؟

قال ماكس مترددا :

ـ كلا ، كلا . اننا نختلق مواضيع للحديث ، ففيم يمكن أن تتحدث فى هذا السجن .

وبذل كارتر كل جهده لكى يبقى عينيه على قاموسه الفرنسي . بل انه لم يحاول أن يجفف قطرة من الماء سقطت على الورق .

وتحول سكويف فى بطء نحو الحوض ، ودعك قميصه ، ثم علقه فى عنف على العلاقة بحيث تناهى الى الاسماع صوت تمزق . وقال :

ـ مما يرثى له أيها المثقفان إنكما لا تستطيعان الخروج والذهاب الى المكتبة .

كان ماكس يتكلم عن « كيهول » الكلب الصغير الذى آواه المغسل منذ اكثر من شهر ، وكان المساجين يبقونه بعيدا عن العيون لأن الحيوانات كانت ممنوعة . وقد حصلوا عليه من سائق سيارة النقل التى تأتيهم بالمؤن وتدخل ساحة السجن . وكان كلبا

صغيرا ابيض واسود فى السنة الأولى من عمره . والسبعون سجينا الذين يعملون فى المغسل على علم بأمره ولكن الحراس وباقى المساجين لا يعرفون عنه شيئا . ورجال المغسل يأتونه بفضلات اللحم المتبقية منهم ، وما أن يرى أحد منهم حارسا يدخل حتى ترتفع بينهم كلمة السر وهى « كم الساعة » فيسرع الذين على مقربة من كيهول باخفائه فى دولاب حتى ينصرف الحارس . وكان كيهول يقضى الليل فى صندوق كبير وبجانبه الطعام والشراب وورق ممزق لقضاء حاجته . وكان سعيدا وازداد وزنه .

وسألهما سكويف متهكما :

ـ هل تتآمران على الهرب معا ؟

ضحك ماكس وقال :

ـ كلا . وانت ؟ .. اذا كان الأمر كذلك فأشركنا معك .

قال سكويف :

ـ انني اسمعكما طوال الوقت تسألان عن الساعة .. ولابد أن هناك كلمة فرنسية تعنى ذلك .

قال ماكس :

ـ ذلك لأننا لا نريد ان يفوتنا رنين الجرس .

وقال سكويف :

ـ آه . حسن .

كان كارتر قد كتب لعمته ادنا ردا على رسالة تلقاها منها عن طريق هازل ، وشرح لها بقدر ما استطاع سبب وجوده فى السجن ، ولم يشر الى ابهاميه ، فان صدمة واحدة فيها

ما يكفى . ضرب الرسالة على الآلة الكاتبة لكى لا تلحظ عمتـه التغيير الذى طرأ على خطه . وما أن ارسل الخطاب حتى احس بالاحباط ، فان ادنا رغم حرصها على الاطلاع على جميع الجرائد ، ورغم اشتراكهـا بالتأكيد فى جريدة نيو هيرالد تريبون ، وهى جريدتها المفضلة لم تقرأ فيها انه فى السجن . وكان اسوأ ما فى الأمر بالنسبة له رسالة عمته الثانية ، وقد كتبت تقول :

« اننى أصبت بالانهيار عندما علمت بما حدث هو شيء فظيع لهازل وللصغير ، غير اننى اعرف ان هازل قوية وصلبة وسوف تجتاز هذه المحنة كما يجب ولكن انت ، هل ناقشت ضميرك حقا ؟ .. لا يوجد فى الدنيا برىء تماما ، ولا إستطيع ان اصدق ان المحاكم الأمريكية تدين رجلا غير مذنب .. انت مهمل بطبعك يا فيليب وشارد الذهن فى حين انه لابد لك من توخى كل حـرص . اذا ادركت ولو بمقيـاس ضئيل أنك أسأت التصرف فان ذلك سوف يزيل شيئا من مرارتك ويساعدك على المصالحة مع الله » .

ادرك كارتر أن ادنـا تشيخ . كانت فى الخامسة والسبعين تقريبا ، وصحيح ان هـذه السن ليست بسن الشيخوخة اليائسة لبعض الناس ولكنها كانت كذلك بالنسبة لها . وانتظر بضعـة اسابيع قبل ان يرد عليها ، ثم كتب لها رسالة وجيزة انتقى فيها كلماته لكى يوضح لها الأساليب التى اتخذها بالمر لاختلاس الأموال التى عهد بها مجلس ادارة المدرسـة الى شركة تريومف . ولم ترد ادنـا على هذه الرسالة ابدا ، وكتبت اختها مارتا فى يولية ، وكانت تقيم معها تقول لكارتر انها تلازم الفراش بسبب الاستسقاء وضعف القلب وأن طبيبها لا يرى اى امل لها فى الشفاء . ثم عادت

وكتبت له فى اغسطس تقول ان العمة ادنـا ماتت . وكان على كارتر أن يرث ١٢٥٠٠٠ دولار . وعرف أين ذهب النصف الآخر من ثروة أدنـا .. الى مارتا ، وكان لذلك ما يبرره فى نظره لأن ادنـا عاشت اكثر من عشر سنوات معها ، ولم تكن مارتا تملك شيئا يذكر . ولكن قيل لكارتر وهى على قيد الحياة انه سيكون الوارث الوحيـد لثروتها .ولم يغضب كارتر ولم يبتهج كذلك لضياع نصف الثروة منه بل ان ذلك لم يهمه على الاطلاق ولم يشر الى ذلك الموضوع أمام ماكس ، وأراد أن تستغل هازل ذلك المبلغ، وان تستثمر الجزء الأكبر منه فيما يفيد وان تصرف النظر عن الالتحاق بأى عمل ما . ولكنها ارادت فى الوقت الحاضر أن تتبع دروسا لمدة عامين تتيح لها الحصـول على دبلوم فى علم النفس والاجتماع لا تستطيع بدونه الالتحاق بأية وظيفة لها شانها .

راى هازل فى يولية ، عندما عادت بالطائرة مع تيمى . وأقامت فى تلك المرة فى مسكن سوليفان بكلايتون ويقع على بعد عدة كيلو مترات من فريمونت . وراض نفسه هـذه المرة على أن ترى هازل سوليفان . لم يظن انهما على علاقة أو إنهما كانا على علاقـة حتى الآن . وان ذلك لن يحدث مستقبلا . خضـع حبـه لهـازل الآن الى تبدل كبير وهو فى السجن . اصبح مجرد عاطفة لا دخل للجنس ولا لأية متعة جسدية ، كما لو ان هـذا النوع من الحب الذى كان شديد الاتساع من قبل بقى معلقا فى مكان ما . ومع ذلك فان حبه لها ازداد . احس بأن اخلاصها له كان وسيكون اعظم شىء فى حياته . وعندما قالت له فى تلك الزيارة « حتى اذا قدر لك البقاء هنا ست سنوات فان نصف المدة قد انقضت » واحس عندئذ بالهدوء والقوة ، وكانت هذه الكلمـات قبل ذلك . بسنتين تشعره بالمرارة والغضب .

ولم يغير الوعد بالحصول على المـائة والخمسة والعشرين الف دولار بعد التصديق على الوصية قرار هازل الحصـول على

دبلوم علم الاجتماع . وقررت الالتحاق بكلية أدلفى فى لونج ايسلاند فى سبتمبر .

وكان شهر أغسطس كثير القلاقل والاضطربات بالنسبة لكارتر . فقد كان الحر أسوأ منه عن كل سنة مضت . وعاد سوليفان الى نيويورك من جديد وأقام فى مسكن كنولتون . وهكذا مضت السنوات ، وفى أحد ايام الأسبوع الأخير اكتشف الحراس امر كيهول ، فقد اسرع سجين لاخفائه فى اللحظة التى دخل فيها أحد الحراس . وفى تسرعه داس على ذيل الكلب فنبح . وأخرج الحارس مسدسه على الفور ليحمل الجميع على طاعته ، ولكنه فشل فطلب أن يرى الكلب . وكان كيهول فى صندوق . ولم يتحرك احد لاخراجه . وقال ماكس ان المغسل كله ران عليه صمت مطبق وتوقفت الآلات عن الدوران ، وفى ذلك الصمت غير العادى نبح الكلب ، واكتشف الحارس مكانه وأخرجه من الصندوق .

يروى ماكس قصته بالفرنسية كما يفعل دائما . وكان سكويف حاضرا فى ذلك اليوم .

ونقل الكلب الى المحشر ، فى مدينة بومان المجاورة . وقال ماكس ان رجالا كثيرين ينوون ارسال خطاب الى جريدة ايجل ببومان فى محاولة لايجاد بيت للكلب ، وارسلوا الدولارات الثلاثة التى يطلبها المحشر لايواء كيهول ، ووقع جميع العاملين بالمغسل على خطاب الجريدة بحيث لم يتمكن المسئولون بالسجن مساءلة احد بالذات لاحتفاظه بذلك الكلب .

وفى صباح اليوم التالى كان السجن كله على علم بحادثة كيهول ، وقد اطربهم أن وجود الكلب بقى سرا طوال ثلاثة شهور وان ستة آلاف نزيل علموا بقصته بعد أربع وعشرين ساعة . وتملكهم الغضب رغم طربهم . وقال ماكس ان الهمسات راحت

تدور فى قاعة الطعام اثناء العشاء فى اليوم الذى اكتشف فيه الكلب ، وان الحراس اضطروا الى اطلاق انذار من مكبر الصوت يقول ان اى رجل يضبط وهو يتكلم يحرم من السينما فى عطلة الأسبوع .

وكان سكويف جالسا على المقعد ينظف اظافره بشىء اشبه بالسواك فقال يخاطب ماكس :

ـ كنت تعلم اذن بقصة الكلب ، ثم انك تعمل فى المغسل ، اليس كذلك ؟

اجابه ماكس فى هدوء :

ـ ولكن لو اننا اخبرنا الجميع بوجود الكلب لتكلم احد الأوغاد ولما بقى معنا اكثر من يومين .

قال سكويف وهو يشير الى كارتر :

ـ ولكنك أخبرت صديقك بأمره ، وهو لا يعمل بالمغسل . انه طبيب . لماذا اخبرته هو بالذات ؟

وبعد ذلك بيومين قال ماكس ان الخطاب الذى وقعه جميع العاملين بالمغسل أوقف ، فقد عرضه الرقيب على المأمور ، واعلن هذا الأخير أن كل العقوبات الموقعة ضدهم قد امتدت شهرين وأنهم سيحرمون جميعا من السينما طوال شهر .

غادر كارتر ماكس ، وكان يقف فى آخر العنبر رقم ١ فى انتظار هبوط المصعد عندما سمع صوت أول هدير . كان صادرا من العنبر رقم ٢ . كان فى البداية اشبه بالهتاف ، ولكن لمن يهتفون فى السجن . وانفتح باب المصعد ، وسمع الفتى المكلف به الهدير فارتسمت على وجهه امارات التوتر والدهشة . وتوقف جميع الموجودين فى العنبر رقم ١ وران عليهم الصمت امام ذلك

الهدير الذى راح يزداد . وخرج آخرون من زنزاناتهم للاستطلاع، وصاح احدهم فى صوت اجش :

ــ لقد بدأ الأمر .

وخاطب فتى المصعد كارتر قائلا :

ــ هلم ، ادخل .

ولكن فى تلك اللحظة بالذات انقض سجين على الفتى وطوقه بيديه ووقع الرجلان داخل المصعد .

وفجأة راح الجميع يركضون . ودفع ثلاثة او اربعة رجال بكارتر بعيدا وهم يندفعون داخل المصعد ، ضاحكين ، صاخبين . ودوت رصاصة داخل عنبر المساجين ، ولكن بدت ضعيفة وسط ذلك الهدير ، وانقفل باب المصعد . واستدار كارتر ، ورأى ان الباب الذى يؤدى الى العنبر رقم ٢ مفتوح على سعته ، وان رجالا من العنبر رقم ١ يندفعون نحوه متجمهرين ، ولم يعرف اية جهة يسلك ، وفكر فجأة ان يختبىء فى احدى الزنزانات ولكن ما ان اتجه اليها حتى اصطدم برجل ضخم كان يجرى صدمة عنيفة قطعت انفاسه . وتملكه الغيظ والغضب فانطلق الى العنبر رقم ٢ ، وكان هناك جمع كبير من المساجين حوله ، واحس كارتر بجسد رجل تحت قدميه . وراح المساجين يتدافعون بالمناكب ، ويرتطمون بعضهم ببعض ، ودلف كارتر اخيرا من خلال الباب ، وكان الرجال يتجهون نحو العنبر رقم ٢ ، هادرين ، صاخبين ، وتساقط الماء من احد الطوابق العليا ، وصاح الرجال الذين ابتلوا وحاولوا الهرب بين ذلك الخضم البشرى ، وكانت زنزانة ماكس على بعد مائتى متر تقريبا ، ولكنها بدت كأنها تبعد مائتى كيلو مترا . وعدل كارتر عن الوصول اليها واتجه نحو تلك التى

الى يساره ، وتخبط رجل مسن خلفه ، وتشبث بقميصه كالغريق وهو يردد :

اريد ان اذهب الى زنزانتى .. زنزانتى .

وعندما بلغ كارتر الزنزانة فى النهاية ، اعترض طريقه سجين قائلا :

ـ ابتعد أيها الوغد ، وكان معه اربعة آخرون اغلقوا الباب فى وجهه فى قوة ، فاندفع الى زنزانة أخرى ، متجها نحو زنزانة ماكس ، وكان الجمع الهائج يندفع نحو العنبر رقم ٣ ، وافترض كارتر ان ابوابه مفتوحة . وكانت الزنزانتان التاليتان مفتوحتين ، ولكن الحشد اندفع نحوهما وانتزع بابيهما ، والقى بالمرتبات على الأرض ، وانتزع المرحاض من مكانه فاندفعت منه المياه كالموج . وفكر كارتر انه اذا انتزعت كل المراحيض وتدفقت منها المياه فسوف يغرق الجميع . وصرخ رجل من الألم فى زنزانة اخرى . وكان بداخلها ستة أو ثمانية رجال يضربونه ويكيلون له اللكمات . وكان الرجل يصرخ ولكن لم يكن أحد يراه . وتخلى كارتر عن فكرة الاحتماء داخل زنزانة فليست أمامه اية فرصة اذا كان لدى الجميع فكرة الهجوم والضرب . ورأى رجلا وحيدا يحاول التشبث بالقضبان عبثا ، ومر مرحاض فوق رأس كارتر وراح يدور فى الفضاء قبل ان يقع على رجلين ويأخذهما معه .

صاح أحدهم :

ـ هلموا بنا يا اصحاب . ناولونا اياه .

واخذوا يتناقلون رجلا ممسكين به أفقيا بين أيديهم ويمرون به فوق رؤوسهم وهم يتضاحكون ويكيلون له اللكمات ، ولم يلبثوا ان طرحوه ارضا فى العنبر رقم ٣ واختفى عن الأنظار .

وازداد الغناء :

ــ اشنقوا المـأمور .. اشنقوا المـامور .

بحث كارتر عن ماكس . ورأى هانـكي يصرخ ويصيح فى نفس الوقت وهو يلوح فى انتصار بسكين صنعها بنفسه . وتساقط المـاء فوق رأس كارتر ، وفوق رؤوس المحيطين به . وفى تعجله للافلات منه وجد نفسه فى منتصف الممر . وجرفه الحشد فى طريقه بحيث لم يلبث أن وجد نفسه أخيرا على مقربة من زنزانة ماكس فأسرع اليها .

كان فيها نحو ثمانية رجال وقد جحظت عيونهم رعبـا ، وتجمدوا فى أماكنهم وهم يحتفظون بالباب مغلقا بكل قوة .

صاح كارتر بهم :

ــ اين ماكس ؟

ــ من تقول ؟

ــ ماكس .. هذه زنزانته .

نظر الرجال اليه فى وجوم وجمود . لعلهم لم يسمعوه . حاول أن يغطى بصـوته على أصوات أكثر من عشرة رجـال . ولم يعرف كارتر أيا منهم . وازداد الزحام فجـأة أمام كارتر . وافلحوا أخيرا فى دخول العنبر رقم ٢ .

قال أحد المساجين داخل زنزانة ماكس :

ــ ابتعد يا صاح .

ــ اننى لا احاول الدخول ، ولكن هل يعرف أحـدكم أين ماكس .

انفتحت أبواب بعض الزنزانات ، وخرج منها حشد من الرجال وهم يصيحون ويقهقهون . كانوا قد احتموا أثناء أسوأ لحظة ، واصبحوا على استعداد الآن للتلاحم مع الآخرين .

وقال أحد الرجال من داخل زنزانة ماكس :

ــ هلموا بنا من هنا .

وانفتح الباب فجأة وتسلل منه ثمانية او عشرة رجال .

كان ماكس طريحا على الأرض فى آخر الزنزانة .

عندما اداره كارتر وراى وجهه ادرك انه مات . كان وجهه ملوثا بالدم ومهشما تماما . واصيب كارتر بغصة وراح يتنفس فى جنون ، ثم اسرع خارج الزنزانة ، وجرى نحو العنبر رقم ٣ للحاق بالرجال العشرة .. احدهم او بعض منهم فعل هذا بماكس ، وهم يتدافعون لدخول زنزانته . مد رجل مسن يده وحاول ، مرحا ، ان يوقف ماكس ، ولكن هذا الأخير رفع قدمه وركله فى بطنه . وتراجع الرجل وهو يترنح ، وارتطم بالحائط ووقع . وانقض كارتر عليه ، وانقض على وجهه وجسده وراح يركله بقدمه . وراح كل من حوله يصفقون ويهتفون ويشجعونه فى صوت مرتفع . وامسك كارتر بياقة قميص الرجل بين يديه وراح يضرب راسه بالأرض الحجرية .

امسك سجين زنجى كارتر من يده وقال له وهو يبتسم :

ــ رويدك يا صاحبى .. هل جننت ؟

حاول كارتر ان يضربه بقبضة يده ولكنه لم يصبه . وضربه الزنجى بدوره فسقط فاقد الرشد .

وعندما عاد الى وعيه كان الصمت يرين على العنبر فيما عدا صوتين فى آخره . وكان هناك سجينان بيد كل منهما مسدس

وسجين ثالث يقف بمفرده وفى يده مسدس هو الآخر ، فى الناحية الأخرى من العنبر ، على مقربة من كارتر .

وقال زنجى بجواره :

ــ حسبتك مت يا صاحبى .

وكان يرقص على كل من قدميه فى بطء ، وحاول كارتر ان ينهض مستعينا بأحد ذراعيه ولكن ذراعه تخلى عنه فأدرك انه مكسور ، واستعان بذراعه الآخر ، وسار مترنحا حتى زنزانة مفتوحة استند على بابها ، وكانت شاغرة فتهالك فوق الفراش السفلى ، على اليايات المعدنيـة بالذات لأن المراتب كانت متناثرة . فوق الأرض .

راى من ساعته انه قضى فى تلك الزنزانـة اربعـا وعشرين ساعة ، وظلت الأنوار مضاءة طوال الوقت . وكان المساجين هم الذين يقومون بالحراسة الآن ، وكان هنـاك الكثير منهم ، واتى اثنان منهم بماء لكارتر وتساءل من اين لأن الحوض كان مكسورا والمـاء ينساب من المواسير قطرة قطرة . وحتى المواسير نفسها كان معظمها مكسورا وراح المـاء يتسرب منها داخل الزنزانات . وتورم ذراع كارتر المكسور ، وطلب ان ينقلوه الى العيادة أكثر من مرة ، ولكن الحراس اعتذروا بانهم لا يستطيعون مغادرة اماكنهم طبقا للأوامر الصـادرة اليهم . كانوا يتكلمون الآن فى زهو وتيه كما لو أنهم مجندون فى جيش يحبونه ويحترمونه . وعد أحدهم كارتر بأن يحـاول الحصول له على تصريح لنقله الى العيادة . وآلمـه ذراعه وابهاماه وحن الى المورفين وبدأ يفرغ من معدته المـاء الذى شربه . وكان الرجلان اللذان نقلاه ذوا روح طيبة ، وسكارى بعض الشيء ، ولحظ كارتر ان انفاسهم تفوح بالكحول . وكان احدهم زنجيـا والآخر أبيض ، وقال له الزنجى : « نعم يا صاحبى . انتظم كل شيء الآن ولدينا نقالات ومحفات وشاش

وقطن وخمر » . وضحك ضحكة عالية . وتعثرا وهما يمضيان به وقالا له ان المصعد معطل ، وانهما مضطران الى صعود السلم . وسأله الزنجي وهو يبتسم :

ـ هل انت الذى قتلت هوايتى ؟

لم ينطق كارتر . تذكر فى غموض معركة ضارية ، ورأى نفسه يركل رجلا بقدمه ، ولكنــه لم يتذكر اى شيء عن وجــه الرجل ، وما كان ليستطيع أن يقول ان كان نحيفا أم ضخما ، قصيرا ام طويلا ، أبيض ام اسود .

أصاب الاتلاف العيادة هي الأخرى . وبدا الدكتور كاسينى غاضبا ، همهم يحيى كارتر كما لو انه لا يعرفه .. كانت هناك مناضد محطمة مكومة فى ركن من الغرفة ، ووقف حارسان من المساجين بجوار النافذة ، وفى جيب كل منهما مسدس . وقــال الدكتور كاسينى :

ـ كلما اجتاز احد هذا الباب أظن الأمر اغارة . يا الهى !.. أكم من العقاقير يعتقلون لدينا هنــا . هــذه رابع مرة يأتوننى بجرحى .

كان مهتما بذراع كارتر ، يتحسسه فى كل مكان . وسأله كارتر هامسا :

ـ « الديك مورفين » ؟

وابتسم الدكتور كاســينى وردد البصر حوله ثم انحنى فوقه وقال :

ـ « لدى كمية احتياطية احتفظ بها .. لكى اعالج حالات مثل حالتك هذه بالذات . ولدى بنسلين ايضا ، ولدى ما يساعدنى على اجتياز هذه الأزمة يا عزيزى فيليب » .

أعاد له الدكتور كاسيني ذراعه مكانه بالشد . وأعطاه ، مكافأة له ، حقنة من المورفين . ورغم ذلك فقد تألم جـدا لأن العظمة الحادة انغرزت فى اللحم اللدن . وتذكر كارتر انه كان قد وعد ماكس بتحمل كل شيء دون تململ وهذا ما فعل . كانت به جروح سطحية غير ذراعه : قطع صغير فى الجبهة كان لابد من تطهيره ، وجروح أخرى فى أصابعه . وجرح من خمسة سنتيمترات فى باطن ركبته كان لابد من خياطته ، ثم أن فردة من حذائه كانت قـد امتلأت بالدم ، وقد تجمد كما لو كان صمغا ، وكان لابد من وضعها فى المـاء حتى يتحلل وتتحرر القدم . وبعد العملية بخمس وأربعين دقيقة كان من القوة بحيث راح يسب ويلعن ، فى سره فى بادىء الأمر ، ثم صب لعناته علنا وجهارا على قتلة ماكس .

قال له بيت ان ستة رجال لقوا حتفهم ، وربما أكثر .. وكل سرر العيادة كانت مشغولة ، وكان فى الامكان أن يكون سرير كارتر مشغولا هو الآخر لو لم يحتفظوا له به . وكان هنـاك رجال ممددون فى طرقة العيادة ، واحتفظ المساجين بستة من الحراس فى العنبر رقم ٣ كرهائن ، وطلبوا ان يقدم لهم البفتيك مرتين فى الأسبوع بدلا من مرة ، وعدم السماح بأكثر من رجلين فى الزنزانة الواحدة ، وقهوة من نوع جيد . وقال الدكتور كاسيني :

ـ آه .. هم مجانين .. مجانين تماما . ظننت ان التمرد بسبب ذلك الكلب ولكن اتضح ان نصف الرجال الذين أراهم هنا لا يعرفون عنه شـيئا . لم أذق النوم منذ ان بدأ كل هـذا ، وأخشى أن أنام . يجب أن يأتى الحرس الوطنى الآن ، ولا ريب انهم استدعوه . سوف تقع معركة حتما .

لم يهتم كارتر بذلك اى اهتمـام ، فسيـان لديه ان يأتى الحرس الوطنى الى العيادة ويقتله هو ايضا . بدا له كل شيء بعيدا ، وغير ذى اهمية . واصغى الى حديث بيت كما لو كان فى

منام . وتحدث بعض الجرحى الذين فى العيادة عن الخطابات التى صادرتها الرقابة ، ولكن لم يعرف أحد ما حدث حقا فيما عدا ان كل شيء بدأ فى العنبر رقم ٣ . انقض رجلان على أحد الحراس واستوليا على سلاحه .

وقال بيت :

ـ والغريب اننى علمت أن المأمور كان ينوي القاء بيان بقاعة الطعام يقول فيه ان الخطابات الخاصة بالكلب لن تصادر ، ولكنه تأخر بعض الوقت .. عشر دقائق بالكاد ، وهذا غريب ، اليس كذلك .

وقال أيضا ان زعماء التمرد تبادلوا حديثا تليفونيا مع المأمور ذكروا فيه مطالبهم ، وكان يعرف أن أكثرها غير حقيقى ، ولكن أغرب ما سمعه هو انهم طالبوه بأن تكون السينما كل ليلة وان يمنح كل سجين اجازة كل ثلاثة شهور ، وادخال المياه الساخنة الى الزنزانات . وحمل هذا المطلب الأخير بيت على الضحك فى جنون .

وفى نحو الساعة الثامنة من تلك الليلة سمع دوى رصاص ، وعلمت العيادة بعد قليل ان العنبر رقم ٣ عاد اليه النظام بفضل الحرس الوطنى ، وانه أصبح تحت اشراف الحراس من جديد ، ولم يكن الظلام قد حل بعد ، ولكن الدكتور كاسينى أكد بأنه لن تكون هناك اية معارك حتى الصباح .

وكان هدف الحرس الوطنى هو المطبخ ، وقال الدكتور كاسينى فى ازدراء :

ـ يكفى تجويع هؤلاء الأوغاد بضع ساعات فيرتدعون ، فهم لا يفكرون الا فى بطونهم .. فى بطونهم وفى الجنس طبعا .

واستمر الاشتباك فى العنابر الأخرى حتى الصباح .

وحسب كارتر إنه وقد امتلأ بالمورفين سيستطيع ان ينام ، ولكن الألم ابقاه مستيقظا ، على انه لم يهتم بذلك فقد فكر فى ماكس فى هدوء وفى مرارة فى نفس الوقت . فكر فيه طوال الوقت تقريبا. لقد قتل رجل على الأقل انتقاما له . ليس الرجل الذى قتل ماكس بالتأكيد ، ولكنـــه كان ضمن الجماعة التى اشتركت فى قتله ، والكل متشابهون . كان كارتر واثقا انه قتل الرجل ، وبدا له ذلك قصاصا عادلا تماما .

بعد شهر من الشغب الذى استمر ثلاثة أيام فى سجن الدولة ، والذى كان حديث الجرائد المحلية كلها ، أصبح الأمر بالنسبة لكارتر شيئا من الماضى ، وكان يمكن أن يكون قبل ذلك بكثير ، ولكن كان لابد من شهر واكثر للمساجين لتنظيف الفوضى التى قاموا بها ، ولاعادة تركيب المراحيض واصلاح الأقفال المحطمة ، وهذه الأخيرة كان لابد من الاستعانة ببعض الحدادين من الخارج لاصلاحها لأن الحدادة لم تكن من بين المهن التى يعلمونها فى السجن ، ولاصلاح الآلات التى تهشمت فى المغسل ، ولرتق جروح المساجين انفسهم . ورأى كارتر كل هؤلاء حوله ، وكانت أشد الحالات حزنا حالة العجوز ماك ، ولم تكن به جراح ، ولكنه نقل الى العيادة لأن الخبل أصابه كما يقول الدكتور كاسينى ، فقد رأى نموذجه الصغير لباخرته يتحطم ويداس باحذية المساجين الثقيلة ، كما رأى زنزانته تكتسح ، وعلم كارتر ان ماك كان قد أفلح فى اغلاق زنزانته بالقفل بمساعدة أحد الحراس ، ولكن المساجين حطموا القفل بمطرقة ودخلوا وحطموا النموذج. روى كارتر القصة لهازل فى احدى رسائله . ونظرا الى أن الشغب لفت الأنظار الى الظروف التى يعيش فيها المساجين ، فقد كانت هناك فرصة فى ان ينقل ماك العجوز الى مصحة عقلية ، وهذا خير له لأن ما من أحد فى العيادة يعرف كيف يهتم به . لم يكن عنيفا ،

ولكنه لم يكن يدرى اين هو . بل انهم كانوا يضطرون الى اطعامه بالملعقة .

كان التمرد بالنسبة لكارتر حدثا فى حياته ، تلك الحياة التى اعتبرها تمردا لا ينقطع وعصيانا وحقدا . حاول ان يفسر ذلك لهازل ، واحس بانه عبر بوضوح ودقة عما يجيش بصدره ، ولكنها ردت عليه بأنها ترى مجرى أفكاره لا يتعدى السلبية ، وان عدم خبرته بالطبيعة البشرية ، وبنوايا الموظفين الاداريين بالسجن سيقوده الى الاحباط والعصبية وكراهيته للمجتمع ما لم يحاول ان يرى الأمور بطريقة اخرى « يجب ان تواجه الأمور كما هى ، فما من شىء فى الحياة ابيض تماما وما من شىء أسود تماما . يؤسفنى اننى قد ابدو لك مبتذلة يا حبيبى ، ولكن كما قال دافيد ذات مرة فكل الأمور الحقيقية مبتذلة ، وقد قيل ذلك كثيرا لأن التجربة الانسانية اثبتت صحتها .. واعترف كارتر بأن فى قولها هذا بعض الحقيقة ، ولكنه انتقد نتائج التمرد ، فان رجالا كماكس قتلوا واصيب ماك بالجنون ، والمسكين لا يستطيع ان يرى زوجته الآن لأنه لا يستطيع الهبوط من العيادة ولا يستطيع أحد ان يرافقه ، وزوجته لا تستطيع ان تراه لأن الصعود الى العيادة ممنوع ، واقسى ما هناك أن واحدا من المتمردين وهو سويدى ، قد حصل رغم قصره وسمار بشرته على ما يريد ، وهو الاقامة بزنزانته وحده ، والظاهر انه حصل على ذلك لأنه متمرد مشبوه واسمه مسجل على بطاقة حمراء على باب الزنزانة ، ولكن لم يكن لهذا معنى لأنه كان يختلط كل يوم بغيره من المساجين ، فى الورشة او فى العنبر . حصل على زنزانة خاصة لأنه طلبها ولأن المسئولين فى السجن ارادوا تفادى اضطرابات أخرى اذا لم ينزلوا عند طلبه .

ومضى دافيد للاقامة فى نيويورك فى السنة الرابعة من

اقامة كارتر فى السجن ، والتحق بشركة قانونيـة لها مكاتب فى عمارة جديدة بالشارع الأول . ونالت هازل دبلومهـا من جامعة أدلفى ، وفكرت فى باديء الأمر فى قبول وظيفة فى أوروبا وارسال تيمى الى مدرسة بسويسرا ، ولكنها عدلت عن فكرتها هذه لحصولها على وظيفة فى لجنـة لرعاية الأطفال فى وست سايد بمانهاتن . ولم يشك كارتر لحظة فى ان قرارها بالبقاء فى الولايات المتحدة كان مبنيا على أساس ان سوليفان انتقل للاقامة فى نيويورك .

كانت تأتى لزيارته ثلاث أو أربع مرات فى السنة ، وتقيم فى الفندق الوحيد ببوومان . ولم تكن النفود بمشكلة بالنسـبة لها الآن بسبب وظيفتها ، ولم تكن زيارتها احيانا تتجـاوز عطلة نهاية الأسبوع . وكانت تكتب له ثلاث مرات او اربع فى الأسـبوع ، وكانت ترفق برسالاتها أحيانا صورا لتيمى ، واصبح لدى كارتر الآن البوم للصـور يحتوى على الخصوص على صور تيمى وبضع صور لهازل ولبعض أصـدقائها الذين تعرفت بهم فى نيويورك ، وتحدثه عنهم فى رسائلها : آل اليوت الذين يقيمون فى لوكاسـت فالى بلانج ايسلاند ، وجيريمى سوتر ، وهو رجل التقت به فى الجامعة ومتزوج بفتاة تدعى سوزان واناس لا يهتم كارتر بهم ، ولكنه يجمع صـورهم ، ومنهم بلانش وايدى لانجواير . كتب له ايدى مرتين فى أول سنة له فى السجن ، ولم يرد كارتر عليه ، وقد انتقلا أخيرا الى دالاس بسبب عمل ايدى ، ولم يكتب اليه منذ مدة طويلة ، وهكذا الأمر مع غيرهم من أصدقاء نيويورك . خطاب او بضعة خطابات تعبر عن الاشفاق والعطف ثم الصمت .

أصبح تيمى فى الحادية عشرة من عمره الآن . وكان كارتر يتلقى منه رسالتين كل شهر فى المتوسط ، ولكنه احس أن الغلام

كان يبذل كل جهده لكي يجد ما يقول له . وحدث كارتر نفسه فقال ان الأمور سوف تتحسن عندما يلتقيان فيما بعد ، ولن يكون ذلك سهلا فى بادىء الأمر . ولكن كارتر كان ينوى أن يكون حازما معه وأن لا يترفق به وان يتوقع ان لا يسرع ابنه لمعانقته فى أول لقاء .

وكان لكارتر الآن مكتبة مزججة بباب مزود بقفل لأن الكثيرين كانوا يستعيرون كتبه دون اذنه . ولكنه كان يعيرها بنفسه لكل مرضى العيادة الذين يطلبونها . كان لديه كتب من تأليف سويفت وفولتير وستاناللى وبازاك وغيرهم من الكتاب المعروفين ، وجزء من الموسوعة البريطانية تركه أحد المساجين عند مغادرته للسجن ، وقاموس انجليزى وكتاب لتعليم السباكة . قرأ كل الكتب من إولها حتى آخرها . وكان يحتفظ تحت سريره بصندوق يضم أقلاما وادوات للرسم ، ويقوم برسم الآلات التى يتذكرها وغيرها من ابتكاره . وتغلب على عاهة ابهاميه ، وكتب ذلك لهازل ، وقال انه امر بالغ الأهمية بالنسبة لمستقبله . ولكن هازل كانت لاتزال تفكر فى أن يجرى عملية جراحية وتكلمت عن ابهاميه مع اخصائى فى جراحة الأيدى بنيويورك . بيد ان كارتر لم يعد يهتم بذلك مع مرور الوقت . وكان يعرف ان هازل تعلم ذلك ، فقد اعتاد الآن على ابهاميه ، ولكنه لم يشعر بالحاجة لابلاغ هازل بذلك .

وفى السنة الرابعة لاقامته فى السجن حاول التوقف عن تعاطى المورفين نهائيا ، واصيب بعدة نكسات من جراء ذلك لأنه لم يفكر فى خطورة الموقف . كانت الاعراض اذا ما توقف عبارة عن عرق غزير واضطراب فى اليوم الثانى أو الثالث ، ويستمر ذلك

اثنتى عشرة ساعة تقريبا . واعتبر كارتر ذلك كنوع من العذاب اللذيذ واثبت لنفسه انه يستطيع التوقف عن المورفين لمدة شهرين أو أكثر اذا تناول أقراص الديمورال المهدئة . وخف الم ابهاميه ، واستغنى خلال السنة السادسة عن المورفين أحد عشر شهرا . وكان لديه هدف يرمى اليه وهو انه اذا ما غادر السجن فلن يستطيع الحصول على المورفين بسهولة ، كما انه اراد أن يكون فى مقدوره أن يقول لهازل انه يستطيع الاستغناء عنه نهائيا .

توقف مستر دريكسل عن دفع المائة دولار الشهرية بعد عشرة شهور ، وهو وقت انتهاء العقد الذى بين الشركة وبين كارتر ، وكتب مستر دريكسل اليه يعده بتزويده بخطاب توصية ، ولكنه قال انه سيؤرخه بتاريخ مغادرته للسجن حتى لا يصبح قديم المفعول عندما يبحث عن وظيفة . واطرب الأمر كارتر ، فان معنى خطاب التوصية أن حامله حديث التخرج من السجن ، وكان المفروض ان يغادره فى ديسمبر ، فقد خفضت شهادة بحسن سلوكه وخدمته فى العيادة ثلاث سنين وبضعة أشهر من المدة المفروض ان يقضيها فى السجن .

ذلك أن الدكتور كاسينى كتب تقريرا كله مديح واطناب فى سلوك كارتر وتفانيه فى خدمة المرضى ، وعرض هذا التقرير عليه قبل تقديمه ، كما كتب عنه دافيد سوليفان كذلك ، ومستر دريكسل هو الآخر ، بناء على طلب كارتر بالذات . وسيغادر السجن فى عيد الميلاد من هذه السنة . وخلافا لغيره من الرجال الذين يجب أن يبدأوا حياة جديدة بعد خروجهم من السجن كان له زوجة وولد وبيت ومال . سيستطيع أن يقدم هدايا لذويه بيديه بالذات ، ويلف الهدايا ولا يعرف محتوياتها غيره هو .

والواقع انه سيكون فى أول ديسمبر فى مسكن نيويورك مع هازل حرا ، طليقا ؛ معه تقرير يثبت حسن سـلوكه رغم إنه قتل رجلا فى السجن . وخلال الشهور التى تلت التمرد فكر كارتر كثيرا فى أن سجينا بفيض الوجه يمكن أن يقترب منه فى ورشة النجارة ، أو فى زنزانة يمضى اليها بدواء ، أو فى أى مكان آخر ويقول له « سمعت انك انت الذى قتل هوايتى » ويصبح عندئذ فى خبر كان . ولكن الأمور لم تقع هكذا .

- ١٢ -

في أول ديسمبر ، يوم جمعة ، اقتيد كارتر في الساعة الثامنة صباحا في سيارة الى خارج السجن . وكان يرتدى البدلة السمراء الخاصة بالمساجين المطلق سراحهم ، أو الذين في أجازة وكان في جيبه ورقة بعشرة دولارات يمنحها السجن للذين يطلق سراحهم . وانزلوه عند موقف أوتوبيس جورني ، وهي بلدة صغيرة على بعد ثلاثة كيلو مترات من السجن ، وقال له الحارس :

ــ لا تنس ان تقدم نفسك الى ضابط البوليس ، واجابه كارتر :

ــ لن انسى .

أقبل الأوتوبيس على الفور تقريبا . كان الجو مشمسا وباردا . ومشى كارتر في الأوتوبيس وهو يفتح عينيه على اتساعهما، كما سبق أن فعل في سيارة السجن . وطرفت عيناه طوال الوقت وحاول ان يكف عن البحلقة بعينين مستديرتين وان يبقيهما على يديه ، ولكن بعد بضع ثوان الفى نفسه يلصق انفه بزجاج الأوتوبيس او يحملق في قبعة من القش الأسمر بها عصافير حمراء ، على بعد بضعة سنتيمترات منه أو يصغى الى شابين واقفين بجواره ويثرثران بلهجة أهل الجنوب ، وكل منهما يبدو في الخامسة عشرة من عمره . وفكر أن تيمى سيكون بعدثلاث سنوات تقريبا رجلا مثلهما وان صوته سيتغير وسيهتم بالفتيات.

كان هناك ثلاث ساعات انتظار فى فريمونت . ارسل كارتر برقية الى هازل يخبرها فيه بموعد وصوله . ارادت ان تأتى الى السجن لكى تراه بمجرد خروجه ولكنه توسل اليها ان لا تفعل . وقضى ثلاث ساعات فى التجوال فى الشوارع حول المطار .

كانت هازل قد ارسلت اليه حوالة بمائة دولار صرفها السجن من أجله صباح اليوم بالذات ، وانفق سبعة وخمسين دولارا وتسعين سنتا ثمنا لتذكرته ، وفى الطائرة قدموا له الغذاء : صينية صغيرة بها شرائح من اللحم الطازج وبطاطس محمرة ودوائر من الطماطم فوق طبقة من الخس وفنجان صغير به صلصة بلون الكريم ، وفتح كارتر الفنجان بأن سحب اللسان الورقى بأسنانه ، ووجد بعض المشقة فى استعمال الشوكة والسكين . كان يفضل ان يأكل بالملعقة ، ولكنه شعر بأن الرجل الجالس بجواره يراقبه ، وانه قد يبدو له سجينا سابقا غادر السجن لتوه .

وتوقفت الطائرة فى بتسبورج ، وفى ويلكس بار ، وهبطت فى مطار لاجارديا فى الميعاد تقريبا . وفيما هو يعبر بهوا كبيرا مع غيره من الركاب رأى هازل وتيمى وكذلك سوليفان يطلون من الشرافة . واشار لهم بيده وابتسم . وهزت هازل يدها فى انفعال . واجاب سوليفان على تحيته مرة واحدة فى هدوء وهو يبتسم ، وتيمى فى شىء من الخجل . كل هذا رآه كارتر فى لمحة خاطفة .

قبلته هازل فى وجنتيه ثم فى فمه وهى تبكى وتضحك فى آن واحد ، وطرفت عينا كارتر لأن الأنوار بدت له ساطعة جدا والألوان براقة فى كل مكان .

ـ كيف حالك يا تيمى ؟

بسط كارتر يده اليه ، ونظر تيمى الى اليد ثم أمسكها فى النهاية بقوة وهو يقول :

ـ على ما يرام .

كان صوته عذبا جدا فى اذنى كارتر ، وقويا ، وان كانت تتخلله رعشة خفيفة .. صوت غلام .. كان صوت وليد فى آخر مرة رآه فيها .

وقالت هازل :

ـ السيارة معى . هل انت جائع ؟ اعددت لك العشاء فى المنزل .

وقال سوليفان وهو يخلع معطفه :

ـ اليك معطفى .

واجبره على ارتدائه ، وكان كارتر يرتعش من البرد فقبل . واندست يداه فى الكمين المبطنين بالحرير بسهولة .

خرجت هازل من متاهة لاجارديا ، وعبرت كوبرى تريبورو . كانت السيارة ، وهى من طراز موربس ، معها منذ سنة . واقتربت انوار مانهاتن من الغروب ، وبدت المدينة كما لو كانت دنيا كبيرة .. دنيا كبيرة جدا بالنسبة لكارتر .

وقال سوليفان :

ـ على فكرة ، لن ابقى للعشاء ، انما اتيت لكى أراك فحسب .

سألته هازل :

ـ الن تصعد لتناول كأس يا دافيد ؟

وكانوا يقتربون من الشارع الثامن والثلاثين ومن لكسنجتون فقــال :

ــ كلا . شكرا .

واردف يقول وهو يهبط من السيارة :

ــ سأراك فيما بعد يا أفيل . جميــل ان نراك بيننا من جديد .

وكان يمسك معطفه فوق ذراعه ، فقد أصر كارتر على ان يسترده .

ثم أصبحوا وحدهم هم الثلاثة . ركنت هازل الســيارة تحت شجرة بالشارع الثامن والعشرين وهى تقول انها محظوظة ، لأنها وجدت المكان خاليا وانها كثيرا ما تركن العربة فيه . وتحسس كارتر جذع الشجر بكفــه ثم راى ان تيمى يجد مشقة فى اخراج حقيبته من السيارة فقال :

ــ دعها يا تيمى .. سآخذها أنا .

ــ كلا . انا على ما يرام .

لم تكن الحقيبة ثقيلة . كانت تحتوى على أدوات الحلاقــة والبوم الصــور والموضوعات الفرنسية ومرآة صنع اطارها فى ورشة النجارة . وكان قد ارسل كتبه قبل ذلك بايام وســأل هازل ان كانت قد وصلت فأجابته : بالنفى . وأبى تيمى ان يدعه يحمل الحقيبة حتى فى صعودهم الى الطابق الأخير . وكان البيت جميلا وخاصا بالسكنى والدرابزون ملمعا والدرجــات تكســوها سجاجيد نظيفة وجديدة . وفتحت هازل الباب وهى تقول :

ــ ها نحن قد وصلنا الى مسكننا يا حبيبى .

كانت الأنوار كلها مضاءة . وكان كارتر اول من دخل كما طلبت منه هازل . ولفتت نظره زهرتان من زهور الجلاديول فى فازتين كبيرتين ، وزهرة جميلة من الكاوتشوك وكان احد الجدران مكسوا بالكتب ، وعرف بضع تحف كانت لديهم فى فريمونت ، ولكن أغلب ما فى الشقة كان جديدا بالنسبة له ، ثم رأى شبشبا قديما ازرق اللون خاصا به أمام أحد المقاعد فانفجر ضاحكا وقال :

ـ اما زالت هذه التحفة موجودة ؟

وضحكت هازل هى الأخرى ، ولزم تيمى وحده الصمت .

وأخذته ودارت به فى الشقة ، وأرته غرفة تيمى ، وغرفتهما، وغرفة الأصدقاء والمطبخ والحمام . ولم يجد ما يقول غير « هذا جميل جدا » ورأى صورته فى المرآة وهو يبتسم فى غباء فحول عينيه عنها . كان متوترا ، ويبدو متقدما فى السن فى غموض وقدرا .

ـ هل استطيع الاستحمام قبل العشاء .

قالت هازل :

ـ يمكنك أن تفعل كل ما تريد .

وقبلته قبلة كبيرة ، فأحس بدوار ، وخشى أن ينظر اليها او بالأحرى لم يستطع ذلك . وفك أزرار سترته التى كان يرتديها فى السجن ، وفجأة لم يعد يحتمل ثياب السجن لحظة أخرى . وقالت له هازل :

ـ هل تريد أن اعلق لك شيئا ؟

ابتسم كارتر وناولها سترته وهو يقول :

ـ بل اريد ان تأخذى هذه الثياب البغيضة وان تحرقيها .

وبعد خمس دقائق ، وبينما كان كارتر فى البانيو ، جاءته هازل بكأس من الويسكى بالثلج والصودا .

وارتدى ثيابه فى غرفة النوم . لبس القميص الأبيض الذى وضعته هازل فوق الفراش ، وكان هنـــاك بنطلون كذلك ، كان اثيرا لديه . وكان هنـــاك حذاء قديم ولكنه لم يستهلك ، وكان لايزال يناسبه بخلاف البنطلون ، وكانت هنـــاك فوق الطـــاولة صورة له هو وهازل ، فى اطار فضى ، التقطت لهما فى حفلة راقصة تنكرية اقامها آل لانجواير قبل ذلك بسنوات . كم سنة ؟ .. سبعا أو ثمان على الأقل . وكان فى الصـــورة حافى القدمين ومتنكرا فى ملابس هاواى بقميص مشجر وحول عنقه عقد وفوق راســـه قبعة من القش ، وكان يراقص هازل ، ورأى انه يبدو فى الصورة وكأنه فى العشرين من عمره وهازل فى السادسة عشرة ، بتنورتها وشعرها المتطـــاير ، وكان أطول مما هو الآن .

كانت هازل فى المطبخ تعد العشاء ، وكان قد عرض عليهـــا ان يساعدها ولكنها قالت انه لا يستطيع شيئا لمساعدتها ، وان تيمى يتكفل بذلك ، وكان هـــذا الأخير لا يكف عن النظر اليه . كانت له عيناه وانف هازل الصغير الدقيق . وخاطبه كارتر قائلا :

ـ هلا اريتنى بعض انشاءاتك .

بدا الارتباك على تيمى ، ولكنـــه ابتسم لفرط سروره وقال :

ـ اذا اردت .

ـ الآن .

وكان قد لحظ اشكالا غريبة مغلفة بالبلاستيك فى غرفـــة تيمى ، وقالت هازل :

ـ بعد العشاء فقد فرغت منه . هل لك أن تفتح زجاجة النبيذ يا حبيبى .

وأردفت فجأة فى شىء من القلق :

ـ ولكن هل تستطيع ؟

ابتسم كارتر وقال :

ـ طبعا أستطيع ذلك .

وانتزع السدادة فخرجت سليمة ، واخذ الزجاجة الى غرفة المعيشة . وكانت المائدة قد أعدت بجوار المدفأة عندما كان يستحم ، وفوقها شمعتان مضاءتان فى شمعدانين من الحديد المشغول ، رآهما كارتر للمرة الأولى .

أكل من البطاطس المهروسة أكثر مما أكل من لحم البط ، ولم ترغمه هازل ، وقالت :

ـ أعرف انه ثقيل على المعدة شيئا ما ، ولكننى أردت ان أعد لك شيئا جميلا الليلة .

سأله تيمى .

ـ هل كنت تلعب البيسبول هناك ؟

أجابه كارتر باسما :

ـ نعم ، قليلا .

ونظر تيمى الى يديه .

وتكلمت هازل عما سيفعلان فى الأيام التالية . منحها مكتبها اجازة أسبوع مدفوعة رغم أنه مشحون بالعمل ، وأرادت أن تمضى الى متحف الفن مع تيمى وكارتر فى اليوم التالى أو يوم

الأحد . وسيمضيان فى الأسبوع المقبل للتسويق وشراء أشياء كثيرة لكارتر . كانت تحب مرافقته عندما يشترى ثيابا ، وكان يسره دائما استطلاع رأيها الى حد أنه لم يكن يحب شراء ربطة عنق دون ان يأخذ رأيها . ثم كان هناك المسرح وحفلات باليه فى انتظارهما . وارادت أن تعرفه بالذات بجيريمى سوتر وزوجته اللذين وجها اليهما الدعوة لتناول العشاء معهما . ودعاهما آل اليوت الذين يقيمون فى لوكوست فالى لقضاء احدى عطلات الأسبوع فى ديسمبر .

وقال كارتر :

ــ يجب أن ابحث عن وظيفة ذات يوم .

ــ لا تفكر فى ذلك قبل عيد الميلاد يا حبيبى ، فلا احد يبحث عن وظائف فى هذه الفترة من السنة . ثم اننا أغنياء (وتناولت بعضا من السلطة وابتسمت) .

قال كارتر لنفسه انها على حق ، فقد كانوا فى بحبوحة من العيش .. أن يكون الانسان فى بحبوحة من العيش لا يعنى شيئا ، اما الآن فالأمر مختلف ، فهناك المسجل فى غرفة المعيشة والمفروشات والكتب فى البيت ، وحرية السفر الى أوروبا اذا أراد ، والحاق تيمى بمدرسة اعدادية ممتازة عندما يبلغ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره . ونظر كارتر الى زوجته الجميلة وأحس بفيض من السعادة .

وكانت هازل قد اشترت له بيجامتين رغم انها اكدت انها مازالت تحتفظ بثيابه فى حالة جيدة . ولبس البيجامة الجديدة الزرقاء ، واوى تيمى الى فراشه فى نحو الساعة العاشرة وهو يتمنى له ليلة طيبة ، ولم يعرب له عن سروره بعودته الى البيت ، واستحسن كارتر تصرفه فقد دل ذلك علي أنه غلام خجول

ومرتبك . وكان يعرف أنه تسبب فى اغضـــاب تيمى لأنه لم يجد الوقت لرؤية انشاءاته بعد العشاء اذ استمعوا الى الموسيقى .

وكان هناك كتابان ضخمان فوق الطاولة . واجتاز كارتر غرفة النوم لكى يرى عنوانيهما . كانا من كتب القانون ، خاصــة بسوليفان طبعا . ولكن ماذا يفعلان فى غرفة النوم . أحس فجـأة بالخجل لنزوة الغيرة التى اجتاحته .. واذا كان هنـاك ما يبرر وجود الكتابين فمعنى ذلك أن بين سوليفان وبين زوجته شيئا . ولكن اذا كان ذلك صحيحا افما كانت تبادر باخفائهما . وفاجأ نفسه وهو ينظر الى الفراش وقال ان سوليفان ضاجع زوجته ، واذا صح ذلك فســوف يسره أن يقتله . وراح ابهاماه يؤلمـانه ، وضغط على قبضتيه ومضى الى علبة الأقراص الموضــوعة على الطاولة بجوار الفراش . كان كارتر يأخذ منها ستة أقراص كل يوم، وقد أعطاه الدكتور كاسينى روشتة لكى يستطيع الحصــول على تلك الأقراص عند الحاجة . ولكن الروشتة كانت عبارة عن ورقة عادية بدون عنوان وان كانت موقعــة منه ، وقــال له انهم اذا رفضوا اعطاءه الدواء فان أى طبيب يمكن أن يكتب له روشتة ، فلم يكن للدكتور كاسينى أوراقا مطبوعة باسمه أو عنوانه .

سألته هازل وهى تدخل الغرفة .

ــ لمــاذا لم تستلق على الفراش .

قــــال :

ــ كنت اتفقد المكان .

ــ الست متعبا ؟

دخل الفراش معها ، واطفأت النور . وتألم تقريبــا وهو يضمها اليه ، وانهمرت من عينيه الدموع ، كالثلج فى طريقــه للذوبان .. كان قد عاد الى بيته .

- ١٣ -

تقدم كارتر الى شركتين فى يناير للالتحاق باحداهما ، ولكنهما . رفضتا طلبه ، الأولى لأنه قضى فترة فى السجن ، والثانية لنفس السبب كما اعتقد كارتر ، وان لم تذكر له ذلك صراحة وكان يتوقع رفضهما بالطبع ، وكان يعرف انه سيتلقى الرفض من عشر شركات ، بل من عشرين . وارادت هازل أن يحصل على شهادة من الشركة التى كان يعمل بها فى نيويورك ، ولكن كارتر كان ضد هذه الفكرة ، فمنطقيا سوف يسأله هؤلاء الناس لماذا لا يطلب شهادة من آخر شركة كان يعمل بها ، وأين قضى هذه السنوات الست .

عاد تيمى الى المدرسة بعد الأجازة ، وكانت هازل تخرج فى الساعة الثامنه والدقيقة العشرين . يوميا لكى تصل الى مكتبها فى التاسعة . ويبقى كارتر فى البيت ليرد على الاعلانات التى تطلب مهندسين والتى يجدها فى التايم والهيرالد تريبون . وكان يمضى مرتين فى الأسبوع الى الدكتور الكسندر ماكينسى ، وهو الطبيب الذى يعنى بهازل منذ حداثتها ، وعرف كارتر منذ أن تزوج هازل وقد نصحه بتناول فيتامين من خلاصة الكبد ، وفيتامين سي لأنه وجده على درجة كبيرة من الضعف ، وكان قد اصيب بنزلة من البرد فى ديسمبر ، بعد مغادرته للسجن ، وقال الدكتور ان ضعفه ناتج من سوء التغذية ، وانه بعد شهر من تناوله هذه الفيتامينات سيزداد قوة وسمنة . وجدد له روشتة البانانود التى

استطاع الحصول عليها مستعبنا بالورقة التى أعطاها له الدكتور كاسينى . وسأله الدكتور عن الم ابهاميه فأجابه كارتر بأن الألم خف خلال السنوات الأربع الأخيرة ، ولكنــه لا يزال يلح عليــه بصــورة مزعجــة بحيث يمنعه من النوم اذا لم يتناول مهدئــا او مسكنا .

ساله الدكتور ماكينسى :

ــ وهل تعرف زوجتك ان الألم بهذه الحدة . انها لم تقل لى شيئا من ذلك .

اجاب كارتر :

ــ اظن انني لم اقل لها ان الألم بهذه الحدة . ولكنهــا تعرف انني مازلت أتناول الأقراص .

ــ وهل تتناولها منذ مدة طويلة ؟

ــ منذ سنة تقريبا . تعاطيت قبل ذلك المورفين لمدة اربع ســـنوات .

قطب الدكتور ماكينسى حاجبيه ومط شفته الســـفلى وقال :

ــ رايت الاعراض وانت تمسك الورقة فى يدك ، ورأيتها ايضا فى عينيك .

تساءل كارتر عندئذ لمــاذا لم يقل الدكتور ماكينسى شيئا عند زيارته الأولى ، حين وضع ورقتين على ظهر يديه بالتوازن ، او حين فحص عينيه مستعينا بضوء النور وقال :

ــ ولكننى لم أعد أتعاطاه .

ــ كم كنت تأخذ منه كل يوم ؟

ــ ثماني حبات تقريبا .. وأحيانا أقل .

وفكر : وأحيانا أكثر . كان يأخذ بقدر احتياجه . وكان يعرف ان الكمية اليومية لمدمن المورفين اثنتا عشرة حبة يوميا .

ــ لا عجب اذن أن تظهر عليك بعض اعراض الادمان ، اذ كنت قد استمررت على تعاطيه طويلا .

ــ نعم ، ولكنها ليست أعراضا حادة . وقد حاولت التوقف مرارا كثيرة . كنت أتوقف شهرين من وقت لآخر . ولم أتعاط أى مورفين اطلاقا فى السنة الأخيرة التى قضيتها فى السجن .

ونظر الى الدكتور فى عينيه فقال هذا الأخير : ولكن هناك افيون فى أقراص البانانود ، وهو نفس الشيء .

ــ ولكن ليس له تأثير المورفين .

ابتسم الدكتور ماكينسي ابتسامة بعيدة عن المرح وقال :

ــ حاول ان لا تأخذ أكثر من اربعة أقراص يوميا .

ساعدته هازل ليالى كثيرة فى نسخ الصفحات الثلاث التى يطلب فيها الالتحاق بوظيفة . كانت أسرع منه فى الضرب على الآلة الكاتبة ، وكان لديه الآن خطاب التوصية الذى طلبه من دريكسل ، ويقول فيه هذا الأخير ان كارتر أنجز أعمالا ممتازة لشركة تريومف ، وان التهمة التى سجن من أجلها لم تثبت عليه ابدا بصفة قاطعة . كان خطابا حريصا كتبه دريكسل كنوع من التوصية لأية شركة يحتمل ان تلحقه بالعمل لديها ، ولكن كارتر لم يطاوعه قلبه على استخدامه . وقالت هازل ان فى مقدوره ان ينسخ منه خمسين نسخة وان يضم كلا منها الى كل طلب يرسله لطلب وظيفة ولكنه قال لها :

ــ ان هذا الخطاب غامض ومبهم ، ولكى اتكلم بصراحة

يبدو كما لو ان دريكسل يعتذر عما وقع لى وينفض يديه عن اية مسئولية .

تحولت هازل الى الآلة الكاتبة وهى تقول :

ـ ولكنك لن تصل الى شىء بهذه الطريقة .

وكان منتصف الليل قد انقضى منذ وقت طويل واحس كلاهما بالتعب . لم يقل فى اكثر هذه الطلبات انه دخل السجن . كان قد ذكر ذلك فى طلباته الأولى ، وقال انه حكم عليه بالسجن بتهمة اختلاس هو براء منها ، قائلا لنفسه ان من يريد استخدامه لابد أن يستعلم عنه ويعرف كل شىء ، وان ذلك لن يكون فى صالحه بالطبع ، او اذا كان يؤمن بفاعلية نظام السجون فانه يمكن أن يقول لنفسه ان السنوات التى قضاها فى السجن قد محت فيه كل اثم وكل خطيئة او كل حافز اجرامى ، وانه احسن من غيره على كل حال . وكانت هازل تستهجن دائما اقل اشارة للسجن . وقال وهو يبتسم :

ـ كل مخدوم يريد أن يعرف آخر وظيفة عمل بها من يتقدم للعمل لديه ، وشركة تريومف لها ثقلها . وكان ذلك منذ ست سنوات .. ماذا فعلت خلال السنوات الست الأخيرة ؟ .. حسنا ، كنت فى السجن . اذا لم أقل ذلك فى طلب الالتحاق فلابد لى من قوله عند استجوابى . وأراهن ان كل الشركات الانشائية على علم بما حدث لى ، فكل شركة تحذر الأخرى .. حذار من فيليب كارتر .

ـ حسنا ، انا لا اقترح عليك اخفاء كل شىء وانما اقول ضم خطاب دريكسل فهو مهما يكن مخدومك الأخير .

ـ سحقا لدريكسل .

وهذا ما وقع لدريكسل بالذات فى آخر يناير ، ولم يكن هناك

ثمة داع لكى يكتب المزيد فى صـــالح كارتر ، فقد اعتزل العمل ومات بالذبحة الصدرية فى بيته ، على مقربة من ناشفيل بتنيسى .

وفى منتصف فبراير الحق كارتر نسخة من خطاب التوصية الى طلبات الالتحاق التى أرسلها الى الشركات .

قررت هازل الاحتفاظ بوظيفتها ، لا لأنها بحاجة الى المـال ، ولكن لأنها تحب عملها . وقالت لكارتر ان لا يقلق فان اضـاعة ستة اسابيع فى البحث عن وظيفة ليست بالشىء المهم .

وبذل كارتر جهده لكى يلعب مع تيمى فى غرفته بعد الظهر ، عندما لا يكون لديه اية واجبات . واخترع نموذجا لمضخة بترول باحدى لعب تيمى القديمة ، واعتقد ان ابنه أحبها لأنه لم يفكهـا بعد أسبوع ، كما يفعل عادة مع لعبه الأخرى . واستمر تيمى متمسكا معه بالشكليات ومتباعداً . وفاجأه كارتر مرارا كثيرة وهو يحدق النظر الى ابهاميه وليس الى اللعب التى يمسـكها أو التى يحدثه عنها . وأدرك ان هازل حدثته عنهما لأنها كتبت له بذلك ولكن حيث انه مرت سـنوات على ذلك فقد نسى كارتر الأمـر وسألها فأجابته :

ـ قلت له انه وقعت لك حادثة فى السجن .

قال كارتر :

ـ لن يلبث ان يخمن الحقيقة . انه يكبر ، والأجدر ان تقولى له ذلك الآن .

ـ لمـاذا يا حبيبى ؟ .. دع عنك ذلك ولا تفكر فى هـذا الأمـــر .

ـ انه ليس غبيا ، وسوف يخمن الحقيقة .

تنهدت هازل وقالت فى عصبية :

ـ حبيبى .. ارجوك . لا تقل له ذلك .

كانت تمشط شعرها أمام المرآة ، وكانا يوشكان على النوم. وأدرك كارتر انه تكلم بلهجة مريرة وندم على ذلك . سيستلقيان فوق الفراش بعد خمس دقائق ، ولن تكون هازل الليلة نفس هازل التى يعرفها . كانت عندما تنام كل ليلة بين ذراعيه تعطيه الاحساس بأنه أهم شىء فى حياتها وانها تعبده . وكان هذا يبقيه حيا كنبضات قلبه بالذات ، ولكن الأمر لن يكون كذلك الليلة لأن المرارة التى لمستها فى صوته لم ترق لها .

انحنى نحوها ، وطوقها بذراعه وقال :

ـ انك على حق .. معذرة يا حبيبتى ، لن اقول له .

- ١٤ -

بعد ذلك باسبوع تقريبـا ، رأى كارتر جريجورى جاويل واقفا فوق الرصيف ، على بعد بضعة بيوت من بيته ، وكان ظاهرا انه ينتظره رغم انه أكد له العكس ، وقد بادره قائلا :

ـ أهلا فيل .. يا لها من مفاجأة سعيدة .

وقال انه كان يمر بالشارع صدفة وأردف :

ـ هل تقيم هنا ؟

ـ نعـم .

أدرك كارتر أنه عرف عنوانه من دليل التليفون طبعا .

ـ مر وقت طويل لم ير كلّ منا الاخر .. متى خرجت ؟

ـ اوه ، منذ ثلاثة او أربعة شهور .

غيرت السنون جاويل ، ولكن ليس الى الأحسن ، فقد رآه كارتر أكثر بدانة وغلظة ، ولكن ثيابه كانت تدل على انه لايزال يعيش فى رخاء . وربت على كتف كارتر وقال :

ـ هل نتناول كأسا ؟ .. أو فنجانا من القهوة ؟ .. اذا كان الوقت لايزال مبكرا للشراب .

قال كارتر وهو يلوح ببعض الخطابات فى يده :

ـ كنت ذاهبا الى مكتب البريد .

ـ سأرافقك .. ألم تشتغل بعد ؟

اجاب كارتر :

ـ كـــلا .

ـ ربما أستطيع أن اجد لك عملا .

اكتفى كارتر بأن غمغم فى حرص ، فعاد جاويل يقول :

ـ أنا لا أمزح يا فيل ، فاحدى الشركات التى نتعامل معها تبحث عن مهندس ، واستطيع أن أستفسر عن المرتب الذى ...

ـ ليست بى أية رغبة فى العمل فى لونج ايسلاند .

ـ آه .

لم يكن كارتر بحاجة الى المضى الى مكتب البريد لأنه سبق أن الصق بخطاباته الطوابع اللازمة . ولكن بما أنه زعم أنه ذاهب الى المكتب فقد اشترى بضعة طوابع من أحد الشبابيك . وراح جاويل يتسكع خلفه . وقال كارتر أخيرا :

ـ حسنا يا جريج . يجب أن أمضى .

ـ أوه ، لن تفقد شيئا اذا بقيت معى خمس دقائق ، ريثما نتناول فنجانا من القهوة . ان لدى شيئا اعتقد انه يهمك سماعه .

لم ترق لكارتر فكرة البقاء معه فى أى مكان . ولكن الفضـول استبد به وآثر أن يعرف ما يدور فى ذهن جاويل فقال :

ـ حسنا . لا بأس .

ومضيا الى بار فى الشارع الثالث والعشرين . وطلب كارتر

قدحا من البيرة ، اما جاويل فقد طلب كاسا من الويسكى ، وقال وهو يدعك انفه الضخم باصبعه :

ـ اظن انك مازلت ترى دافيد سوليفان كثيرا ؟

ـ ليس كثيرا .

ـ هذا الوغد .. اذا استمر يدس انفه فى كل شىء فسوف يلقى حتفه ذات يوم . انه افلت بجلده حتى الآن ، ولكنه لن يفلت الى الأبد ..

وتململ جاويل فى مقعده وهو يغلى من الغضب ، وقال كما لو كان يحدث نفسه :

ـ انه يحشر انفه فى اعمالى .

وضحك ضحكة قصيرة ، ونظر الى كارتر وقال :

ـ هل تعرف فيم افاده ذلك ؟ .. فى لاشىء . لم يستطع ان يثبت شيئا ضدى ، رغم محاولاته ، وقد حاول الكثير .

راح كارتر يحتسى البيرة فى جرعات صغيرة ، فى حين عاد جاويل يقول :

ـ اننى لا اطيق تظاهره بانه يريد مساعدتك فى حين انه يدور حول زوجتك فى الواقع . ولست افهم كيف تطيقه انت .. لست افهم كيف تطيق رؤية هذا الرجل ومخاطبته .

ونظر الى كارتر فى غضب فقال هذا الأخير :

ـ دعك من هذا يا جريج .

ـ ولكنك لاتزال تراه .. أليس كذلك ؟ يا الهى ! انه لاحق زوجتك حتى نيويورك .

وتململ فى مقعده للمرة الثانية واردف :

ـ اننى لا الوم زوجتك .. فان المراة تشعر بالوحدة أحيانا ، وقد يشعر الرجل بها هو الآخر ، ولكن فى حالة سوليفان فهو رجل مخادع .

ما كان كارتر ليتورع من أن يصفعه ، ولكنه قال :

ـ هلا كففت عن الحديث عن زوجتى ؟

ـ حسن . ولكن سوليفان كان عشيقها أربع سنوات ،

ولا اظن انك تعرف ذلك . ولكن لابد لك أن تعرف .

ـ ليس هذا صحيحا .

انحنى جاويل فوق المنضدة وربت بأصبعه فوقها وقال :

ـ بل هذا صحيح . استيقظ يا فيل .. هل زوجتك .. لعلها لا تريد أن تقول لك ذلك وهذا طبيعى . وسوليفان لن يقول لك شيئا هو الآخر ، بل سوف يؤكد انه خير صديق لك فى هذه الدنيا ، وأى صديق !

احس كارتر بقلبه تتسارع دقاته وقال :

ـ اهذا هو الموضوع المهم الذى أردت أن تحدثنى عنه ؟

ـ صراحة ، نعم . اننى اكره ان ارى رجلا يستغل ، وسوليفان يستغلك . انه يتظاهر بأنه صديقك فى حين أن كل الأسباب تدفعك الى أن تكيل له الضرب حتى يموت .

خانته المرارة التى شابت صوته ، فقد كان لايمكن أن يكون سببها أن هازل عشيقة سوليفان أو أن سوليفان صديق مخادع ، وانما لأنها تسببت فى الحاق الأذى به هو بالذات . وقال كارتر :

ـ افهم انك لا تحب سوليفان كثيرا لأنه كان السبب فى ضياع بعض الأعمال منك . اليس كذلك ؟

ـ آه . انه حاول فحسب . انه تسبب فى بعض الضرر وهذا كل شيء .

ابتسم كارتر ابتسامة خفيفة لم ترق لجاويل ، وقال :

ـ حسنا يا جريج . يجب أن انصرف الآن .. شكرا للبيرة .

ـ متى أراك ؟ اسمع يا فيل .

وقطب جبينه ، ووقف وامسك بذراع كارتر وقال :

ـ هل تظن اننى اذكر لك أكاذيب عن سوليفان ؟ .. وعن زوجتك ؟ .. ربما تظن اننى ابالغ .. طوال الوقت الذى كانت تتلقى فيه دروسا فى لونج ايسلاند كانت تمضي مباشرة الى بيت سوليفان بعد فراغها من دراستها . كنت قد كلفت رجلين بمراقبة سوليفان ، تماما كما فعل هو معى . وأعرف كيف كان يتم ذلك . كان مع زوجتك مفتاح مسكنه ، وكانت تمضى اليه وتنصرف قبيل الساعة السادسة لكى تعود وتعد طعام العشاء للصبى ، دون شك .

وهز جاويل راسه فى اشمئزاز ، ثم شدد الضغط على كم كارتر وقال :

ـ واستطيع ان اقول لك شيئا آخر ايضا .

قال كارتر :

ـ هيا يا جريج .. هلم بنا . لنخرج .

وانتزع ذراعه من يده وبدأ يبتعد . وقال جاويل وهو يتبعه :

ـ ولكن ذلك مازال مستمرا .

اسرع كارتر فى خطاه . وعندما ردد البصر حوله اخيرا لكى يرى اين هو ، اكتشف أنه مشى حتى الحى الشرقى فاستدار لكى يعود الى بيته وهو يحدث نفسه ويقول :

ـ كل هـذا ما هو الا كذب وافتراء ولا يجوز حتى على طفل .

- ١٥ -

كان يوم ١٤ فبراير عيد ميلاد هازل ، وقد دعاهما سوليفان لتناول كأس فى بيته على ان يذهبوا بعد ذلك الى مطعم يابانى ، مع ثمانية او عشرة من الأصـدقاء . وغادر كارتر البيت فى ذلك اليوم بعد هازل وتيمى بقليل ، متعجلا الذهاب للمجىء بهدية هازل ، وهى عبارة عن فرشاة ومشط ومرآة فى اطار فضى رآهـا فى احد محال التحف بالشـارع الخـامس ، اكتشفها قبل ذلك باسبوع ، بعد أن جاب المدينة كلها بحثا عما يريد . وقد قيل له ان من الممكن حفر الحروف الأولى من اسـمها قبـل اليوم الرابع عشر ، وبلغ المحل فى منتصف الساعة العاشرة صباحـا متوقعا ان يقال له أن يمر بعد الظهر ، ولكنه وجد الهدية معدة والحروف محفورة عليها ، ووضعها البائع فى علبة بيضاء وغلفها بعناية ، وعقد فوقها شريطا احمر ، ثم وضعها فى كيس من الورق الأبيض . وغادر كارتر المحـل وتسكع فى الشـارع الخامس ، واشترى دستتين من الزهور الحمراء ثم عاد الى بيته .

وجد فى انتظاره بعض الرسائل ، بينها رسالتان جديدتان ، احداهما من شركة تريب الصناعية ، وداعبه الأمل وهو يفضها ولكن الأمل لم يلبث ان تبخر ، فقد قالت الرسـالة ان الوظيفة التى كانت خالية شغلت قبل تلقى طلبه ، وعض كارتر شفتيه خزيـا .

اتصلت هازل تليفونيا بعد الظهر وقالت ان القطار الذى كان يجب ان تستقله فى الساعة الرابعة والدقيقة العشرين سيتأخر عن موعده ساعة ، وانها نتيجة لذلك لن يسعفها الوقت لكى تعود لاستبدال ثيابها قبل الذهاب الى مسكن سوليفان ، وطلبت منه ان يأتيها بثوب أسود حددته له وقالت انها سترتديه فى بيت سوليفان .

ـ سأمضى لاستبداله فى غرفة اخرى ، فلا استطيع حضور الحفلة بالجونلة والبلوزة .

ـ حسنا يا هازل . سآتيك به .

ـ والاشارب الأصفر ، وهو اشارب طويل يبدو كالعباءة . لا أدرى ان كنت تعرفه . انه اشارب أصفر فاقع ، ستجده فى الدرج الثالث من الصوان .

وقالت ان الطفلين اللذين تنتظرهما فى طريقهما ، وانها لا تستطيع ان تطلب من احد آخر فى المكتب استقبالهما .

علق الثوب الذى طلبته فى علاقة بجوار الباب لكى يتأكد انه لن ينساه ، ثم راح يبحث عن الاشارب . وكان الدرج مملوءا بثياب داخلية رقيقة ، وجوارب ، واشاربات كثيرة مطوية كلها بعناية كبيرة . وفيما هو يبحث عن الاشارب الأصفر لمست يده شيئا صلبا ، ولم يكن غير الرسائل التى ارسلها اليها وهو فى السجن ، وكلها من ورق سميك شبه مطوى طيتين ثم ثلاث لكى يمكن ادخالها فى المظاريف الشفافة الخاصة بالسجن . جمعتها هازل فى بضع مجموعات ، كل منها من ثلاثين خطابا يضمها الى بعضها شريط من المطاط . وضعها كارتر فوق بعضها وكان ارتفاعها نحو ستين سنتيمترا وبدت كأنها رواية كبيرة من عدة أجزاء . كانت تضم ولهه وحنينه طوال الوقت الذى قضاه فى السجن والذى غيره كل هذا التغيير . ونظر الى صورته هو وهازل ، فى ثيابهما

التنكرية ، نظر اليها بحدة ثم اطبق عينيــه وتحول عنهــا ومعه الاشارب .

لم يشعر بالارتياح وهو ماض الى مسكن سوليفان . كان قد حلق ذقنه واعتنى بثيابه ليرضى هازل ، فارتدى بذلته الجديدة ورباط العنق ذا الخطوط الحمراء الذى تحبه ، وقميصا أبيض وحذاء اسود . كان كل ما عليــه جديدا تقريبا ، وكان قد وضــع الثوب والاشارب فى الكيس الأبيض الذى يضم هديته ، واحس تيمى هو الآخر بالخيبة عندما عاد فى منتصف الخامسة وعلم ان امه لن تعود الى البيت . وحاول كارتر أن يسرى عنه فقال له انه سيوقظه عندما يعود هو وامه ، وانهم سيحتفلون معا . وكان تيمى قد اشترى لأمه قميصا ابيض مطرزا ، ورأى كارتر انه هدية مرتفعة الثمن بالنسبة لغلام مصروفه لايتجاوز ثلاثة دولارات يوميا ويعبد الجيلاتى ، وكان قد عرض عليه عشرة دولارات منذ بضعة ايام ولكن الغلام رفضها ، فقد اشترى الهدية قبل ذلك . ومضى تيمى الى غرفته بوقار ، وعــاد بهديته لأمه ملفوفة ووضعها بجوار هدية ابيه والزهور ، وكان المفروض ان يمضى لتناول العشــاء وقضاء السهرة فى بيت صديقه رالف أندروود .

استقبله سوليفان بالباب ، وتناهى اليه أصــوات حديث دائر فى غرفة المعيشة ، وقال له سوليفان :

ــ اهلا .. ها قد عادت الأناقة تظهر من جديد .. ادخل . اين هازل ؟

اخبره كارتر عن سبب تأخرها . واخذ سوليفان منه الكيس، ومضى به الى غرفة النوم . وعلق كارتر معطفه بها ثم مضيا الى غرفة المعيشة ، وحيا الأربعة أو الخمسة اشخاص الذين يعرفهم . كان هناك آل اليوت ، وجيريمى سوتر وزوجته سوزان . وقدمه

هؤلاء الى الآخرين ، ولم يكن يعرف أحدا منهم . ولكنــه كان واعيا بأن الجميع ينظرون اليه على انه خرج من السجن حديثا . ورغم ان هازل ودافيد كانا قد قالا له ذات يوم ان الناس الذين سيلتقى بهم الآن لا حاجة بهم الى معرفة اى شيء فان الأمور لم تقع بهذه الطريقة ، فقد انتشر النبأ على كل حال .

كانت هذه ثالث مرة فى تلك السنة يرى فيها سوليفان . كان يعرف أن هازل لم تتعمد دعوته ، وأنها لم تقبل دعوة سوليفان التي وجهها اليها تليفونيا بمكتبها بالتأكيد لأنها تعرف انه لا يريد الاكثار من رؤيته . وذلك الفتور فى حياتهما الاجتماعية لم يحدث أى تأثير لدى سوليفان فى المرات القليلة التى التقوا فيها ، وكان واثقا من نفسه الليلة ، ومبتســما ، يتنقل بين مدعويه فى يسر وهدوء ، ويحرص على ان يتناولوا الشراب والطعام وهو لايزال ساخنا . وكان يبدو انه مغرم بالرخام اليونانى ، فقد كان هنا وهنــاك ، على رفوف الكتب رأس من الرخــام أو قدم او فازة أو قطعة خزفية يونانيــة ، وقال انه اشتراها أثناء رحلة له فى اليونان . وكانت الأرض مفروشة بسجاجيد شرقية .

وقال يسأل كارتر :

ــ ما اخبار العمل ؟

أجاب كارتر فى غير اكتراث :

ــ لم اجد شيئا بعد .

ــ وباتر وورث لم يعد حتى الآن .. وقــد ســألت عنه امس .

كان باتر وورث يعمل فى شركة هندسية ســمع كارتر عنها : شركة جنكنز وفيلد ، وكان فى رحــلة عمل بكاليفورنيا . وكان

سوليفان قد قال له أكثر من مرة ان فى مقدور باتر وورث أن يلحقه بالعمل فى تلك الشركة . ولكن بما أن باتر وورث لم يتواجد أبدا فقد انتهى الأمر بكارتر الى الاحساس بانه غير موجود أصلا .

أحس كارتر بالارتياح عندما أقبلت هازل . القت التحية على جميع الموجودين ، وتعرفت بالذين تراهم لأول مرة ، بطريقتها المرحة الرقيقة ، من غير أن تصر على أن تمضى اولا لاستبدال ثيابها كما تفعل أكثر النساء ، كما يعتقد كارتر . ولاحظ السرور الذى بدا على الرجال الذين يرونها لأول مرة ، ورآهم يكادون أن يثبوا من مقاعدهم ويتخلوا عن وقارهم لأنها تمتاز بجمال أخاذ . وعندما وصلت بجوار كارتر كان يبتسم ، وكانت ابتسامة حقيقية . أول ابتسامة له اليوم .

ـ عيد ميلاد سعيد يا حبيبتى .. كيف حالك ؟

ـ مرهقة جدا . ولكننى سأكون أحسن بعد ان استبدل ثيابى . وتيمى ؟ هل هو بخير ؟

اوما كارتر بالايجاب وقد تملكه الانفعال ، تماما كالرجال الذين يرونها لأول مرة ، ثم اختفت . وتبعها سوليفان .

وجرع كارتر كأسه الثانية .

وعندما عاد سوليفان ، بعد دقيقتين تقريبا ، استدعى كارتر وقال له فى صوت خافت :

ـ لدى اليوم أخبار من مصدر موثوق به . عاد جاويل الى الشمال ، وهو يعمل ، أو على صلة باحدى شركات صناعة المواسير فى لونج أيسلاند ، ورئيسه فى العمل رجل يدعى جراسو ، يملك فيها بعض العمارات .. نوعا من الأكواخ . وملاك الأكواخ لهم أعمال أخرى الى جانب أملاكهم كما لعلك تعرف .

احس كارتر بالدم يجرى فى عروقه بسرعة عندما سمع اسم جاويل . ولكنه لم يلبث أن تمالك وعاد اليه هدوءه ، وقال وهو يهز كتفيه ويحتسى جرعة من كأسه :

ـ حسنا .

ـ انه يعرف انك غادرت السجن ، ولا يدهشنى أن يحاول الاتصال بك .

ـ ولماذا يفعل ؟

ـ لا ادرى . ولكن خطر لى ان احذرك ، ولا أعتقد انك تريد أن تراه .

ـ كلا . لا إريد ذلك .

واقبلت هازل فى هذه اللحظة ، فتحول الرجلان اليها .

ود كارتر ان يبقى بجوارها طوال حفلة الكوكتيل ، ولكنه اضطر ان يشترك فى الحديث مع الآخرين . اما سوليفان فبقى مع هازل او بقيت هى معه . كان من الصعب معرفة ذلك . راى ان الارتياح التام يبدو على كل منهما ، كما لو أنهما قضيا كل الوقت معا اثناء وجوده فى السجن ، وادرك فجأة انه قضى معها سبع سنوات قبل أن يدخل السجن مقابل ست سنوات قضتها مع سوليفان . وكان هذا الأخير يعتمد على ذراع المقعد الذى تجلس هى عليه ، يصغى اليها ويهز رأسه فى هدوء من وقت لآخر . وكانت هازل ترفع عينها اليه وتلقى اليه نظرة خاطفة تبدو لكارتر اكثر ودا والفة بحيث كان من الواضح انهما ناما معا كثيرا . قرر أن يسألها الليلة بكل بساطة اذا كانت شاركت سوليفان الفراش ، ولكنه لم يلبث أن أدرك أنه واقع تحت تأثير الشراب وانه لا يجب أن يلقى عليها مثل هذا السؤال فى عيد

ميلادها ، ولا فى اى يوم آخر .. لم يشك فى أن هازل تحبه ، ولكنه لم يشك كذلك فى ان سوليفان يحبها .

وفى المطعم اليابانى تناولوا شراب الساكى الساخن ، وكانوا يجلسون فوق وسائد حول منضدة طويلة منخفضة . ووجد كارتر نفسه مرة أخرى منفصلا عن هازل ، وانها تجلس بجوار سوليفان، يضحك من سويداء قلبه ويلمس كتف هازل ، ويضغط عليه قبل ان يتركه ، وتساءل اذا كان سوليفان اتى بحماقة فى حياته أو اذا كان تصرف تصرفا ندم عليه فيما بعد . وفجاة تذكر عمه وعمته وهما يعنفانه ويزجرانه وهو فى الرابعة عشرة من عمره تقريبا ويقولان له انه لا يجب أن يدع الأشياء تفلت من بين يديه ، فقد تخلى ذات مرة عن مضرب تنس واعاره لأحد زملائه فى المدرسة ولم يرده هذا الأخير اليه . ومرة أخرى عن معطفه ، وثالثة عن اسموكنج وهو فى الكلية . كلا . انه لم يكن عمليا أبدا ولا منظما كسوليفان . ثم هذا الاهمال الشنيع الأخير : توقيعه على ايصالات بالمر التى تسببت فى سجنه ست سنوات . ان من الغباء أن يثق بالناس الى هذا الحد . ما كان سوليفان ليضع نفسه فى مثل هذا الموقف ابدا ، فانه يتمتع بعقل رجل قانون . لا تقدم على عمل دون أن تطمئن الى عواقبه . وخيل لكارتر فجأة كأن رصاصة اصابته فى الصميم ، لأنه وثق كل الثقة بهازل وسوليفان وانه غبى تماما ، أكثر غباء مما كان عندما أخطأ مع والاس بالمر .

نظرت هازل اليه فجاة وسألته :

ــ فيل .. هل انت بخير ؟

ولا ريب ان وجهه قد اصطبغ ، واحس بذلك عندما شعر بسخونة وجهه ، ودعك جبينه بكفه فى عصبية وقال :

ــ نعم ... انا بخير .

كره سوليفان لأنه كان ينظر اليه هو الآخر . وبحث عن كوب ماء فوق المائدة ولم يجد . ولكن هازل كانت قد حولت وجهها عنه فاحتسى شرابه من الساكى .

وسألها فى المساء عندما عادا الى البيت :

ــ ماذا قدم لك دافيد ؟

كانت هازل تمسك الكيس الأبيض الذى وضعت فيه ثيابها ، وكان يبدو ثقيلا . وقد ادرك كارتر ذلك وهو يحمله من السيارة الى المسكن . وقالت :

ــ كتابا كنت أريده .. كتاب لأوبرى مينن عن روما . لم اتصفحه بعد .

وكان كارتر قد تصور ان هدية سوليفان يجب أن تكون شيئا اكثر خصوصية من كتاب . واستيقظ تيمى وأقبل بالبيجاما، وطوق عنق هازل بذراعيه قائلا :

عيد ميلاد سعيد يا أماه .

قالت وهى تنظر الى الهدايا والزهور فوق الطاولة :

ــ شكرا يا حبيبى . يا الهى ! كأننا فى عيد الميلاد . من منكما يجب أن اشكره .

ابتسم كارتر لابنه وقال :

ــ كلانا .

احبت هازل الفرشاة والمشط والمرآة ، وراقت لها الحروف الأولى من اسمها . وكان كارتر قد أهداها بعض الحلوى والصابون والمناديل . وتناولا كأسا من الويسكى وهى تفتح هداياها ، واخذ تيمى كوبا من اللبن بالشيكولاته .

لم يستطع أن ينام تلك الليلة . كان الويسكى الذى شربه كالبنزين ، وآلمه ابهاماه ، وتمنى حقنة من المورفين . ونهض فى نحو الساعة الثالثة صباحا ، فى هدوء ، ومضى الى الحمام لكى يتناول قرصا من البنانود ثم عاد الى الفراش فى الظلام .

وقالت هازل :

ـ الا تستطيع النوم يا حبيبى ؟

بدا كل شىء فجأة لكارتر غير حقيقى . صوت هازل فى الظلام ، والغرفة التى يرقدان فيها ، والأمسية كلها طبعا ، وسوليفان ، وماكس ، ومع ذلك فان ماكس بدا أكثر وضوحا وأكثر حيوية من الآخرين ، بما فيهم هو نفسه . وأجاب كيفما اتفق ، كما لو أنه يرد على سؤال فى منام :

ـ كلا .

ـ أضىء النور .

أضاء النور ، وطرفت عيناه . ومع ذلك لم يتبدد احساس الوهم .

ـ اجلس يا حبيبى ... ماذا بك ؟

جلس فوق حافة الفراش وقال :

ـ انه سوليفان .

ـ أوه يا حبيبى !

واطبقت عينيها وعبست ، ثم حولت رأسها عنه لحظة وقالت :

ـ فيل ، اذا كنت لا تستريح اليه فلا حاجة بنا لأن نراه بعد اليوم .

بدا له من صوتها كان ذلك سيكون تضحية كبيرة منها ، وانها ستقدم عليها مرغمة ، فقال فى غير رفق كما كان ينوى :

ـ كلا . لا أريد أن تفعلي ذلك .

ورأى فى عينيها عندئذ نظرة حذر وتحد ، وقالت :

ـ اذن .. اظن انه قد آن الوقت لكى تكف عن الشجار كما فعلت الليلة .

ـ لم أعلم اننى تشاجرت .

ـ خيل لى انك على وشك ان تنفجر فى المطعم ، عندما لمس سوليفان كتفى مرة . لاحظ الجميع ذلك ، وبدا عليك أنك تمقتنى .

ـ هذا كذب ، فلا اظن ان الجميع لاحظوا ذلك .

ـ ولم تودعه تقريبا ، وهذا ليس بجميل خاصة وانه استضافنا وعزمنا على العشاء فى الخارج تكريما لى .

قال وهو يتذكر أنه لم يشكره :

ـ ولكننى ودعته .

ـ وأظن انك تصرفت كالطفل .

نهض فجأة والغضب يعصف به وقال :

ـ بل أظن انا انك لم تتصرفى كزوجة .

جلست هازل فوق الفراش وقالت :

ـ ماذا تعنى بالذات ؟

أسرع يقول :

ـ اود ان اعرف شيئا واحدا .. اكانت لك به علاقة وانـا في السجن ؟

ـ كلا . اغلق البـاب ، فلا اريد ان يسمع تيمى هـذا الحديث الشيق .

اغلق الباب وقال :

ـ اظن انك كنت على علاقة به ، ولهذا اسأل .

قـالت :

ـ هذا سخف .

ولكنه رآها تضطرب وتتراجع فقال :

ـ هو ذلك اذن .

اطلقت تنهيدة طويلة ، ثم اخذت سيجارة ، وارتعشت يدها وهى تشدد الضغط عليها ، وقالت من غير ان تنظر اليه :

ـ اظن انك لن تضار اذا عرفت انه كانت لى به علاقة لم تستمر اكثر من ثلاثة إسابيع ، او اذا أردت الدقة أسـبوعين واربعة أيام .

شعر كارتر بأنفاسه تضيق وقال :

ـ متى ؟

ـ منذ اربع سنوات .. بل إكثر من ذلك .. بعد رفض اعادة نظر القضية بأسابيع قليلة .

واردفت تقول وهى تنظر اليه :

ـ كنت تعسة جدا فى ذلك الوقت ، ولم أعرف ماذا افعل

بحياتى .. أو ماذا ستكون حياتك أنت ، واحببت دافيد نوعا ما . ولكن تلك العلاقة لم تسعدنى ، وازدادت تعاستى ، واحسست بالخجل من نفسى فقطعتها . بل اننى لم استطع ان ارى دافيد بعد ذلك .. طوال شهرين .

وقف جامد الحركة وهو لايزال يجد صعوبة فى التنفس وقال:

ــ عرفت الآن على الأقل .

ــ نعم ، وتعرف اننى نادمة على ذلك ، وان الأمر لن يتكرر ثانيــة .

ــ ولم لا ؟ .. ماذا تعنين ؟

ــ اذا ظننت اننى استطيع فذلك أنك لا تفهم .. ولا تفهمنى .

قــال :

ــ بل بدات افهمك .. لمــاذا لن يتكرر ذلك ؟

لم تنطق ، واكتفت بأن راحت تنظر اليه .

ــ قلت انك احببته .. اما زلت تحبينه ؟

ــ الست معك الآن ؟

ــ نعم . ولكن لو اننى لست هنا .. لو اننى لا اعترض طريقــك .

ــ اوه يا فيل .

ــ القيت عليك سؤالا .. لو اننى لست هنا ؟

ــ ما دمت تسأل فنعم .. لو انك لست هنا .. لو أنك مت فى السجن مثل صديقك ماكس ، فنعم . كنت اتزوج دافيد دون شك ، ثم ان تيمى يحبه هو الآخر . ان من السهل أن يعيش معه من أن يعيش معك بعد أن أصبحت ما أصبحت .

خلع كارتر جاكتة بيجامته ، ثم فك رباط البنطلون وهو ينظر الى صورته المعلقة ، يداخله شعور بأنها تتمزق . وقالت هازل فى قلق :

ـ اين تمضى ؟

ـ سأتمشى .

ـ فى الساعة الرابعـة صباحا ؟ .. فيل ، لن تقدم على حماقة وتذهب لرؤية فيل مثلا ؟

ـ سأتمشى يا هازل .. اننى بحاجة الى ذلك .

واسرع بارتداء ثيابه . وجمع أطراف قميصه ولم يزرره . وخرج من الغرفـة . وترك الباب مفتوحا ، واخذ معطفـه من الدولاب ، بجوار الباب ، فى الظلام ، ثم فتح باب الشقة وخرج . وهم بأن يغلقه ولكنـه لم يلبث ان عدل عن ذلك مدفوعا بايعـاز غامض . كان الأمر كأن جزءا من حلم بغيض يتحقق ، فقد سمع قرص التليفون يدار . كانت هازل تدير رقم سوليفان .. ألكى تحذره ؟ أم لتتجـاذب معه حديثا تجد فيه بعض العزاء ؟ كان فى مقدوره البقاء فى الظلام ، وسـماع ما يقال ، أو سماع جزء من الحـديث على الأقل ، ولكنـه لم يفعل ، فقد خمن بطريقـة ما ما سوف يدور فأغـلق البـاب وهبط السلم . لم يكن هنـاك ما يفعله ، فى تلك الليلة غير المشى .

ومشى حتى بزغ الفجر . واصابه ذلك بخير كبير .. المشى ورؤية طلوع النهار . ود لو يقول لهازل :

ـ يسرنى انك اخبرتنى ، ولا حاجة بنا الى طرق هـذا الموضوع ثانية ، فيما يتعلق بى .. أو شيئا من هذا القبيل .. أو لعل من الأوفق أن لا ينطق بشىء على الاطلاق .

- ١٦ -

بعد بضعة أيام من ذلك ، وجد كارتر رسـالة من جاويل فى صندوق خطاباته ، وكان قد هبط ليشترى بضعة اشياء كتبت له هازل بها قائمة . ولكنه صعد ثانية لكى يقرأ الرسالة ، وهذا نصها :

عزيزى فيل :

اريد أن أفرغ مما بدأت ذكره لك . اننى كلفت بعض رجـالى بمراقبـة مسكن سوليفان بالشارع الثالث والخمسين ، واظنك تعرف ان زوجتك كانت تعيش معه فى ذلك المسكن دون مواربـة .. اننى اتحدث عن السنوات الأربع التى تلت ذلك ، ولابد أن ابنك نفسه يعرف ذلك فالأطفـال ليسوا بأغبياء . احسست فى ذلك اليوم انك لم تصـدق شيئا مما ذكرته لك فى هذا الصدد ، وانك تفكر فى كل المشاكل التى سببها سوليفان لى . ولكن لعلك لاتعرف ان زوجتـك ذهبت مرتين ، وربما أكثر . غير اننا رأيناها مرتين ، فى مسـكن سوليفان فى الشـهر المـاضى . هل تظن اننى كنت أكتب لك كل هذا لو لم يكن صحيحا . هـل قالت لك زوجتـك انهـا رأت سوليفان مرتين فى الشهر المـاضى . اراهن انها لم تقل لك ذلك . فهو لايزال يخدعها ويزعم انه سيجد

لك وظيفة لا لشيء الا امتنانا لما تمنحه اياه من متعة . ان الأمر مازال مستمرا ، فاستيقظ يا فيل . اعتقد انك تريد براهين ؟ حسنا . لدى مذكرات رجالى وتسجيلاتهم .. احاديث دارت بين سوليفان وزوجتك . ولم تكن تلك الأحاديث لتثير اهتمامى ، ولكنها جاءت من نفسها ، وبعضها دار منذ ستة شهور ، والبعض الآخر قبل ذلك ، ويمكنك أن تسمعها اذا أردت . ويمكننى ، اذا أردت أيضا أن أصدر أمرا الى رجالى لكى يلتقطوا صورا لزوجتك وهى تدخل بيت سوليفان . لا أحب ان يعتقد احد اننى كاذب . وعنوانى مذكور فى اعلى الصفحة ، اذا أردت الاتصال بى . ولك تحياتى .

جريج

احد رجالى ؟ .. كما لو ان لجاويل موظفين يدفع لهم اجورهم . ان له جنون العظمة . والقى كارتر نظرة اخيرة الى العنوان والى رقم البيت ورقم التليفون ، ثم مزق الرسالة والقاها فى سلة القمامة ، بين قشور البرتقال وبقايا طعام الافطار .

اتصل به دافيد سوليفان فى نحو الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم ، لكى يقول له أن صديقه باتر وورث عاد الى نيويورك ، وأن عليه ان يتصل به لكى يطلب موعدا لمقابلته . ثم أردف يقول :

ـ وهناك شيء آخر أود أن اطلعك عليه يا فيل . الديك ما يشغلك فى نحو الساعة السادسة ؟

ـ ابدا يا دافيد . هل تريد أن تمر بى ؟

ـ بل اوثر ان القاك وحدك .. أيضايقك أن تمر بى أنت ؟

اجابه كارتر بانه قادم . وبعد أن أعاد السماعة مكانها أحس بعدم الارتيـاح ، فهل سيستمع الى اعتراف آخر .. اعتراف بعلاقـة ربما استمرت اربعـة أعوام . وبحث فى دليل التليفون وعثر على رقم شركة جنـكنز وفيلد ، وطلب محـادثة مسـتر باتر وورث .

وبدا هذا الأخير فى آخر الخط رقيقا مجاملا ، وتواعدا على اللقاء فى العاشرة من صباح يوم الجمعة .

كانت هازل تعود عادة قبيل السادسة . وقال كارتر لتيمى ان يخبرها بانه ذاهب الى دافيد وانه سيعود بعد السابعة بقليل فسأله تيمى :

ـ ألن تذهب ماما معك ؟

ـ كلا . يريد دافيد ان يحدثنى عن شيء .. عن وظيفة .. اخبر امك بهذا .

ـ هل أستطيع المجيء معك ؟

كان كارتر قد بلغ الباب ، فتحول .. آلمته هذه الرغبة التى أبداها الغلام ، وادرك ان تيمى يحب سوليفان كثيرا .

ـ لمـاذا يا تيمى ؟ .. لن يروق لك هذا ، فلن نتـكلم الا فى العمل .

توسل تيمى قائلا :

ـ ولكنها مجرد ساعة .

ـ كلا يا تيمى .. اننى آسف . ان الأمر يتعلق بالعمل ، ويجب ان أمضى الآن ، والا تأخرت .

استقل كارتر سيارة أجرة حتى بيت سوليفان . وفتح له هذا الأخير الباب ، واخذ منه معطفه ، وسأله ان كان يريد أن يتناول شيئا .

ـ نعم ، وشكرا .. شراب خفيف اذا سمحت .

مضى سوليفان الى البار المتحرك ، فى ركن من غرفة المعيشة ، ووقف كارتر ينظر اليه . وقال سوليفان وهو يناوله كأسا . وكان قد اعد لنفسه كأسا هو ايضا : جاءتنى مكالمة من جاويل .. مكالمة بغيضة .. قال لى انه تحدث معك .

ونظر سوليفان اليه وهو فى شدة التوتر ، وقد اصفر لونه .

ـ نعم ، وكان حديثا بغيضا هو الآخر .

ـ قال لى ذلك . اسمع يا فيل . (وامسك وراح يحدق فى المدفأة كما لو كان يحاول ان يجمع شتات أفكاره أو شجاعته ثم أردف :

ـ كلمتنى هازل فى وقت متاخر من مساء يوم الاثنين .. يوم عيد ميلادها . كانت شديدة الانفعال . قالت لى انها اخبرتك بكل شىء .. فيما يتعلق بنا .

ـ انها قالت لك الحقيقة ، وانا آسف يا فيل .

ـ نعم . هـذا صحيح .

ـ انها قالت لك الحقيقة ، وانا اسف يا فيل .

ـ اوه ، لقد انتهى الأمر .. انتهى . وأظن ان هازل يمكنها ان تنسى ذلك هى أيضا . وكذلك نحن .

قال سوليفان فى لهجة الجد :

ـ انا واثق انك تستطيع . ولكننى اعتقد ان جاويل قال لك شيئا آخر .. وهو ان علاقتنا استمرت اربع سنوات .

ـ نعـم .

ـ هذا غير صحيح .

اكتفى كارتر بأن نظر اليه . ولكن سوليفان كان يتوقع منه ان يقول شيئا .. كأن يقول انه يصدق ذلك .

ـ لم اتكلم مع هازل عن حديث جاويل لى .

قال سوليفان :

ـ أعلم ذلك .. انها ..

وامسك . وادرك كارتر انه أوشك ان يقول :

ـ أنها ما كانت الا لتحدثنى عن ذلك . واحتسى جرعة من الكونياك ثم حاول أن يتمالك نفسه . قد لا يكون سوليفان صورة للفضيلة ، ولكن جاويل أسوأ منه . وقال :

ـ اننى لا اصدق جاويل .

بدا الارتياح على سوليفان وقال حسنا :

ـ هذه قصة بغيضة ومهينة لهازل .

واعتدل فى وقفته قليلا ، كما لو كان البطل المدافع عن هازل وتساءل كارتر :

ـ هل أربع سنوات اسوأ من ثلاثة أسابيع .. اعتقد ذلك .

وقال سوليفان :

ـ انك تتقبل الأمر بهدوء تام .

هز كارتر كتفيه وقال :

ـ اننى أحب هازل ، ومهما يكن فلا أعتقد اننا لانزال فى العصر الفيكتورى .

وما كاد يفرغ من قوله هذا حتى احس بزيف ما يقول :

ـ سوف يبلغ الانحطاط بجاويل الى أكثر من هذا ، فلا أعتقد انه سيتوقف عند هذا الحد ، خصوصا اذا رأى أنه لم يحصل على النتيجة المرجوة .

ـ اية نتيجة ؟

ـ قلت لك ان جاويل يكرهنى ، وهو يتوقع أن توسعنى

ضربا ، او اسوا من ذلك .. أن تتسبب فى فضيحة وأن تجر اسمى فى الوحل .. فى الشركة التى أعمل فيها ، فان مثل هذه القصة كفيلة بالحاق أكبر الضرر بمهنة الرجل فى أيامنا هذه .

كان كارتر يعرف ان سوليفان يهتم أكبر الاهتمام بنفسه وبمهنته ، وبدا له ذلك شيئا مثيرا للازدراء ، وقال :

ـ لن افعل شيئا من هذا ، ولكن جاويل جدير بأن يفعل ، اليس كذلك ؟

ـ نعم ، ولا أدرى ماذا ينتظر ؟ .. كان يتوقع أن يراك طبعا . هل تعرف ماذا قال لى ؟

وضحك سوليفان ضحكة قصيرة واستطرد :

ـ قال انه عندما حدثك بذلك كدت تجن من الغضب ، وانه عندما قال لك ان ذلك استمر أربع سنوات هددت بانك سوف تقتلنى .

نظر كارتر اليه فى اهتمام . وعاد سوليفان يقول :

ـ وانني اتساءل اذا لم يكن من الأوفق أن أعين لى حارسا خاصا .

لم يكن يبدو عليه انه يهزل ، وأدرك كارتر أن سلامة سوليفان وامنه لا يهمانه ، كما ادرك فى نفس الوقت انه يتمنى فى الواقع ان يختفى سوليفان من على سطح الأرض ، وحدث نفسه فقال :

ـ اذا عرف رجل فى السجن حيث قانون الغابة أن سجينا ضاجع زوجته فسوف يعثرون على ذلك السجين ذات يوم قتيلا فى ظروف غامضة . وسأله سوليفان :

ـ لماذا تنظر الى هكذا ؟ .. الا تصدقنى ؟

ـ أوه ، بل أصدقك بالتأكيد .

ـ انت ترى ان هذه المسألة تهمك أنت الآخر يا فيل . فلا هدف لجاويل الا أن يقتلنى احد رجاله وأن يتهمك بارتكاب

الجريمة بطريقة ما . وقد قلت لك ذلك من قبل . الا تفهم انه يحاول ان يحرضك ضدى .

ـ نعم ، اننى أفهم ذلك .

وساد صمت . وجلس كارتر فى حين راح سوليفان يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، مقطب الجبين ، كما لو كان يهم بأن يقول شيئا . وأحس كارتر بأنه فى أمان . وراق له أن يرى سوليفان قلقا على حياتـه . كان ذلك شيئا جديدا بالنسبة لسوليفان ، ولكنه لم يكن جديدا بالنسبة له . وسأله :

ـ هل جاءتك اليوم انباء عن جاويل ؟

ـ كلا ؟ لمـاذا ؟ .. وانت ؟

أجاب كارتر فى هدوء وهو ينفض رماد سيجارته :

ـ كـلا .

حدق سوليفان فيه كما لو كان يريد أن يلقى عليه سؤالا كان من الواضح أنه يخشى أن يكون جاويل قد قال شيئا لكارتر ، ورأى كارتر ان هنـاك احتمالا فى أن يكون جاويل قد اتصـل اليوم أو أمس بسوليفان ، واخبره أنه ارسل خطابا اعلاميـا لكارتر . وقال سوليفان :

ـ كل هذا الوحل يثار لأننى حاولت أن ..

وهز راسه واستطرد :

ـ كان من الأوفق أن لا أحاول ، فلم اشعر بارتياح كبير فى أن اتسبب فى ضياع بضع درجات منه .

حاول سوليفان ان يقول ان حياته فى خطر لأنه حاول اخراج كارتر من السجن ، ولكن لمـاذا يكرر ذلك اذا كان صحيحا .. ومهما يكن فان محـاولاته لم تتسبب فى انقاص يوم واحد من مدة سجنه . وقال وهو ينهض :

ـ لا انوى ان اتبادل حديثا آخر مع جاويل .

سأله سوليفان عن موقفه من باتر وورث ، وطلب منه ان يحدثه تليفونيا بعد لقاء يوم الجمعة ليخبره بنتيجة اللقاء . وانصرف كارتر بعد ذلك .

ذكر كارتر لهازل ان سوليفان أراد ان يزوده ببضع معلومات قبل لقائه بباتر وورث . وقالت هازل :

ـ انت تبدو اكثر مرحا الليلة . ارجو ان يمر كل شىء على خير ما يرام يوم الجمعة .

قال كارتر :

ـ ارجو ذلك .

كان فى المطبخ ينظر الى هازل وهى تضع المربى فوق فطيرة الليمون . كانت ترتدى مئزرا من التويد وبلوزة بيضاء قصيرة الكمين ، وقد عقصت شعرها الى الخلف وعقدته بشريط رفيع أسود ، ولكن تجاوزت منه بضع خصلات من ناحية ، وتذكر كارتر انه نظر اليها فى مطبخهما فى نيويورك منذ سنوات مضت ، ثم فى فريمونت ، ثم هنا الآن . وقطب جبينه . كانت صورتها قد تلوثت فى عينيه بعض الشىء لأنه يعرف ما حدث بينها وبين سوليفان . لم يكن ضميره منزعجا ، وانما تغيرت نظرته الى هازل ، فقد كان يعتقد انها امرأة قوية لايمكن أن تقع فى الزلل أو تقدم على اى سوء . لم يكن أمامه الا أن يطرح ذلك الموضوع من رأسه ، كما قال له سوليفان : لا بكاء ولا نواح على الأخلاقيات المهدورة . كانت وصمة ، ولكن السجن هو الآخر كان وصمة كبيرة ، دون التحدث عما حدث لهوايتى ، فهو يحمل آثار جروح من السجن وهازل تحمل هذا الوزر .

نظرت اليه فى استفهام ، ثم تحولت لكى تفعل شيئا آخر . كانت قد القت عليه فى الأسابيع الأخيرة هذا السؤال مرارا :

ـ ماذا بك يا حبيبى ، أو فيم تفكر ؟ ولكنه لم يستطع أبدا

أن يرد عليها ، أو لم يشـأ ان يفعل ، ولم يكن ذلك لأنه يفكر فى شيء محـدد . ولكنـه كان يعرف ، عندما كان يظهـر التعبير الغريب فىعينيه . كانت ملامحه قد تغيرت فى ست سنوات بحيث لم تألف هازل ذلك التغيير . بيد أنه أدرك ذات مرة انه ازعجها بقوله:

ـ اننى أرى أن الدنيا كلها أشبه بسجن كبير ، وأن السجون ليست الا صـورة منها مبالغ فيها . وقد عجز فى تلك الليلة ، رغم كل محـاولاته أن يفسر لها ما يعنيه . أراد أن يقول لها ان فى الدنيا ، خارج السجون ، نظما وقوانين تبدو أحيانا لا معنى لها ولا تهدف الا الى التخويف والترهيب ، وانه أحس أحيانا ان تلك النظم والقوانين تسـاهم فى الحفاظ على دنيـا أكثر جنونا من السجن ، تعيش فى ذهن كل انسان ، فتجعله يعرف متى ينام ، ومتى يأكل ، ومتى يمضي للعمل ومتى يتوقف . وأن كل امرىء يقلد الآخر فى تلك الأشياء ، ولولا ذلك لاستولى عليه الجنون . وقد آمن بذلك الليلة لأنه احس به . ولكن هازل لم تؤمن به وكلما حاول ان يشرح لها الأمر بدا لها الأمر واهيا .

ـ لا تنس آل اليوت فى عطلة الأسبوع يا عزيزى .

ـ لم انس .

تذكر آل اليوت فى غموض . كان يجب أن يمضيا الى لونج ايسلاند مساء يوم الجمعة . عقب انصراف هازل من المكتب . كان روجر اليوت مستشارا فى الاستثمارات المـالية ، وقد عهدت هازل اليه بجزء كبير من اموالهما استبدلته باسـهم مضمونة . وكانت بريسـيلا اليوت ، وهى امراة فى الثـلاثين تلازم البيت للاهتمام بطفليهما . وهما أصغر سنا من تيمى ، تقضي وقتها فى رسم لوحات ومناظر طبيعية ، وهى لوحات جيدة من الناحيـة الفنية ولكنها مملة ، وبيتهما كبير ومريح ، يقع فى وسط بقعـة خضراء . وتذكر كارتر ان سوليفان لن ينضم اليهم خلال تلك العطلة ، وكان ذلك وحده شيئا جميلا .

وفى اليوم التالى ، وكان يوم خميس ، ولم يكن هناك ما يشغله ، راح يتابع عمل ساندرا ، المكلفة بنظافة البيت ، وهى امرأة تأتى كل خميس ، من الساعة الواحدة حتى الرابعة . وراقبها اكثر من المعتاد وهو يفكر ان هازل سيسرها أن يتابعها فى تنظيف رفوف المطبخ ، ودولاب الصيدلية لأنها لم تكن تعبأ ابدا بالأوامر التى تصدرها هازل اليها .

وصلصل جرس التليفون قبيل الساعة الثالثة ، وكان المتحدث جاويل ، وقال له :

ــ مساء الخير يا كارتر ، هل تلقيت خطابى ؟

ــ نعــم .

ــ كنت أعتقد أنه يستحق ردا .. ولو حتى بالتليفون .

ــ حقــا ؟

ــ ماذا بك يا فيل ؟ .. هل تخــاف الاستماع الى تلك التسجيلات ؟

عصف الغضب بكارتر فجاة وقال :

لست بخائف من الاستماع الى تسجيلاتك او الى اية تسجيلات تتعلق ...

وامسك ، ولم يتم عبارته غير راض أن يقول :

ــ تتعلق بهازل أو أن ينطق باسمها أمام جاويل .

ــ حسنا .. متى تأتى ؟ .. الليلة ؟

ــ اننى مشغولة الليلة .. متى تعود من عملك .

فى نحو السادسة .

ــ سآتى عندئذ .. انتظر .. اعطنى عنوانك .

كتب كارتر العنوان . سيستمع الى التسجيلات والى كل ما يمكن ان يقول جاويل ثم يفرغ من هذه القصة . ومهما يكن فليس لدى جاويل اى شىء على الاطلاق .

- ١٧ -

استقل كارتر سيارة أجرة فى الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين مضت به الى عنوان جاويل المعقد فى جاكسون هيتس . وتركه السائق فى شارع تحف به بيوت كئيبة متشابهة ومبنية بالطوب الأحمر وتتكون كل منها من سبعة طوابق . وكان الطابق الأرضى للبيت الذى يقيم جاويل فيه مشحونا بعربات الأطفال وتفوح منه روائح المطبخ . واستقل المصعد حتى الطابق الخامس . واستقبله جاويل هاشا باشا قائلا :

ـ مساء الخير يا فيل .

كان مرتديا القميص وبين شفتيه سيجار . ودخل كارتر غرفة المعيشة ، وتضم مفروشات حديثة ورخيصة ولوحات عادية لا طابع لها . وعرض جاويل عليه الشراب . والقى كارتر معطفه فوق أريكة خضراء بغيضة قائلا :

ـ هل نحن بمفردنا .. خطر لى أنك تود ذلك .

اتى جاويل من المطبخ بكأسين مملوءين وقال :

ـ ان لدى ما يهمك هنا بالذات .

ومضى الى منضدة صغيرة مستديرة أمام الأريكة ، فوقها بين منفضتين مملوءتين بأعقاب السجاير . مظروف أسمر ملفوف

بدوبارة مفكوكة .. مظروف ضخم محشو بالأوراق . وجلس فوق الأريكة وقال وهو يخرج منه بعض الأوراق كيفما اتفق :

ـ هذه مذكرات خاصة بسوليفان كما قلت لك . فيها امور عن اناس آخرين ، وعن الأوقات التى زاره فيها هؤلاء النـاس .

قال كارتر :

ـ اريد أن تريني ما له صلة بموضوعنا فحسب .

راح جاويل يقلب الأوراق لحظة ثم قال :

ـ آه .. اليك هذا .. فى السابع والعشرين من يونيـة ، منذ ثلاث سنوات ، اقبلت مسز كارتر فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وغادرت البيت فى الساعة السادسة . كان ذلك عندما كانت تتلقى دروسها فى لونج ايسلاند ، قائلة لابنها على ما اعتقد انها تغادر المدرسة بعد الساعة الخامسة لأنها كانت تمضى الى سوليفان بانتظام . واليك هـذه المذكرة الأخرى : وصلت مسز كارتر فى الرابعة والنصف وانصرفت فى الثامنـة والدقيقة العشرين (وقلب فى مذكراته وعاد يقول) س . يعود الى بيته فى الثامنة والخمسين وبرفقته مسز ك . وانصرفت هـذه الأخيرة فى منتصف الليل ، وقد شيعها س . حتى سيارة أجرة . ويعود تاريخ ذلك الى سـنة . وانحنى جـاويل لكى ينـاول المذكرة لكارتر .

واخرج له ست مذكرات أخرى . غادرت هازل بيت سوليفان ذات مرة فى الساعة الثانية صباحا ، مع شخصين آخرين لأن سوليفان كان قد اقام فى تلك الليلة حفلة سـاهرة . وقال جاويل وهو يبتسم :

ــ ولكنك تعرف ان الوقت ليس بالشيء المهم .

واضطر كارتر أن يبتسم هو الآخر :

ــ لا ارى فى كل هذا ما يثير .

كان ضجرا ومولولا وغاضبا بعض الشيء . ولكنه أدرك انه انما هو غاضب من نفسه لأنه اهتم بالمجيء عند جاويل .

وبدت الدهشة وخيبة الأمل على هذا الأخير وقال :

ــ الا يثيرك كل هذا ؟ .. حسنا . قد يهمك اذن الاستماع الى بعض التسجيلات .

ونهض ومضى الى الدولاب ، وعاد ومعه صندوق ثقيل مملوء بأشرطة تسجيل وهو يقول :

ــ ان رجالى دخلوا مسكن سوليفان مرتين .. مرة لوضع جهاز التسجيل ، وأخرى لرفعه من مكانه .

وراح يقلب الأشرطة ويبحث بينها فى حين اخذ كارتر يدخن سيجارة ، ويقول لنفسه ان جاويل مريض ذهنيا ، وان تحقيقاته عن سوليفان لاريب قد القت الكثير من الزيت على النار . ونظر ثانية الى كومة المذكرات القذرة المتناثرة فوق الأريكة وهو يقول لنفسه انها لابد قد كلفت جاويل الكثير من المال بحيث أفلس كما هو ظاهر واضطر الى الاقامة فى مثل هذا المسكن الحقير .

وقال جاويل اخيرا :

ــ آه .. ها هو شريط خاص بسوليفان .

ووضع الشريط فى جهاز التسجيل . واصغى كارتر وهو

يبتسم الى حديث بين سوليفان والكواء الذى جاءه بالأسموكنج ، ثم اصطفق الباب بعد ذلك ، وساد صمت . فقال :

ـ هيا يا جريج .. أسرع .

اجاب جاويل :

ـ لا إستطيع الاسراع ، فقد يفوتنى ما ابحث عنه .

سوليفان يحجز مائدة فى مطعم بالتليفون .. مائدة لشخصين فى الساعة التاسعة . وقال جاويل :

ـ اننا ركبنا جهاز التسجيل بجوار التليفون .

سكتة اخرى طويلة ثم صوت سوليفان :

ـ كيف حالك يا حبيبتى ، وصوت هازل ترد عليه :

ـ على ما يرام . وانت ؟ يا له من يوم .

ـ اضطررت الى حجز المائدة للساعة التاسعة لأن كل الموائد محجوزة للساعة الثامنة . هل يضايقك ذلك ؟

ـ ابدا . سوف نقضى معا وقتا اطول . آه . اتمنى لو أن اخلع حذائى .

ضحك سوليفان وقال :

ـ افعلى .. هل آتيك بشراب ؟

ـ كلا . اشكرك . ليس الآن .

ـ حبيبتى !

لعلهما كان يتعانقان . وبدا الصمت لكارتر بغيضا . وقال جاويل :

ـ انتظـر .

قال كارتر :

ـ آه . لماذا لم تضع جهاز التسجيل فى غرفة النوم اذا كنت تريد أن تثبت شيئا ؟

صوت سوليفان :

ـ هل وجدت أحدا للاهتمام بتيمى ؟

صوت هازل :

ـ سيقضى الليلة مع أحد أصدقاء فصله .

ـ آه حسنا .

وضعف الصوتان وتلاشيا . وقال جاويل :

هل سمعت ؟ يرجع تاريخ هذا الشريط الى اكتوبر الماضى .

عرف كارتر صوت هازل ومزاجها . كلمته بنفس الطريقة مرارا . واوقف جاويل الشريط وهو يقول متهكما :

ـ سيقضى تيمى الليلة مع أحد أصدقاء فصله .

قال كارتر :

ـ يحدث له هذا من وقت لآخر ، اذا تأخرنا فى السهر فى الخارج .

قال جاويل :

ـ أوه ، هيا يا كارتر .. انك لست غبيا .

ابتسم كارتر ابتسامة ساخرة . كلا . انه ليس غبيا ، والشريط يرجع تاريخه الى اكتوبر الماضى ، واستطاع ان يرى التاريخ مكتوبا على الشريط ، ما لم يكن جاويل قد زيفه .

اخذ جاويل منه الكأس لكى يملأه وقال :

ـ اذا اردت أن اتصل بك بعد ظهر يوم تمضى فيه زوجتك الى سكن سوليفان وان تذهب اليهما و ...

ووضع الكاس بيد ثابتة فوق المنضدة فقال كارتر :

ـ و ... وماذا ؟

ـ تخنقه فى فراشه .

احس كارتر بقطرات من العرق البارد تتصبب من جبينه وقال .

ـ اظن انك تكرهه اكثر منى .. عليك انت أن تقوم بذلك .

ـ بل اظن انه يجب عليك انت أن تفعل ، فان القانون يعطيك الحق .

ضحك كارتر وقال :

ـ وتنال انت كل الشرف .

حدق جاويل فيه فاحصا . وخفض كارتر عينيه أخيرا نحو كاسه ، ومر بيده على جبينه المبتل ، وذكره عرقه بأعراض ضعفه التى كانت تنتابه وهو فى السجن . وسأله جاويل :

ـ هل تريد حقنة ؟ .. لدى كلّ ما يلزم فى الحمام .

اضطجع كارتر فى مقعده الى الخلف قبل أن يرد ، وهو يعلم تماما ماذا سيكون رده ، وقال أخيرا :

– ولم لا ؟

وقال جاويل وهو يبتعد فى نشاط كالضيف الكريم :

– لحظة واحدة .. انها ليست فى الحمام ، ولكننى سآتيك بها .

نهض كارتر ، وسمع جاويل يتحرك فى الحمام اخيرا فمضى اليه . وكان جاويل قد وضع علبة كبيرة فوق الأرض حجمها نحو خمسين سنتيمترا مربعا ، وتضم نحو اربعين حقنة مرصوصة فوق طبقة من القطن . ورأى كارتر ان العلبة مكونة من ست طبقات فوق بعضها البعض وانها تحتوى على مائتين واربعين حقنة . وقال جاويل وهو يضع حقنة معقمة فوق الحوض :

– ان بكل حقنة منها ٧٥ ملليجراما . ولا ادرى ان كنت تريد حقنة كاملة .

وابتسم فى رفق وغادر الحمام .

قام كارتر بكل الحركات الضرورية أوتوماتيكيا . وفى بضع ثوان كان المخدر يسرى فى أحد عروق ساعده الأيمن . حقن نفسه بنصف الجرعة وهو يتساءل من أين حصل جاويل على كل هذه الكمية من المخدر . ولكنه رأى انه ليس من الكياسة أن يلقى على جاويل مثل هذا السؤال . ولا ريب انها عملية رابحة بالنسبة لجاويل ، وفى هذا تفسير لمقدرته على اللجوء الى بعض المخبرين الخاصين للحصول على ما يريد من معلومات . وتحقق كارتر من ان هناك ست طبقات من الحقن بحيث انه بسعرها المتواضع فى السوق ، كانت العلبة تساوى ستة آلاف دولار . وعاد الى غرفة المعيشة .

وقال جاويل وهو يشير الى الحمام :

ـ اذا أردت ان تأخذ بعضا منها فلا مانع .

ابتسم كارتر وقال :

ـ كلا ، شكرا لك يا جريج .

كان المخدر يسرى الآن فى عروقه بفعالية والفة . واضطجع في مقعده الى الخلف . ونهض جاويل وناوله كأسه . ولم تكن بكارتر رغبة ولا حاجة اليها ولكنه اخذها مع ذلك . وقال جاويل فى هدوء :

ـ صراحة يا فيل ، انت الوحيد الذى يستطيع قتل مستر سوليفان والخروج سليما وآمنا .. من الناحية القانونية .

عبس كارتر ثم ضحك وقال :

مع ما لى من سابقة خلفى .

ـ ان للرجل الحق فى ...

ـ الا يسرى هذا الحق الذى تشير اليه فى تكساس فحسب ؟

سكت جاويل ، ودعك شفتيه بظهر يده ثم قال :

ـ يمكننا دائما أن نتدبر بحيث يبدو الأمر كأن احد رجالي قتله . لن يكون هناك فى هذه الحالة .. لن يستطيع البوليس أن يفعل شيئا . قد يشتبهون فيك ولكن ...

وامسك . لم يكن هناك معنى لما ينطق به . ولكن كارتر تصور نفسه يضرب سوليفان على عنقه .. ضربة الكس القاتلة . وقال وهو ينظر الى ساعته « سوف يشتبهون فى طبعا اذا أنا فعلت ذلك » . آه .. الساعة السابعة .. ستتساءل هازل اين

انا قانا لم اترك لها اية كلمة .. بل سيشتبهون فى حتى اذا لم افعل .

ـ فكر فى الأمر يا فيل . يمكننا أن نتدبر الأمر حقا . ان لك دافعا ، واذا لم تفعل فلن تضع حدا لعلاقتهما .

بقى كارتر هادئا ، ولكنه أحس بالخوف وبقلبه تتسارع دقاته . نفس الاحساس الذى احس به فى السجن عندما كان مهددا طبيعيا او قبل أن تصيبه اية ضربة . نفس الاحساس الذى احس به عندما كان فى زنزانة ماكس موليا ظهره لسكويف . وقال وهو ينهض :

ـ اظن اننى سأتركك تقوم أنت بالعمل .

ـ أوه ، كلا . بل ستقوم أنت به .

ضحك كارتر . وضحك جاويل هو الآخر ، ثم نهض وفتش فى جيبه ، واخرج حافظته واخذ منها صورة فوتوغرافية وهو يقول :

ـ هدية لك يا فيل ، والتاريخ على ظهر الصورة .

اخذ كارتر الصورة . كانت لهازل من ظهرها بدون قبعة وبمعطف ، تصعد الدرجات الأمامية لبيت سوليفان بالشارع الثامن والثلاثين ، وقلب الصورة وقرأ : ١٤ يناير ، الساعة الرابعة والنصف ، وقال :

ـ انها تعمل عادة حتى الخامسة والنصف .

ـ ثم سبق وقاطع جاويل قائلا :

ـ انى ذهبت لاصطحابها مرارا كثيرة فى تمام الساعة الخامسة . اننى أعرف ذلك .

ـ وسوليفان يعرف ذلك ايضا . ولكن ما كان هذا ليمنعهما من تدبير المواعيد لكى يلتقيا من وقت لآخر ، وكما يقال فان الحب يجد دائما طريقة .. لا يمكن ان تتجاهل هذه الصورة على كل حال .

هز كارتر كتفيه والقى بالصورة فوق الطاولة . كانت هازل مرتدية المعطف ذا الياقة الفرو السوداء الذى ظلت ترتديه طوال الشتاء ، اثناء العمل . واحس بانه على قاب قوسين من الغثيان . وقال جاويل وهو يربت بيده على كتفه :

ـ حسنا . انت تعرف ان ذلك صحيح يا فيل ، وانا على استعداد لأن اقتل سوليفان مثلك ، ولكننى اظن انك انت الذى ستفلت من القصاص .

ـ طابت ليلتك يا جريج .

وعندما عاد كارتر كانت هازل فى المطبخ فصاحت به :

ـ مساء الخير يا فيل .. اين كنت ؟

ونظرت اليه ، ثم عادت الى عملها ، وفتحت كيسا من البازلاء المجمدة .

كان فى مقدوره ان ينصرف عندما رآها حتى لا تتابع استجوابها، ولكنه وقف ينظر اليها ، غير مستطيع ان يحول عينيه عنها لثوان طويلة . والقت اليه نظرة من فوق كتفها ، وعندئذ ابتعد ، وعلق معطفه . ومضى الى الحمام ، والقى نظرة الى غرفة تيمى ، وكان بابها مفتوحا . كان الغلام مستلقيا وصدره الى الأرض . وهو الوضع الأثير لديه اثناء قيامه بواجباته المدرسية . لم يكن يجلس امام المكتب ابدا ، ورأى كارتر ان يده اليمنى معصوبة فقال له :

ـ مساء الخير يا تيمى . ماذا حدث ليدك ؟

ـ اوه ، اننى وقعت وانا العب الكرة عصر اليوم .

ـ هل أصبت بكدمة .. وهل الاصابة شديدة ؟

ـ كلا . اننى اصبت بجرح من شظيـة من الزجـاج ، واعتقد ان الأمر ليس خطيرا .

تكلم تيمى من غير ان يرفع عينيه . وتردد كارتر لحظـة ثم مضى الى الحمـام ، وغسل يديه ثم وجهه بالصـابون . احس بارتياح تام . من الممكن تماما أن تكون هازل على علاقة بسوليفان ، فهى امرأة كثيرة المشاغل هذه الأيام . ولكن الهيروين اصـابه بخير كبير ، كما لو أن كل شيء فى هـذه الدنيا فى مكانه الحق . وأحس بارتياح كبير لأن جاويل على علم بذلك الأمر ، لأنه علم به طوال الوقت ، ولم ينزعج أو يصـدم كما هو ظاهر ، بل انه نطق بدعابة مع ذلك فقال ان الحب يجد دائما طريقة . كان يجب أن يحدث شيء أكثر من عودته الى السجن لكى يحطم حبا حقيقيا. ومضى الى المطبخ وسأل هازل :

ـ أتريدين أن تتناولى شرابا قبل العشاء .

ـ كلا . شكرا . يمكنك أن تتناول انت ما تريد .

كانت تقوم باعداد وجبة من البازلاء بسـمك السالمون فى اناء وضعته فى الفرن . وفتحت باب الفرن والقت نظرة على الاناء ثم اغلقته وسألته :

ـ صراحة من أين انت قادم ؟

طرفت عيناه أمام هـذا التحدى ، ولكنه بقى هادئا . كانت لتصرف تصرف المذنبـة تماما ، كمـا فعل سوليفان ، ولنفس السبب . وأجاب متحديا هو الآخر ، قبل أن يفكر فيما يقول :

ـ انني قمت بجولة .

ثم تحول ومضى الى غرفة المعيشة .

- ١٨ -

قال باتر وورث :

ـ حدثنى دافيد عنك كثيرا .

ولكنه استمر يقرأ الموجز الذي قدمه اليه كارتر .

كان جالسا أمام مكتب ضخم عليه رسومات مختلفة ، ونموذج لما يبدو آلة لتصنيع الأدوات . يناهز الخامسة والأربعين من عمره ولكنه أصلع تماما ، ولم تبق براسه غير خصلة صغيرة سوداء . له فم رخو لا يدل على ضعف وانما على رقة وظرف ذكره بطريقة غريبة بفم هازل . كانت شركة جنكينز وفيلد شركة للمقاولات والانشاءات . وفهم كارتر ان عمله سيقوم على الاهتمام بالأعمال التى لآ يجد باتر وورث متسعا من الوقت لانجازها ، فقد كان كثير التنقل الى العديد من المدن ، وسوف يحل كارتر محله اذا ما التحق بالعمل ، وان المرتب سيكون ١٥٠٠٠ دولار سنويا مع اجازة شهرا فى الصيف .

ـ مستر كارتر .. ان الوظيفة لك اذا أردت .

ـ شكرا .. أعتقد اننى ساقبلها .

القى باتر وورث نظرة الى الباب المغلق ، من فوق كتفه ، وقال :

ـ حدثنى دافيد عن المدة التى قضيتها فى السجن فى

الجنوب ، واعرف انك لم تكن مذنبا ، وان المذنب هو الرجل الذى مات .

هز كارتر راسه وقال :

ــ نعـــم .

تمتم باتر وورث :

ــ هذا أمر بغيض ، ولكننى اردت أن أقول لك اننى كنت أعلم .. ونحن جميعا نعرف دافيد ، وانـا اعرفه خيرا من الآخرين ، واذا قال انك رجل صالح فاننى أصدقه .

وابتسم فى شىء من الارتباك ، كمـا لو كان غير معتـاد على الابتسام واردف :

ــ واظن انه يجب أن نمنح خريجى السجون فرصة ثانية . ان اغلب الناس يرفضـون ذلك ولكنك لست من ذلك النوع . واظن انك تستطيع أن تجيد عملك اذا عرفت اننا نعرف كل شىء عنك ، واننا لن نتحفظ معك فى أى شىء .

غادر كارتر المكتب وهو مسرور ، ودخل أول كشك تليفونى صادفه واتصـل بسوليفان وقال له :

ــ آلو .. سوليفان . أردت ان اشكرك . انهم قبلونى .

ساله سوليفان :

ــ اوه .. هذا رائع .. ومتى تبدأ ؟

ــ صباح الاثنين .

ــ يجب أن أخرج الآن فهناك من ينتظرنى . اهنيك يا فيل والى الملتقى .

سرت هازل لالتحاقه بالعمل ، واحتفل آل اليوت فى تلك الليلة بالمناسبة ، وتناولوا الشمبانيا . وحتى تيمى شرب منها هو الآخر . واحس كارتر بأن ابنه راح ينظر اليه فى احترام من جديد لأنه اصبحت له وظيفة كآباء الأطفال الآخرين . ولكنــه يدين بهذه الوظيفة لسوليفان ، وتيمى يعرف ذلك أيضــا ، وشربه الجميع نخب سوليفان .

لم يستطع كارتر ان يغمض عينيه فى تلك الليلة . كانت هازل متعبة وغرقت فى نوم عميق بجواره فى الفراش الكبير فى غرفــة الأصدقاء بمسكن اليوت حيث حدث لهما ذلك كثيرا من قبل . وصفرت الريح فىالخــارج ، ونهض من غير أن تصـــدر منه حركة وارتدى جاكتته فوق البيجامة وخرج الى الحديقة . وخففت الريح ، عندما واجهها من عصبتيه بعض الشيء .

كانت قمم الأشجار تنحني وتتمايل كمــا لو كانت رؤوس رجال يرزحون تحت الضرب والتعذيب . ونظر كارتر الى البيت واستغرب ان يكون مدعواً به . وبدت له السهرة غريبــة هى الأخرى ، كشيء لم يحدث حقا ، أو حدث منذ سنين .

فاجاه صوت هازل . احس أنها بجواره ، ولكنــه لم يلبث ان رأى وجهها الشاحب وهى بقميص النوم فى اطــار النافذة . واحس فجــاة ، بأنه لا يعرفها ، وصـــدم وذعر فى نفس الوقت . كان الأمر كالريح التى تحمل شخصيته بعيدا ، ولكنه سار آليــا نحو البيت ، وعيناه مرفوعتان نحو هازل . وسألته فى رفق ، كما لو كانت تخشى ان توقظ من فى البيت :

ـ ما الخبر يا حبيبى ؟

أشار اليها بيده ، محــاولا تهدئتها ، وفكر فجاة :

ـ انها ملك سوليفان فى الواقع وانه لا يعرفها على الاطلاق .
وتوقف مرتخيا كالخرقة لا يستطيع شيئا .

وسألته :

ـ هل أنت بخير ؟

نظر اليها وقال :

ـ انني صاعد .

- ١٩ -

فى الخميس الأول لالتحاق كارتر بالعمل لدى شركة جنكينز وفيلد دعا سوليفان للعشاء . وبذلت هازل جهدا خاصا فى اعداد طبق من الخيار ولحم البقر والباكون والجبن المبروش والبقدونس والصلصة الهولندية وكذلك اعداد فطيرة بالليمون ، وكانت معتدلة المزاج . وقال سوليفان :

ـ آه .. وجبتى المفضلة .. انت رائعة !

وكان قد دخل المطبخ بمجرد قدومه .

كان كارتر قد توقع دون أن يدرى لماذا ، ان سوليفان سوف ينطق بتلك العبارة ، رغم أن هازل لم تذكر له ان هذه هى الوجبة المفضلة لديه . وكانت قد أعدت الطعام فى تلك الليلة فى غبطة ظاهرة . كانت كذلك دائما ولكنها كانت الليلة أكثر غبطة ومرحا عن كل ليلة أخرى . وكان تيمى مرحا هو الآخر مع سوليفان .

وقال هذا الأخير يسأل هازل :

ـ كم باق من الوقت امامك ؟

ـ ماذا تعنى ؟ .. فى اعداد هذا ؟

وكانت تقطع بعض رؤوس الفجل فى دوائر فقال :

ـ نعم . لا حاجة بك الى تقطيع الفجل . تعـالى وانضمى الينـا .

ـ يا لك من جاحد .

وضحكت وهى تلقى نظرة الى كارتر . وقال سوليفان :

ـ « انها جارية حقيقية » . واشار الى كارتر ان ينتقلا الى غرفة المعيشة . وتبعهما تيمى وهو يجر قدميه . ورأى كارتر سوليفان ينظر الى الفلام ، وكان تيمى يركز بصره على سوليفان فبدا عليه الارتباك لحظـة ، وباشـارة صغيرة تكاد لا تلحظ من راس سوليفان رجع الى المطبخ ويداه فى جيبى بنطلونه ، وحـدث كارتر نفسه فقال :

ـ انه احسن تنشئته ، وانا نفسى ما كنت لأفلح هكذا معه . وسأله سوليفان فى صوت خافت :

ـ هل لديك أنباء أخرى عن جاويل ؟

ـ كـلا .

ـ حسـنا .

واشار سوليفان الى المطبخ مقطبا وقال :

ـ لم اشأ ان اطرد تيمى ولكننى اردت ان لا يسمعنـا . حسنا . ارجو أن يهدأ جاويل ، بخصوصك على الأقل .

سأله كارتر :

ـ وماذا عنك أنت ؟

ابتسم سوليفان واجاب :

ـ انا مازلت هنا . مرت فترة لم اسمع فيها شـيئا عنه ، فيما عدا المكالمة التى حدثتك عنها .

ـ وماذا سمعت قبل ذلك ؟

ـ اولا .. أعتقد انه كان هناك من يتبعنى بعض الوقت .

كان سوليفان يخفض عينيـه نحو المنفضـة وهو يسحق سيجارته فيها ، وعاد يقول :

ـ وانا واثق انه ارادنى ان اعرف ان هنـاك من يتبعنى ، وان بيتى مراقب . أراد أن يبث الرعب فى قلبى كما تعلم .

قال كارتر :

ـ لا ادرى فيم يفيده هذا .

ـ لكى انفض يدي منه . كان ذلك فى الوقت الذى كنت استعلم فيه عنه فى فنادق نيويورك ، منذ اربع او خمس سنوات، ولم الحظ ان هنـاك من يتبعنى إخيرا ، اعنى فى السنة الأخيرة .

لم يصدقه كارتر وساله :

ـ اما كان يعمل على مطاردتك وهو لايزال فى شركة تريومف فى فريمونت .. ثم عندما انتقل الى نيو اورليانز ؟

ـ آه ، نعم . انا واثق إنه كلف رجـلا نظير مكافاة ما ان يتعبنى فى نيويورك ، بعد ان اغادر بيتى ، وهـذا شيء غير مريح. ولكن لم يبلغ بى الأمر الى حد الانزعاج او ابلاغ البوليس .

تساءل كارتر :

ـ لمـاذا ؟ لأنك لم تشـا أن يكتشفوا ان هازل تكثر من زيارتك .

والقى كأسه ، وعقد ذراعيه ، فأحس بابهاميه يؤلمانه على الفور فأراحهما وقال :

ـ وهل تعرف هازل أن هنـاك من كان يتبعك ؟

أجاب سوليفان :

ـ كلا . لم اشأ ان اسبب لها اى ازعاج .

وعاد كارتر يحدث نفسه :

ـ او أن تنقطع عن زيارتك .

وقال يسأل :

ـ الا تعتقد أن هناك من يتبعك الآن ؟

ابتسم سوليفان وقال :

ـ ان جاويل نفسه فى الميـدان الآن ، واظن انه لم يعد بحاجة الى انفاق المزيد من النقود لكى يتبعنى أحد .

ابتسم كارتر هو الآخر وقال :

ـ اتعنى ان جاويل يتبعك بنفسه الآن ؟

ـ اذا كان يفعل ذلك فهو يحرص على أن لا أراه . ولكنك ستخبرنى اذا عرفت شيئا جديدا . اليس كذلك ؟

ـ نعم . وانه لأمر سيىء أن تزعج نفسك كل هذا الازعاج.

ـ انه عدوى ، ومن المفيد دائما أن تعرف ماذا يفعل عدوك أو فيم يفكر .

ولزم سوليفان الصمت لحظـة ثم سأل كارتر عن عمـله ، واجابه هذا الأخير بأنه لا بأس به ، وانه منوط به أعمال كتابية فى

الأسبوعين القادمين ، على ان ينتقل بعد ذلك الى ديترويت حيث يبقى أسبوعين أو ثلاثة . ولم يبد سوليفان اية دهشـة أو اهتمام لأن كارتر سيتغيب بضعة أسابيع . ولم يظهر عليـه شيء على الاقـل .

اقبلت هازل ومعها تيمى من المطبخ ، وتحدثت مع سوليفان عن اشياء كثيرة ، من بينها اللوحة التى رسمتها بريسيلا اليوت بالألوان المـائية والتى اهدتها لها لأنها ابدت اعجابها بها ، وانها وضعتها الآن فى اطار وعلقتها بين النافذتين المطلتين على الشارع . وتحدثا عن أوروبا فى يولية ، ولم يستطع كارتر أو لم يشـأ ان يشاركهما الحديث ، فى حين انه هو الذى يجب أن يمضى الى أوروبا . واهتم تيمى بصفة خاصـة بتلك الرحـلة ، وسـأل سوليفان اذا لم تكن هناك مباريات فى كرة القدم فى يولية فى رابالو، وهى المدينة التى تنوى هازل قضاء فترة فيها .

وقال سوليفان :

ــ ان رابالو مدينة صغيرة وليس بها استاد واظن انه لكى ترى مباراة جيدة يجب ان تمضى الى جنوة .

جلس تيمى فوق وسادة ، ونظر الى سوليفان فى حزن ، كما لو انه ادرك فجـأة أن سوليفان لن يذهب معهما ، وانما أبوه ، وأن اباه لا يعرف الكثير عن الكرة .

واثنى سوليفان على العشاء وقال انه كان شهيا وفاخرا . وتالق وجه هازل لفرط السرور ، وكذلك وجه تيمى . اما كارتر فلم يكف عن الاحساس بالألم فى ابهاميه طوال السهرة ، كلمـا امسك سكينا أو فنجانا ، ولم يلبث ان حطم الألم اعصـابه ، وقرر ان يمضى لاستشارة اخصـائى وأن يخضع لعملية جراحية . وكان ذلك فى نحو الساعة العاشرة والربع ، ولكنـه بعد سـاعة ،

حين هم سوليفان بالانصراف غير رأيه من جديد . ومهما يكن فان الاخصـــائى الذى ارسلته هازل اليه قال ان من الممكن اجراء العملية ولكن لا يمكن التأكد من النتيجة ، فلن تعود المفاصـــل الى وضعها الأول أبدا ولن يزول الألم نهائيا .

سألته هازل وهى تبتسم :

ـ هل انت سعيد يا حبيبى .

اجـــاب :

ـ نعـــم .

وطوقها بذراعيه ، وطبع قبلة على عنقها . وشدد الضغط عليها . واحس بها صلبة بين ذراعيه ، ومع ذلك فان شيئا كان موجودا فيما سبق قد اختفى ، فهل اختفى من هازل أم منه هو ... أو ربما منهما معا .

- ٢٠ -

اضطرت هازل ، خلال الأسبوع التالى الى حضور عشاء عمل فى فندق بالشارع السابع والخمسين . ولما كان يجب أن يعقبه احاديث كثيرة رات انها ستكون مملة جدا بالنسبة لكارتر فقد اقترحت عليه ان تمضى بمفردها . وقبل كارتر ، فقد كان لابد له من ان يفرغ فى المنزل من بعض الأعمال الخاصة بشركة جنكينز وفيلد ، وقال :

ـ ساصطحب تيمى لتناول العشاء فى الخارج ، ويمكنه ان يمضى بعد ذلك الى السينما بالشارع الثالث والعشرين ، ففيها فيلم من افلام رعاة البقر يريد أن يراه .

سالته هازل :

ـ وهل ستمضى لتصطحبه بعد ذلك . لا اريده أن يتسكع بين الصيدليات الى وقت متأخر ويملأ بطنه بالجيلاتى .

قال كارتر :

ـ سأسأل متى ينتهى الفيلم وامضى لاصطحابه .

تبادلا ذلك الحديث اثناء الغداء . وعلم كارتر ان هناك حفلات سينمائية فى السادسة والثامنة والعاشرة . ورأى ان يشاهد تيمى حفلة الثامنة ، بعد تناول طعام العشاء . واتصل به

تليفونيا فى الساعة الخامسة وقال له انه سيعود فى السادسة والنصف متأخرا عن عادته ، ويمضيان لتناول العشاء معا .

استقل كارتر الأوتوبيس ، بعد فراغه من العمل ، وهبط فى الشارع الثامن والثلاثين . فكر طوال النهار فى سوليفان ، ورأى أن الليلة مناسبة لتبادل حديث معه ، حديث لا يجب أن تعرف هازل شيئا عنه . أراد أن يسأل سوليفان مباشرة عن حقيقة الموقف ، فاذا ذكر له سوليفان الحقيقة فلا بأس ، واذا كذب فسوف يعرف ذلك . أما اذا لم يكن موجودا فسيكون ذلك من سوء حظه ، ولم يشأ أن يأخذ منه موعدا مسبقا .

رأى هازل على بعد ثلاثين مترا من بيت سوليفان . ورأته هى الأخرى ، وهمت بأن تتوقف ولكنها استمرت تتقدم نحوه وهى تبتسم وقال كل منهما فى نفس الوقت :

ـ آه . مساء الخير .

قال كارتر وهو يضحك ضحكة قصيرة :

ـ ما أظنك ماضية الى بيت سوليفان ؟

اجابت وهى تشير الى كمية من الأوراق وبعض الكتب تحت ابطها ، فوق حقيبة يدها :

ـ بلى . جئت لأعيد اليه كتابا .. تعال . أمامى دقيقة واحدة .

وبدأت تصعد الدرجات الأمامية للبيت . ولكنه قال :

ـ كلا ، كلا ... اصعدى أنت ... اننى منصرف .

حدقت فيه فقال :

ـ كنت اريد قضاء لحظة معه ، ولكن الأمر غير عاجل .

ـ لا تكن أحمق ... ما دمت قد جئته ...

تابع كارتر طريقه وهو يقول مبتسما ومشيرا بيده اشارة قصيرة :

ــ الى الملتقى .

وسار حتى آخر الشارع فى خطوات متوترة . كما لو كان يتوكأ على عكازين . لم يكن هناك عشاء عمل كما قالت هازل ، وانما ارادت قضاء الأمسية مع سوليفان . ولم يسعه الا الاعجاب بقوتها وجرائها . لو انه صعد معها لقالت لسوليفان :

ـ انظر بمن التقيت .. انني جئتك بكتابك .. ثم تضع فوق المكتب كتابا ما وتستطرد :

ـ يجب أن امضى الى الشارع السابع والخمسين ، فهم يقدمون كوكتيلا ، وربما اصل فى الوقت المناسب . الى اللقاء .. نعم ، انها تخلصت من المأزق بذكاء . وطوح براسه الى الخلف وهو يضحك ، وخطر بباله ان هازل قد تعود مبكرة الليلة مخافة ان يكون قد توقف فى مكان ما بالشارع لكى يرى كم ستبقى مع دافيد .

واصطحب تيمى الى مطعم بالشارع الثالث والخمسين ، وبعد أن فرغا من الطعام رافقه الى السينما ، وعقد العزم على ان يرى الفيلم هو الآخر ، وزوده ذلك بشىء من الهدوء والارتياح، ولكن عندما انتهى الفيلم كان عاجزا عن تذكره .

وعندما عاد الى البيت لم تكن هازل قد رجعت بعد ، فمضى بتيمى الى الفراش ومعه كتاب ووعد منه بأن لا يقرأ اكثر من ربع ساعة . وقال له :

ـ ساخرج لحظة . سوف تعود ماما بالتأكيد ما بين دقيقة واخرى . ولكن لا تنتظرها ، فالمفروض ان تنام .

واستقل سيارة اجرة حتى مسكن جاويل . وعندما فتح له هذا الأخير الباب تناهى الى سمعه موسيقى راقصة وصوت حديث فسأله :

ـ الديك ضيوف .. سأعود فى وقت آخر .

ـ أوه كلا . تفضل بالدخول .

دخل كارتر وقد سره ترحيب جاويل به بعض الشيء . ولكنه لقى فى شيء من البرود الرجل الذى قدمه جاويل اليه والمرأة الشقراء البدينة ، وتمنى ان لا يكونا قد لحظا ذلك البرود ، بيد انه لم يبد عليهما اى اهتمام . وقال جاويل يقدمه اليهما :

ـ فيل : صديق قديم من الجنوب .

كان الرجل فى نحو الخامسة والثلاثين من العمر تقريبا .. طويل القامة ، عريض المنكبين ، بادي الأناقة ، إما الشقراء فكانت شقراء لا اكثر ولا اقل ، وان كانت ثقيلة الظل بعض الشيء ، يبدو عليها انها لا تمتهن مهنة منتظمة . وقالت تسأله :

ـ هل انت من اهل الجنوب ؟

ابتسم كارتر واجاب :

ـ كلا . وانت ؟

كانت ترتدى ثوبا من الحرير ، مكشوف الصدر بصورة جريئة ، وحذاء بكعب عال جدا ، وبفردة جوربها اليمنى ثقب . وقالت :

ـ أنا من كونيكتيكت . هل تريد ان ترقص ؟

ـ ليس الآن ، شكرا .

بدت لكارتر كاحـدى تلك الفتيات اللاتى كان يراهن على شاشة السينما بالسجن ، وقد نبضت بالحياة فجأة . ووجهت الحديث اليه ، وفى شيء من التهور أمسك بمعصمها فجأة وقال :

ـ هـلا جلسـت .

كان يقصد أن تجلس على مسند المقعد ، ولكنها جلسـت على ركبتيه . ودهش كارتر فى البداية ثم ابتسم . كانت ثقيلة جدا . ونظر جاويل اليها وقال :

ـ ايه ... ما هذا ؟

ـ وقال صديقها :

ـ اظن اننا سننصرف .

ومد يده يساعدها على الوقوف . وقالت تخـاطب كارتر فى مرح :

ـ الى اللقـاء .

ولم ينهض كارتر وانما أشار بيده مودعا وهو يقول :

ـ أرجو ذلك . يسرنى اننى التقيت بكما .

وتبادلا مع جاويل حديثا قصيرا عند الباب ، لم يحـاول كارتر سماعه . وعـاد جاويل وهو يدعك يديه ويقول :

ـ لا بأس بها . ولكن انتونى لا يقدرها حق قدرها .

ولم ينطق كارتر فعاد يقول :

ـ هل تريد حقنة .

قال كارتر وهو ينهض :

ـ فكرة لا باس بها .

مضى جاويل لكى يأتى بالحقنـــة ، وبقى كارتر جالسا مكانه وهو يقول لنفسه ان من الأدب ان لا يحــاول معرفة المكان الذى يخفيها جاويل فيه . وعندما عاد شكره بايماءة من رأسه ، ومضى الى الحمام لكى يحقن نفسه ببقية الجرعة التى سبق ان استخدم نصفها ، ثم أعاد الحقنـــة الفارغة الى غرفة المعيشة والقاها فى احدى منافض جاويل المملوءة بأعقاب السجائر وهو يقول :

ـ اشكرك كثيرا .

قال جاويل :

ـ ان الوقت متاخر بالنسبة لك . إليس كذلك ؟

ـ نعم . ولكن هازل مشغولة الليلة .. انها فى عشـــاء عمـــل .

ـ آه ، حقـــا ؟

ـ نعم . هكذا قالت لى . انها مع سوليفان .

قال جاويل دون أن يبدو عليه اى انتصار أو دهشة :

ـ آه ... آه ...

وقال كارتر :

ـ نعم . انت على حق . كنت ذاهبا للقاء سوليفان لكى اواجهه واساله ماذا يفعل مع زوجتى عندما رأيتهــا هى نفسها بباب البيت .

قال جاويل :

ـ ارايت ؟

ومد يده ليأخذ كأسه وتنهد . وبدا متعبا ، وربما ثملا ، وأردف :

ـ حسنا . ماذا تنوى أن تفعل الآن ؟

لم يجد كارتر ما يقول ، بل انه لم يفكر حتى فيما يجب أن يقول ، واضطجع جاويل فى مقعده ونظر الى كابرتر وقال :

ـ أوه ، أظن انك ستطلب منها ان تكف عن لقائه ، ولكنها لن تفعل ، فان ما بينهما أقوى من كل الزيجات .

عبس كابرتر وحدق فى جاويل وقال يحدث نفسه :

ـ لم تعد بها حاجة الى اذن . ثم صاح فجأة :

ـ ولكن لماذا لا يقولان لي ذلك .. ولماذا كل هذا اللف والدوران .

ـ فكر فى المزايا التى تعود عليهما . فان زوجتك تحتفظ باحترامها فى عيون أغلب الناس على الأقل .. فان لها زوجا وولدا ، والناس جميعا سيظنون انها رمز للفضيلة بطبيعة الحال ، ولاسيما انها انتظرت ست سنوات طويلة حتى يخرج زوجها من السجن . أما عن سوليفان فماذا يرجوه أكثر من ذلك . انه أعزب ويحتفظ بحريته وله عشيقة جميلة .

لم تحدث أى من هذه الكلمات أثرا فى كارتر على الفور ، فلم تكن تبعد عن الحقيقة ، وقد أحس بالارتياح تقريبا وهو يسمع جاويل ينطق بها . وسأله هذا الأخير وهو يبتسم ، وفى فضول لم يستطع اخفاءه :

ـ ماذا قالت لك عندما التقيت بها أمام مسكن سوليفان ؟

ابتسم كارتر هو الآخر وقال :

ـ قالت انها أتت لكي تعيد اليه كتابا ، وأنها ستمضي بعد ذلك الى حفلة العشاء .

ـ ضحك جاويل بصـوت مسموع . وضحك كارتر هو الآخـر :

ـ وماذا فعلت انت ؟

ـ انني ... انني تابعت طريقي .. ولم أصعد .

ـ لا تقل لي انها طلبت منك أن تصعد معها ؟

ـ بل هـذا ما حدث .

ضحكات اخرى . وملأ جاويل كأسيهما مرة أخرى وقال :

ـ انك اضعت فرصة طيبة الليلة .

ـ كيف ذلك ؟

ـ كان في مقدورك ان تقتحم المسكن بعد ساعة تقريبا ، وأن تفاجئهما متلبسين . لمـاذا لم تفعل ذلك ؟

خفض كارتر عينيهوقال :

ـ آه . اللعنة . لندع هذا الحديث .

وغيرا مجرى الحديث وتكلما في اشياء اخرى ، ومر بهما الوقت ، وتجاوزت الساعة الواحدة صباحا ، ووقف كارتر بمشقة ، وقال انه يجب ان يعود الى البيت .

ـ اوه ... لا ارى لمـاذا يجب ان تعود الآن ... هل تظن ان هازل قد عادت .

ضحك كارتر عندما سمع ذلك واستقل سيارة أجرة وعـاد

الى بيته . وعلق معطفه بكل ما أمكنه من هدوء وسكون فى الحمام ، ونضا عنه ثيابه وارتدى منامته ، وكانت معلقة بالباب ثم مضى الى الغرفة . واضاءت هازل النور وقالت فى صوت ناعس :

ـ اين كنت يا فيل ؟

اجاب كارتر :

ـ ذهبت لرؤية جاويل .

ـ جاويل .

ورفعت راسها من فوق الوسادة وقالت :

ـ لماذا ؟ .. هل ذهبت اليه بعد السينما .

كان تيمى لايزال مستيقظا اذن عند عودتها . وقال لها ان اباه دخل السينما معه . واجاب :

ـ اجل .

وادرك انه لم يغتسل فعاد الى الحمام ، ورجع بعد بضع دقائق ومعه بدلته ، وعلقها فى الدولاب .

ـ وأنت ؟ .. ماذا فعلت ؟ .. كيف انتهى العشاء ؟

نظرت اليه كما لو كانت تعتقد انه ثمل .. أو لعلها نظرة حذرة .. توشك الحقيقة على الظهور .

واشعلت سيجارة ، وأخذت منها نفسا وقالت والدخان ينتشر حولها :

ـ على أحسن ما يكون

ـ هل تريدين أن أصدق أنه كان هناك حفل عشاء حقا ؟ .. آه ، ... لنفرغ من ذلك يا هازل .

ــ حسنا . لنفرغ من الأمر اذن . اننى قضيت الأمسية مع سوليفان . وكانت صحبته أحسن من صحبتك لجاويل ، اذا أردت رأيى .

ــ انا قضيت الأمسية مع جاويل ، وليس فى الفراش معه .

ــ وانا لم اكن فى الفراش مع دافيد . استطيع ان اتصور نوع القصص التى رواها لك جاويل ، وليس بمستغرب أن تهاجمنى هكذا .

ــ انا اهاجمك ؟

واقترب من حافة الفراش وقال :

ــ لماذا كذبت على بخصوص حفل العشاء ؟ .. لماذا ازعجت نفسك بالكذب ؟

ــ لماذا ذهبت الى جاويل ؟

ــ ربما لكى اعرف الحقيقة بطريقة افضل .

اخذت سيجارتها من المنفضة ثم سحقتها . واهتز كتفاها وراحت تبكى ، واستولى الضيق على كارتر وقال :

ــ ما هذا يا هازل .. دموع ؟

هزت راسها وجلست فوق الفراش من جديد . وواجهته كما لو ان شيئا قد حدث . ولم يكن بعينيها اية دموع وقالت :

ــ اننى افتقد دافيد ، واحتاج اليه ، واظن اننى اعتدت على الحديث معه بعد ست سنوات .

قال كارتر :

ــ اننى واثق من هذا .

ـ من السهل أن أعيش معه .. اسهل من العيش معك فى الأيام الأخيرة .

ـ ماذا تعنين بقولك هذا بالتحديد ؟

ـ انك اخذت حقنة الليلة ، اليس كذلك ؟ .. مورفين .. اظن ان جاويل لديه كل ما يلزم .. كل ما يضر بالصحة .

ـ نعم . أخذت حقنة .

ـ أنت تبدو تماما كما كنت فى السجن .. هدوء متصنع . سكير صامت .

قـــال :

ـ يبدو أن طريقتك الليلة هى مهاجمتى .. واخفاء نشاطك الخاص . يمكنك أن تنعتى جاويل بكل النعوت ، ولكن يبدو انه يعرف عنك أكثر مما أعرف انا . أما عن التصنع فقد لقيت منه الكفاية من سوليفان . يمـكن لهذا الوغـد ان يوفر على نفســه ابتساماته ورقته .

ـ كتصنعه عندما حصل لك على وظيفة .. اغلق الباب يا فيل .

اســاءته اللهجــة التى نطقت بهــا كلماتهــا الأخيرة أكثر مما اساءته كل ما نطقت به حتى الآن . كانت سيدة نفسها ، متمالكة لأعصابها . تفكر فى تيمى طبعا وفى امكانيــة سماعه جزءا من حديثهما . واغلق الباب فى بطء وهو يفكر فى قدرة النســاء العجيبة .. هازل تشرف على البيت فى فريمونت ، وتهتم بمحل للشباب فى نفس الوقت .. هازل تتلقى دروســا وتحصــل على دبلوم .. هازل تسعد سوليفان وتسوسه ، وتسعده وتسوســه هو أيضا فى نفس الوقت . وقالت وهى تنظر اليه فى حدة :

ـ شــكرا .

احس فى تلك اللحظة بالذات انها تكرهه ، وانها ربما تكره الرجل الذى اصبحه منذ خروجه من السجن . لم تكن تكرهه قبل ذلك طبعا . احس انها محته من حياتها والفت وجوده . ولكن ذلك الاحســاس لم يدم أكثر من ثوان . ومر بيــده على جبينه وواجهها قائلا :

ـ لا أنكر ان السجن غيرنى . ولكننى لا اعتقد انه خلق منى مسخا . قد لا تحبيننى ولكن هــذه مسألة اخرى . اننى وثقت بك وعدا الأسبوعين اللذين حدثتنى عنهما كنت أظن انك مخلصة لى .

ـ كل هذا الكلام الجميل وانت محشو بالمورفين .

واشعلت سيجارة اخرى وعادت تقول :

ـ حسن جدا يا فيل . اعرف انك عانيت الكثير فى السجن ، ولهذا السبب لم اقل شيئا ، ولم اوجه اليك اى لوم . كنت أفهم انه لابد لك من شىء لكى تتغلب على كل تلك المعاناة ، وما كنت لألومك لو انك أصبحت مدمنا فى ذلك المكان البشع . أعنى لو أنك أصبحت لا تستطيع الاستغناء عن المخدر .

فتح كارتر عينيه وقال :

ـ انك تتكلمين كما لو اننى أصبحت مدمنا حقــا . بحق السماء يا هازل ، هذه هى المرة الأولى بل الثانية التى أتناول فيها المخدر منذ ان غادرت السجن .

ـ آه ، المرة الثانيــة ! اظن اننى أعرف الآن متى اخذت الحقنة الأولى .. يوم الخميس المــاضى ، عندما قلت انك خارج لتتمشى .

وحولت عينيها عنه لحظة ونظرت الى الصوان .

ـ انك تحسين بالهلع من المخدر ومن الناس الذين يتعاطونه. هل تجدين أن الخمر أحسن ؟ هذا لأنه تصادف ان القانون يقر تناول الخمر .

ـ لماذا لا يقر القانون اذن تناول المخدرات هي الأخرى ؟

ـ ربما لأن كثيرا من الناس يثرون عن طريقها .

ـ هل تعتبر ان تناول المخدرات عادة اجتماعية ، كتناول الخمور ؟

ـ حسنا ... كلا ، لا اعتبر ذلك .

ـ ان الحبوب التى تتناولها مملوءة بالمورفين ، وقد تحدثت عنها مع الدكتور ماكنسى ، وتيمى لاحظ ذلك هو الآخر . انك لا تستطيع حتى مشاركته اللعب كما كنت تفعل مع ان من السهل اللعب مع غلام فى الثانية عشرة عنه مع طفل فى السادسة من عمره.

ـ ليس بالضرورة . ثم ان تيمى لم يكن سهلا هو الآخر . وانت تعرفين ذلك ، منذ ان كنت فى السجن ، وانا لا ألومه ، فلابد له من وقت ، واعرف ما عاناه فى المدرسة بسببى .

ـ وهل تدرك مدى ما عانيت أنا الأخرى ؟ هل تظن أن هناك امرأة تفخر بأن زوجها قضى مدة عقوبة فى السجن ؟ .. هل تظن ان من السهل أن تقنع أم ابنها ببراءة أبيه ، وهو يعرف انه يقضى فترة عقوبة فى السجن ؟

ـ اننى ادرك كل ذلك يا حبيبتى . وماذا تريدين أن اقول لك أكثر من اننى آسف لأن هذه القصة البغيضة قد وقعت ، ولكنك تراوغين وتبتعدين عن الموضوع .

سكتت . عرفت ماذا يعنى . وسالها اخيرا :

ــ من تريدين ؟ ... انا ام سوليفان .

ــ اننى افتقد دافيد . لا يمكن ان اعيش من غير ان اراه ، وان اتحدث معه .

ــ وان تنامى معه ؟

لم ترد على ذلك السؤال فقال :

ــ هذا جزء من الموضوع ، اليس كذلك ؟

ــ كان ذلك فيما مضى .. وقد حاولت .. اعنى النوم معه لم يعد بالشىء المهم .

قــال كارتر :

ــ قد يكون ذلك بالنسبة لك .

ــ انك لا تستطيع ان تفهم . اظن ان الأمر بالنسبة لى هو ان اراه من وقت لآخر لمدة ساعة أو أقل ، عند الأصيل ، لا لشىء الا لكى أتجاذب الحديث معه .

ــ جاويل يعتقد ذلك ، وقــد التقط لك صــورا وانت تدخلين بيت سوليفان ، وهى صور حديثة .

ــ حسن جدا . الآن وقد عرفت اظن ان خطط جاويل لن تفلح .. ذلك اذا كانت لديه اية خطط .

ســالها :

ــ اذا كنت تعنين ان هذه هى حياتك فمعنى ذلك انك لن تتخلى عنه .. اليس كذلك ؟

ــ انك لا تفهم النســاء ، ولم تفهمنى انا بالذات .

سحق كارتر سيجارته وقال :

ـ انك تريدين نفسـك . استطيع ان افهم رغبتـك فى التحدث مع سوليفان ، واستطيع ان افهم الصـداقة ، ولكن لسوء الحظ إستطيع أن أفهم ميل المرأة الى اضافة ذرة من الملح الى الموضوع بأن ترقد مع صـديق اذا طلب منها ذلك ، واستطيع ان افهم بكل تأكيد ان يطلب سوليفان ذلك . وأى رجل لا يفعل ؟ ولكن هل يمكن ان تفهمى انك زوجتى او هـذا امر عسير على الفهم .

ـ حدث هذا وانت فى السجن ، واننى اتساءل هل كنت بريئا جدا فى السجن ؟ . . لم الق عليك اى سؤال بخصوص ذلك .

ابتسم كارتر وقال :

ـ ليس فى السجن رفـاق ، الا اذا رغب رجل فى رجل آخر ، وهذا شيء مألوف .

ـ انت وماكس مثلا ؟

ـ ماذا تعنين ؟

احس كارتر بالدم يتصاعد الى وجنتيه وقال :

ـ اننى احببته ، نعم ، ولكن ليس بالطريقة التى تعنين .

ـ الم تفكر فى ذلك حقا ؟

ضاقت عينا كارتر ، وكرههـا عندئذ ، فقد رآها حقيرة وبذيئة وفاجرة ، وقال :

ـ اننى لن أرد على هذا السؤال البغيض .

ـ قد يكون هذا بمثابة رد على كل حال . ومهما يكن فلعل ماكس مات قبل الأوان .

ــ كفي يا هازل .. انك تزيدين الأمور سوءا .

ــ اوه ، أنا التى ازيد الأمور سوءا ؟

ــ تريدين معاقبتي وتلومينني على افكارى ؟ مر ذلك بذهنى طبعا ، وربما فى ذهن ماكس ايضـــا . هل تريدين أن اقول لك بكل ابتذال ان مثل هــذا الأمر يحدث فى السجون طوال الوقت لأنه ليس هناك شيء آخر . كيف يمكنك مقارنة ماكس بسوليفان ؟ لقد كان ماكس خير صـــديق لى فى ذلك المكان البغيض . كنت أجد عزائى فى التفكير فيه عن التفــكير فيك إنت وســوليفان ، وعما تفعــلان . لم اجد بدا من أن امنحك ثقتى فى تلك الأيــام لافتقارى الى الدليل . واذا اردت الحق فاننى رحت أتعــاطى المخدر حتى لا افكر فيكما على الاطلاق ، وحتى لا اعرف بينى وبين نفسى انك تنامين معه طوال تلك السنين ، لأن التفكير فى ذلك كان يمكن أن يقضي على .

ــ تعاطيت المخدر اذن ؟

ذكرته حدة لهجتها بغيرتها من ماكس عندما حدثها عنه لأول مرة ، احست عندئذ بغريزتها كامرأة بمدى تلك الأهميــة . ولكن ماكس مات وهو لا يتذكر انه كانت له به أية علاقة بدنية ، فيما عدا ظهر ذلك اليوم عندما امسكه ماكس من كتفه ودفعه فوق فراشه . لم يقل لنفسه ابدا « اننى احب ماكس » . ومع ذلك فقد مرت به فترة تعلق فيها به تعلقه بهازل ، لا لشيء الا لأنه كان موجودا معه . كان ذلك امرا بسيطا ومعقدا فى نفس الوقت . وقطب حاجبيه وحدق فى هازل فسألته :

ــ فيم تفكر .

بدا وجهها الجميل خاليا من كل تعبير ، كحقل جاف ينتظر مطر الأفكار .

ـ انني أفكر في كل الكلمات التي نطقت بها الليلة .. كل ما قلت .. بكل تلك المرارة .. انما هو جزء من كفاحك من أجل الاحتفاظ بدافيد .. انك لن تهجريه : أليس كذلك ؟

غرزت راسها في وسـادتها أكثر ، كما لو كانت لا تشـعر بالارتياح وقالت :

ـ لا أدري .

تقدم منها خطوة وهو يقول :

ـ أود لو تكوني صريحة .. قولي نعم أو لا .

ـ لا أستطيع .

واطبقت عينيها .

ـ انني اريدك يا هازل .. أريد أن تعودي الى .

ـ لا أستطيع التحدث في هـذا الأمر الليلة .

أحس بالحيرة وقال :

ـ استقبلني سوليفان في بيته لكي يقول لي هو الآخر أن الأمر لم يستمر بينكما غير أسبوعين واربعـة أيام . انه حفظ الدرس جيدا ، بل انه لم يجد الجراة لكي يذكر لي الحقيقة . اتحبين اذن الرجال الذين يفتقرون الى الشجاعة والجراة ؟

ـ نعم . انني أعرف أنه ضعيف .

ـ بل هو جبـان . لايزال الأمر مستمرا بينكما ، أليس كذلك ؟

قالت وهى تطبق عينيها ، مقطبة الجبين :

ـ ليس حقا .. ليس حقا .. دعنى انام .

عزف كارتر عن المضى فى استجوابه تلك الليلة ، ورأى فى مرح وفى غير اكتراث انه لا يدمن المخـدرات وانما يدمن هازل ، وادرك انه لم يوجه اليها اى انذار .. مثلا .. لابد ان تهجريه والا فسوف افعل كذا . وادرك ان هازل ليست بحاجـة الى انذار . وابتعد عن الدولاب الذى علق فيه منامته ونظر اليها . كانت قد اولت وجهها نحو حافة الفراش وعيناها مطبقتان .

قال جريج فى التليفون :

ــ آلو فيل .. كيف الحال ؟

القى كارتر نظرة حوله ، فى غرفة المعيشة ، رغم انه كان يعرف ان تيمى فى غرفته وان الباب مغلق بالطبع : على ما يرام .

ــ خطر لى انك ربما تبادلت حديثا مع زوجتك فى تلك الليلة .

قال كارتر وهو يأخذ نفسا من سيجارته :

ــ كلا .

ــ أوه ، هيا يا فيل .. يمكنك أن تصارحنى .. هل معك احد ؟ .. ربما الطفل ؟

عاد كارتر يقول :

ــ كلا .

قال جاويل :

ــ انني أعرف ان هازل غير موجودة .

كانت هازل قد تأخرت شيئا ما الليلة ، ولكنها قد تعود ما بين لحظة واخرى ، والظاهر أن هناك ، فى هذه اللحظة ، من يراقب البيت ، فهو نفسه قد عاد لتوه ، وقال يسأل :

ــ ماذا تريد يا جريج ؟

ــ هل ستستمر زوجتك فى رؤية ذلك الرجل ؟ .. هل وعدتك بشىء ؟

ود كارتر لو يعيد السماعة مكانها ، ولكنه اكتفى بأن شدد الضغط عليها بيده اليسرى وهو فريسة لغضب صامت . وعاد جريج يقول :

ــ لا أعرف لماذا لا تريد أن تصارحنى يا فيل .

ــ لأنه ليس لدى ما أقول حقا .

وأعاد السماعة مكانها ومضى الى المطبخ ، وصب لنفسه كأسا من الويسكى جرعه مرة واحدة . لم تتقدم الأمور قيد أنملة منذ ان تحدث مع هازل مساء يوم الثلاثاء ، واليوم الخميس ، كان بينه وبين هازل جو عدائى صامت ، وتساءل اذا كان تيمى قد لحظ ذلك وقال :

ــ نعم ، مع كل الاحتمالات . والواقع انه كان ينتظر أن تقول هازل شيئا ، ولكنها لزمت الصمت ، وقد يمر أسبوع أو أقل من أسبوع وتقول له ان فيليس ميلن أو اى صديقة اخرى دعتها لتناول العشاء معها ، أو انها قد تتأخر فى المكتب الى وقت متأخر من الليل لكى تقضى السهرة مع سوليفان ، ولعلها معه الآن . افلم تقل له انها سوف تستمر فى رؤيته والنوم معه . لو أن لها اية رغبة صادقة فى قطع صلتها به لصارحته بذلك الآن ، ولكنها تتصور أنه يحبها بحيث لا يتخلى عنها ، وقد وقفت الأمور عند هذا الحد .

احس كارتر مرة اخرى بانه يجب أن يقدم على ما سبق ان فكر فيه قبل حديث مساء الثلاثاء .. سيمضى الى سوليفان

لكي يتحدث معه ويطلب منه ان يكف عن لقاءِ زوجته والا ... الا ماذا ؟ ان القانون لا يتكفل بحماية حقوق الزوجية أو اقامة حارس على هازل . ابتسم ازاء هذه الفكرة .. كل ما يستطيعه هو أن يطلب الطلاق . ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عن هازل .. ان الدنيا عجيبة حقا .

اقبلت هازل ، ونظرت الى الكاس التى فى يده وقالت :

ـ مساء الخير .

ـ مساء الخير .. هل اقدم لك كأسا ؟

ـ شكرا .. اننى تناولت كأسا .. جاء مستربيرز واصر على أن اخرج معه لتناول كأس من الشراب ، واعطانى مرة اخرى ملفا من ستين صفحة لدراسته .

والقت على المنضدة ملفا ، ثم اعتدلت وتمطت وهى تبتسم :

ـ معذرة .. اننى مرهقة . الا يمكن أن نمضى لتناول العشاء فى المطعم الصينى ؟ ان تيمى يحبه جدا ، ولا أجد من نفسى الشجاعة للوقوف فى المطبخ لطهو أى شىء بعد العمل الشاق الذى قمت به الليلة .

ـ انا موافق طبعا .

واسرع لابلاغ تيمى بالنبأ السعيد . سوف يتناولون العشاء فى المطعم الصينى . ومهما حدث فقد احس بانه فى تلك الليلة احسن حالا من الليلتين الماضيتين لأنه اتخذ قرارا ، ورغم سذاجة ذلك القرار فسوف يطلب من سوليفان ان يكف عن النوم مع زوجته ، وسوف يرد سوليفان عليه بشىء ما .. اما ان يعده بذلك او أن يقدم له نصف وعد ، وسيقول له عندئذ ان يذهب الى الشيطان . وتساءل اذا لم يكن من الأوفق أن يتصل به

تليفونيا ، ولكنه رأى أن لا يفعل ، فقد يتهرب منه بحجة ما أو أن يؤجل اللقاء الى ما بعد ، وكان واثقا كل الثقة بأن هازل قد نقلت اليه ما دار بينهما من حديث يوم الثلاثاء .

وفى يوم الجمعة استقل الأوتوبيس بعد مغادرته المكتب ، ومضى راسا الى بيت سوليفان . كان الرذاذ يتساقط ، ورائحة حلوة للربيع تعطر الجو . ودق الجرس الخاص بشقة سوليفان . ونظر الى ساعته .. السادسة الا سبع عشرة دقيقة . لعله جاء مبكرا ، أو لعل هازل معه الآن . وابتسم مقطبا ازاء هذه الفكرة . وانفتح باب البيت ، فارتقى السلم بدلا من الصعود فى المصعد البطىء ، وبلغ الطابق الثانى حيث يقيم سوليفان عندما دفعه رجل وهبط السلم ركضا ، وكانت الصدمة من العنف بحيث تسببت فى غضب كارتر . ولم يعتذر الرجل وانما استمر يجرى حتى بلغ أسفل السلم ، وطرفا جاكتته يتطايران مع الهواء . وانصفق باب البيت فى عنف .

وقال سوليفان وهو يلهث :

ـ أوه ، فيل ... فيل ...

كان واقفا بالباب والهلع فى عينيه . وعبس كارتر وسأله :

ـ ما الذى حدث ؟

أجاب سوليفان وهو يفك عقدة رباط عنقه ويفتح ياقته :

ـ أدخل ، يا الهى ! ... انك انقذت حياتى ... تعال وتناول شرابا .

ومضى نحو ركن غرفة المعيشة حيث البار المتحرك .

أغلق كارتر الباب خلفه وقال :

ـ أنقذت حياتك ؟ .. وكيف ذلك ؟

أجاب سوليفان وهو يرفع كأسا من الويسكى الى شفتيه :

ـ معذرة .. هل رأيت ذلك الرجل الذى هبط الدرج مسرعا ؟

ـ اجـــل .

ـ انه احد أصدقاء جاويل . طرق الباب ولم اعرف من هو ، وتركته يدخل ، فقد قال لى انه قادم ليحدثنى عن وثيقة التأمين .

ومر بلسانه على شفتيه المتقعتين . كان يبدو كمــا لو أنه تفرغ من دمه واستطرد : وشهر خنجرا واندفع نحوى وشــدنى من قميصى .

ورأى كارتر زرارا يتدلى من ســترة ســوليفان ، وصــدر قميصه مجعدا .

ـ ولو انك لم تدق الجرس لقضى على .

كان سوليفان يبدو فى حالة يرثى لها . وقال كارتر لنفســه فجــأة :

أهذا هو الخنزير الذى ينام مع زوجتى . وتقدم نحوه ، ولم يدر هذا الأخير ما ينوى كارتر ان يفعل الا عندما انقض عليــه وضربه على عنقه بظهر يده . وترنح سوليفان ، وعندئذ فقد كارتر كل ادراك ، كما سبق أن حدث له فى السجن فى ثورته عندما رأى ماكس ميتا ، رغم انه لم يفكر فى ماكس فى تلك اللحظة او فى اى شىء آخر . وكان لابد من ان يقع سوليفان ويتكوم حول نفسه وهو يشد بيديه على بطنه كما لو كان يشعر بألم شــديد ثم يتوقف عن الحركة لكى يراه كارتر على حقيقته ويتوقف هو الآخر . وبقى

هادئا بضع لحظات ريثما استرد أنفاسه ثم بصق على وجه سوليفان ، وركله بقدمه ، ولكنه أخطأه .

سار كارتر حتى الباب ، والتفت . لم يكن هناك أى شك فى ان سوليفان مات . ورأى فوق المقعد المستطيل ، بجوار سوليفان احدى الأقدام الرخامية اليونانية . لحظها فحسب لأنها لم تكن فى مكانها الحق ، ثم أغلق الباب وهبط السلم . هبطه بسرعة عادية وبهدوء تام . وتساءل من يكون رجل جاويل .. هل هو نفس الرجل المتين البنية الذى رآه مع الشقراء .

وفى الشارع ، أحس بشيء من التوعك كما لو انه يوشك على الاغماء فتوقف وتنفس فى عمق بضع مرات وهو يقول لنفسه :

ـ لا تفكر لا تفكر فيما فعلت . وتجمد كل شيء فى ذهنه ، ولم يفكر فى اية خطة . ورفع راسه ، وسار حتى آخر الشارع ثم تحول الى اليمين ، ولم يكن بعيدا جدا عن بيته ، وأحس برغبته فى السير ، وتوقف فى بار وتناول كأسا من الويسكى ممزوجا بالماء .

قالت هازل فى مرح عندما راته يدخل :

ـ هالو فيل ، هل تعرف ما حدث اليوم ؟ .. شيء لا يصدق .

قال وهو يلقى بالجريدة التى اشتراها فوق المقعد :

ـ ماذا ؟

ـ حصلت على علاوة .

ـ أوه ... اننى اهنئك .

نظرت اليه وهى لاتزال تبتسم وقالت :

وقد اشتريت بعض الحمام احتفالا بهذه المناسـبة . هل تستطيع ان تأكل واحدة ؟

ـ أظن ذلك ، وهل تستطيعين تناول كأس من الشراب ؟

ـ طبعـــا .

وسار كل شيء فى هدوء ومرح حتى قبيل الساعة التاسـعة عندما دق جرس التليفون ، وقال صوت رجل :

ـ هل مسز كارتر موجودة ؟

اجاب كارتر :

ـ نعم .. لحظة واحدة .. المكالمـة يا هازل .

اقبلت هازل من المطبخ حيث كانت تعيد ترتيب الأطباق ، وتناولت السماعة ، واشعل كارتر سيجارة وهو يعرف ما سوف يحدث . وصاحت هازل :

ـ رباه ! ... كلا ، كلا ... طبعا لا ... لم اره .

ونظرت الى كارتر فقابل نظرتهـا ببرود ، وعادت تقول فى التليفون :

ـ اظن انني رايته منذ ثلاثة او اربعة ايام ، ولكنني تحدثت اليه صباح اليوم .. أوه ...

وجلست على حافة المقعد :

ـ حسنا ... حسنا ... بالطبع ، اشكرك .

والقت سماعة التليفون مكانها وهي ترتعش وسألها كارتر :

ـ ما الخبر ؟

وكان تيمي جالسا فوق الأرض ، فنهض تاركا كتبه وقال هو الآخر :

ــ ما الخبر يا أماه ؟

ــ دافيد قتل .

صاح تيمي :

ــ قتل .. أفي حادث سيارة ؟

قالت فى صوت مضطرب :

ــ بل اغتيل .. هو جاويل بالتأكيد .. جاويل أو احد اعوانه .. هذا الوغد الحقير .

وضربت ذراع مقعدها بقبضة يدها .

اتاها كارتر بكاس من الويسكى القراح فأخذته منه بحركة آلية ولكنها لم تشرب وقالت :

ــ يقولون ان ذلك حدث منذ بضع ساعات تقريبا . كان قد دعا آل لافرتى لتناول العشاء معه . وقد ذهبوا تلبية لتلك الدعوة ودخلوا البيت ولكن أحد الجيران قال لهم انه سمع ضجة غريبة فى نحو الساعة السادسة .. كسقوط جسم ثقيل .. واستدعي مستر لافرتى البواب الذى فتح لهم الباب ووجدوه .

واحتبس صوتها لفرط الدموع . وسألها كارتر :

ــ وكيف قتل ؟

ــ ضربه القاتل على راسه بشيء .. والمعتقد انه قطعة من الرخام اليونانى .

تنحنح كارتر . كان يقف بين هازل والمطبخ . وقال :

ـ هل طلبوا منك الحضور ؟

ـ كلا . قالوا انهم قد يتصلون بى غدا . قال لهم آل لافرتي أن يتصلوا بى ، واظنهم يتصلون الآن بكل اصدقائه . ولكننى لا ارى فيم يقدمهم هذا فى حين انهم يجب أن يتصلوا بجاويل .

وامسكت سماعة التليفون وبدات تدير القرص عندما سألها كارتر :

ـ هل البوليس لدى سوليفان ؟

فكر فى بصمات الأصابع فجاة .. على القدم الرخامية وعلى اكرة الباب بالتاكيد ، ولم تجبه هازل :

ـ آلو .. هنا مسز كارتر .. اردت أن اقول لكم .. اتفق لى أن أعرف أن لدافيد عدوا .. جريجورى جاويل ، ويقيم بلونج إيسلاند .. لا أعرف العنوان بالضبط .. انتظر لحظة .. فيل .. ما هو عنوان جاويل ؟

تظاهر كارتر لحظة بأنه يفكر فى حين انه كان يعرف العنوان جيدا ، وقال اخيرا :

ـ رقم ١٧ بالشارع السابع والأربعين بماكسون هيتس .

واعادت هازل سماعة التليفون فى هدوء .

توجيههم الى جاويل كان توجيها مباشرا اليه هو بالذات . كان يعرف ذلك جيدا ، فان الرجل الذى اندفع يهبط السلم ركضا قد رآه دون شك . ولكنه أدرك انه هو نفسه من يستطيع التدليل على شخصية ذلك الرجل اذا طلب منه البوليس ذلك . انه عاد متاخرا بعض الشيء الليلة فكيف يفسر لهم ذلك . عاد فى السادسة والدقيقة العاشرة بدلا من السادسة ، ومهما يكن ،

وما لم تجعل البصمات الأمر صعبا بالنسبة له فانه سيقول لهم انه لم يذهب الى مسكن سوليفان . وقالت هازل فى التليفون انه لأمر معقد طبعا .. كان دافيد يعلم دائما ان جاويل رجل شرير ، وانه يكرهه (وسكتت لكى تصغى ثم) حسن جدا .. ولكن معذرة ، هل أستطيع الاتصال بكم الليلة .. فيما بعد .. هل سيكون هناك أحد ؟ .. أوه ، حسن جدا . اشكرك . الى اللقاء (وأعادت السماعة مكانها) انهم ماضون راسا الى جاويل دون أن يتصلوا به تليفونيا .

ـ متى حدث هذا ؟

ـ انهم يعتقدون فيما بين الخامسة والسادسة . قلت لهم ان دافيد لا يعود الى بيته طبعا قبل الخامسة والنصف ، ويبدو أن هناك من تبعه حتى بيته .. لا أظنه جاويل بنفسه .. وانت ؟

ونظرت الى كارتر نظرة خطيرة كما لو ان فى استطاعته ان يرد . وحدث كارتر نفسه فقال :

ـ ان الحزن يعصف بها رغم الكلمات المعقولة التى تنطق بها ، وانها ما كانت لتشعر بنفس هذا الشعور لو أن شيئا قد حدث له هو بالذات ، وهز راسه واسرع يقول :

ـ أعتقد انه قد يكون جاويل .. سوف تكشف البصمات ذلك .

وكان تيمى يقف فاغرا فاه وهو ينظر الى هازل . وقال كارتر لنفسه :

ـ انه يبدو كما لو أن أباه هو الذى قتل . وقالت هازل :

ـ لا يبدو عليك اى اضطراب .

فتح ذراعيه وقال :

ـ اضطراب ؟ .. ماذا تريدين أن افعل ؟ .. اننى مضطرب طبعا .. هل سيعاودون الاتصال بك الليلة ؟

ـ لا ادرى .. لا اظن ذلك .. (ونظرت الى ساعتها) سأتصل بآل لافرتى فيما بعد .. اننى ...

ونهضت فى بطء ورفعت يدها الى عنقها ، واقترب كارتر منها وقال :

ـ هاز .. هل انت بخير ؟

ـ اشعر بالغثيان تقريبا . اظن اننى سأمضي واستلقى فوق الفراش .. ولكن اذا رن التليفون ...

أومأ كارتر برأسه وقال :

ـ ما رأيك فى تناول شراب ؟

ـ كلا . شكرا .

كان واثقا أن التليفون سيرن الليلة .. ووضع يده على كتف تيمى ، وكان واقفا يحدق فى المقعد الذى تركته هازل لتوها .

ـ تيمى .. ما رأيك فى الذهاب الى الفراش انت ايضا ؟

تنفس تيمى بصعوبة ، ثم انفجر باكيا . وضرب برأسه مسند المقعد ثم نهض فجأة وقال :

ـ ادر الراديو .. لعلهم اكتشفوا القاتل .. والتليفزيون .

ادار كارتر مفتاح التليفزيون ، ولكنه كان يعرف انهم لن يذكروا شيئا عن الجريمة فى نشرة اخبار الساعة العاشرة .

- ٢٢ -

رن جرس التليفون فى الساعة العاشرة والنصف ، وسمع كارتر صوتا يقول : مفتش البوليس أوستريخر يتكلم .. أهـذا انت يا مستر كارتر ؟

- نعـــم .

قال المفتش فى صوت هادىء :

- نود ان نتحدث معك انت وزوجتك بضع دقائق الليلة ، اذا لم يكن فى ذلك ازعاج لكما .

- حسنا . ليس هناك اى ازعاج طبعا .

- سنصل بعد نحو عشر دقائق .

كانت هازل واقفة بعتبة الباب ، بقميص النوم ، فقال :

- البوليس .. هم قادمون .

- هل قالوا شيئا آخر .

وصلا قبل مضى الدقائق العشر .. المفتش اوستريخر ، وهو شاب متين البنية ، أزرق العينين على مشارف الثلاثين من عمره ، يرافقه شرطى ، هو الآخر ، أسمر اللون . ودخلت هازل غرفة المعيشة مرتدية منامتها الزرقاء وجلست على الأريـكة .

وجلس رجلا البوليس بدورهما بعد ان خلعا معطفيهما . وأخرج كل منهما دفترا صغيرا وقلما من الحبر الجاف .

بدأ المفتش بسؤال كارتر عن اسمه وسنه ومهنته وعنوان عمله ، ثم القى نفس الأسئلة على هازل ، وقال فى صوت هادىء :

ـ اين كنت اليوم يا مستر كارتر ، فيما بين الخامسة والسابعة ؟

أجاب كارتر :

ـ كنت فى مكتبى ثم عدت الى البيت ووصلت هنا فى نحو السادسة .

ـ هل يمكنك أن تذكر لنا حركاتك بالتحديد .. قلت لنا ان مكتبك يقع على ناصيتى الشارع الثانى والشارع السابع والثلاثين .

ـ نعم . وركبت الأوتوبيس فى الشارع الثانى .

ـ فى اية ساعة ؟

ـ فى نحو الخامسة والنصف على ما اعتقد (كان يعرف انه غادر المكتب قبل ذلك بدقائق) وكان الأوتوبيس مزدحما ، واضطررت ان انتظره بضع دقائق . ثم هبطت قبل محطتى ، فى الشارع الرابع والثلاثين ، وواصلت طريقى سيرا على الأقدام . واشتريت جريدة .

ـ لماذا هبطت قبل محطتك ؟

ـ كان الأوتوبيس مزدحما جدا وفضلت السير على قدمى .

ـ هل كنت بالبيت عندما عاد يا مسز كارتر ؟

ـ نعم .

راى كارتر انه كان يمكنها ان تقول انه عاد بعد السادسة بقليل ، اذا كانت قد لاحظت ذلك . ولكن لعلها لم تلحظ .

ـ متى رأيت مستر سوليفان لآخر مرة يا مستر كارتر ؟

تحول كارتر آليا نحو هازل وقال :

ـ الم يكن ذلك عندما إقبل لتناول العشاء هنا ؟

اجابت هازل :

ـ نعم . منذ عشرة أيام .

اما هازل فقد رأته بعد ذلك . وحدث كارتر نفسه فقال انهما سيطرقان الموضوع المهم بعد لحظات . ودعك راحتيه فى ركبتيه فى عصبية كاشفا عن ابهاميه المحمرين .

ـ وأنت يا مسز كارتر .

ـ رايته يوم الثلاثاء .

سألها أوستريخر .. يوم الثلاثاء .. ليلا ؟

ـ نعم .

ـ هل من عادتك رؤية مستر سوليفان بعيدا عن وجود زوجك يا مسز كارتر ؟

اسندت هازل راسها على مسند مقعدها وقالت :

ـ انني واثقة انني اعرف ماذا قال جاويل لكما ولهذا لا حاجة بك الى اللف والدوران حول هذا الموضوع .

ـ وهل هذا صحيح يا مسز كارتر ؟

ـ بعضه صحيح .

ـ هل كنتما عشيقين ؟

ـ نعم . كنا عشيقين .

ـ بموافقة زوجك ؟

نظر اوستريخر الى كارتر ، ولم تتغير ملامح كارتر ، أو اعتقد ذلك على الأقل ، وحدق فى مكان ما نحو الضوان .

ـ ليس بموافقة زوجي تماما .. كلا .

ـ وتحدثت انت وزوجك فى ذلك مساء الثلاثاء .

ـ نعم ، فى وقت متأخر من مساء الثلاثاء .. بعد ان عدت .

نظرة جديدة الى كارتر :

ـ وهل نطق زوجك بتهديدات نحو مستر سوليفان فى تلك الليلة او فى أى وقت آخر ؟

اجابت هازل :

ـ كلا .

تحول أوستريخر الى كارتر وقال :

ـ وانت ؟ ماذا كان موقفك بصراحة من مستر سوليفان ؟ .. ماذا كانت مشاعرك نحوه ؟

فتح كارتر ذراعيه وقال :

ـ انا ؟ ... وتجمدت الكلمات فى حلقه فجأة .. كنت اعرف انه كانت بينهما علاقة وجيزة منذ بضع سنوات ، ولكننى عرفت هذا الاسبوع ان تلك العلاقة مازالت مستمرة بينهما (كان امرا فظيعا وبغيضا ، ولكنه كان متأكدا أن جاويل تكلم وانه ذكر

التواريخ وعدد المرات التى زاره فيها وسمع التسجيلات) لم أجد الوقت الكافى للتفكير فى مشاعرى نحوه .

ـ الم تحاول أن تراه وأن تحدثه منذ مساء الثلاثاء .. حدثنى جاويل عن يوم الثلاثاء .

ـ كــلا .

ـ وهل كنت ذلك ؟

نظر كارتر اليه وقال :

ـ الحق اننى لم افرغ من هذا الموضوع مع زوجتى .. لم اعرف ماذا تنوى أن تفعل .

ـ يؤسفنى ان القى عليك أسئلة خصوصية كهذه ، ولكن اى نوع من الحديث دار بينكما يوم الثلاثاء ؟

نظر أوستريخر اليهما ، الواحد بعد الآخر ، وفجـأة راى كارتر تيمى واقفا بالبيجاما بعتبة الباب ، فنهض ومضى اليه وقال :

ـ عد الى غرفتك يا تيمى .. امض .. سنذكر لك ما حدث غدا صباحا .

ساله تيمى :

ـ هل يعرفون من قتل مستر سوليفان ؟

ـ لم نعرف شيئا حتى الآن .. ساراك فيما بعد .

واخذ ابنه من كتفه ، ومضى به ، رغما عنه ، الى غرفته ، واغلق الباب . وساله أوستريخر عندما عاد :

ـ وماذا كانت نتيجة حديثكما يا مستر كارتر ؟

أجاب كارتر وهو يلقى نظرة الى هازل :

ـ اوه ، اعترفت زوجتى بان العلاقـة مازالت مسـتمرة تقريبـا .

ـ هل طلبت منها ان تقطع هذه العلاقة ؟

ـ ليس تماما .

وقالت هازل :

ـ سالنى ماذا انوى ان افعل واجبته باننى لا ادرى . وهذه هى الحقيقة .

سالها اوستريخر :

ـ هل كنت تحبين مستر سوليفان يا مسز كارتر ؟

ـ اعتقد ذلك .. نعم .

ـ وقلت ذلك لزوجك ؟

ـ تقريبـا .

ـ هل كنت تنوين فسخ زواجكما ؟

هزت راسها واجابت :

ـ ان لنا ولدا كما تعرف .

ـ نعم . اعرف ذلك . لم يكن الموقف اذن قد تقرر .

ـ اعتقد ذلك .

تحول اوستريخر نحو كارتر فى انتظار رده ، فقال :

ـ نعـم .

قلب اوستريخر صفحة من دفتره وتلاها بصفحات اخرى وهو يقرأ الملاحظات ثم قال فجأة :

ـ ساضطر الى اخذ بصماتك يا مستر كارتر .

اخرج الشرطى الشاب الأدوات اللازمة من حقيبته .

ادرك كارتر أن معنى قوله هـذا انهم عثروا على بصمات واضحة فى مسكن سوليفان ، وانهم يريدون مضاهاتها ببصماته . وقال أوستريخر وهو يضغط بأطراف اصابعه على الورقة :

ـ قال جاويل انك جرحت فى ابهاميك اثنـاء اقامتك فى السـجن .

ـ نعـم .

آلمـه ابهاماه بشدة ، وكان قد اخذ قرصين من البانانود قبل العشاء ، واشفق مما سيفعله أوستريخر به . وقال هـذا الأخير :

ـ سأدعك تضغط على ابهاميك بنفسك ، ذلك اذا استطعت الضغط بما فيه الكفاية .

ضغط كارتر اصابعه على الورقة بكل ما استطاع من قوة حتى لا يضطر الى اعادة الكرة ، وقال أوستريخر :

ـ اننا عثرنا على بصمة فى مسكن سوليفان ، ولكنها ليست من الوضوح بما يكفى لسوء الحظ . عثرنا عليها على القدم الرخامية التى نعتقد انها استخدمت فى قتله ، وسطح الرخام خشن جدا ، ولكننا رفعنا البصمة على كل حال . وكانت مقابض الأبواب ملوثة جدا بحيث لايمكن أن تفيدنا . وبصمة الأصبع التى عثرنا عليهـا يحتمل أن تكون بصمة الأصبع الوسطى .

وقال وهو يشير الى بصمة بجوار البصمات التي طبعها كارتر :

ــ ها هي .

لم ينطق كارتر بشيء . كان يعرف أنه ضرب سوليفان على جانب من عنقه ، الضربة الأولى ، والظاهر انه لم يكن هناك اى اثر لكدمة واضحة او انها لم تستلفت النظر .

وعاد أوستريخر الى جاويل :

ــ منذ متى يعرفه كارتر ، وما رايه فيه ، وهل يظن انه اشترك فى عملية الاختلاس التى تسببت فى سجنه . ولماذا ذهب لرؤيته يوم الثلاثاء .

قال له كارتر ان جاويل اتهم زوجته بأنها على علاقة بسوليفان ، وانه أراد أن يتأكد اذا كان لديه أى دليل على ذلك .

ــ وهل كان لديه دليل ؟

ــ أوه ، بعض الشيء . ليس كما كان يزعم ، ولا ريب انك لاحظت انه مخبول .

ــ مخبول ؟ ... ماذا تعنى ؟

ــ انه مصاب بداء الهذيان والتشكك . كان يكره سوليفان ويضخم الضرر الذى تسبب له فيه ، كما حاول ان يضخم العلاقة التي بين سوليفان وزوجتي . (وأحس وهو يتكلم باحساس غريب يعتريه ، وقال لنفسه انه يجب أن يتوخى الحذر . كيف يمكنه تضخيم علاقة .. وهل لها وجود ام لا ؟ ..) أعنى أن جاويل حاول أن يدفعنى الى قتل سوليفان ، وكان هذا من الوضوح بحيث استغربت الأمر واجبته بأننى لن أقدم على ذلك وان (عليك أنت ان تفعل ذلك لأنك تكرهه أكثر مني) .

أصغى أوستريخر اليه فى اهتمام .. اهتمام شديد بحيث أنه سها عليه أن يدون ملاحظاته ، ولكن الشرطي الشاب اهتم بذلك .

ـ قلت له انك لن تقدم على قتله .

ـ شيء من هذا القبيل . نعم ، انا واثق أن جاويل لم يذكر لك ذلك .. اننى متأكد انه يحاول الصاق هذه التهمة بى .

ابتسم أوستريخر ابتسامة خفيفة وقال :

ـ نعم ، انه حاول ذلك . ولكن انت الآخر تحاول الصاق التهمة به .

نظر كارتر الى هازل . كان وجهها متوترا . ولكن راسها كانت لاتزال مرتكزة على مسند المقعد . وعاد أوستريخر يقول :

ـ هل قلت لجاويل انك .. انك ، طبقا لأقوال جاويل ، هددت بان تقتل مستر سوليفان .. هل قلت له يوم الثلاثاء الماضي انك سوف تقدم على ذلك ؟

اخذ كارتر نفسا عميقا وقال :

ـ هذا كذب . أنا متأكد تماما أن جاويل قال لك هذا .. متأكد تماما انه يريدك أن تقتنع بذلك .

ونظر الى هازل ، واستطرد :

ـ سل زوجتى . هل كنت أبدو غاضبا مساء الثلاثاء أو اذا كنت قد نطقت بأى تهديد .

ووقف واتجه الى المطبخ وهو يقول :

ـ معذرة . سأشرب كوبا من الماء . أيريد أحدكم أن يشرب ؟

لم يرد عليه أحد . وقالت هازل :

ــ لم يتفوه زوجى بأى تهديد .

سمعها كارتر تقول ذلك بكل وضــوح وهو فى المطبخ ، وعندما عاد سأله اوستريخر :

ــ هل سجنت فى الجنوب قبل هذه القصة .

اجاب كارتر :

ــ كــلا .

ــ قال لنا جاويل انك قضيت هناك ست سنوات .

ــ هذا صحيح . ست سنوات .

نظر أوستريخر الى الشرطى وقال :

ــ حسنا . سوف نرى بماذا ستخبرنا بصماتك .

هز الشرطى راسه وقال :

ــ سوف اهتم بذلك يا سيدى .

نهضت هازل وقالت :

ــ هل ستتصل بنا غدا ؟ .. أو نتصل بك نحن ؟

أومأ أوستريخر براسه وقال :

ــ سوف نتصل بكما بكل تأكيد .

وسألته هازل :

ــ وهل ستتحرى عن اصدقاء جاويل ؟

ــ انه تناول الطعام مع صديقين ، وبقى معهما من السادسة

حتى العاشرة . وقد استجوبتهما ، كما استجوبت صاحب المطعم، ولكننا سنستجوبهم ثانية طبعا .

قالت هازل وهي تبتسم ابتسامة مريرة :

ـ لا اعتقد أن جاويل فعلها . ولكن له أصدقاء كثيرون ، وجميعهم من أصدقاء السوء .

اجاب اوستريخر :

ـ نعم . انني أفهم ما تعنين .

مضى هو والشرطي الشاب نحو الباب ، وفتحه كارتر لهما ، وخرجـا .

توقفت هازل وهي في طريقها الى غرفة النوم ، ونظرت الى كارتر وقالت :

ـ سوف نعرف الحقيقة من البصمات غدا ، الا تظن ذلك ؟

أومأ كارتر وقال :

ـ ذلك اذا كانت واضحة بما فيه الكفاية .

وافرغ المنفضة وغسل الكوب ووضعه في الدولاب . هـل اتصل القاتل الأخير بجاويل واخبره الليلة أم لا ؟ .. كل شيء متوقف على هـذه النقطة . ولكن من المؤكد أن جاويل أكد عليه إن لا يتصل به تليفونيا . والواقع ان كل شيء مرتبط بالمـال ، فاذا كان القاتل لم يتقاض اجره بعد ففي امكانه أن يزعم لجاويل انه هو الذي قتل سوليفان عندما يظهر نبأ الجريمة في الجرائد صباح الغد . اما اذ كان قد تقاضى اجره مسبقا (ربما خمسة آلاف دولار وربما عشرة) واهتدى البوليس اليه بعد ذلك فسوف يذكر الحقيقة ويقول انه لم يرتكب الجريمـة ، وانه رأى كارتر يدخل الشقة . وقال كارتر لنفســه عندئذ ان أمامه مهلة .. وفرصة ضئيلة للنجاة .

- ٢٣ -

قالت هازل فى عصبية :

ـ ما أحمقنا اذ لم نطلب من البوليس فى أى رقم يمكن الاتصال بهم !

لم تكن هناك مربى على المائدة ، ونهض كارتر يأتى ببعض منها . كان كل منهما قد ترك جزءا من بيضته المخفوقة ، واستطاع تيمى وحده أن يلتهم ببطء وهدوء افطاره العادى المكون من البقول والبيض والخبز المقدد واللبن المعطر بلمسة من البن ، وكان قد سألهما كثيرا عندما صحا من النوم ، ولم ترضه اجاباتهما .

كان لابد من تسوق لوازمهما يوم السبت كما هى العادة ، وعرض كارتر ان يقوم بذلك لأنه رأى أن هازل تريد البقاء بجوار التليفون ، وقال لنفسه انها لن تشعر بالراحة طالما لم تعرف من الذى قتل سوليفان ، وطالما بقى القاتل طليقا دون عقاب ، بعيدا عن القضبان أو عن حبل المشنقة . ما الذى دار بخلده عندما خطر له أن فى مقدوره قتل سوليفان . راح يدون وحده قائمة بما يلزمهما ، فلا جدوى من أن يسأل هازل عما تريد لعطلة الأسبوع . ومضت هازل الى غرفة المعيشة ، واتصلت بآل لافرتى ، وبينما كانت تتحدث معهم غسل كارتر الأطباق . وظلت تتكلم ولم

تدع السـاعة الا وكارتر يهم بالخروج وفى يده العربـة الصغيرة الجرارة ، وعاد فأغلق الباب وقال :

ــ هل اخبرك آل لافرتى بشىء ؟

كانت ممتقعة اللون ، وشفتاها غير مخضبتين . وأجابت :

ــ اوه .. يقولون لعل له أعداء آخرين غير جاويل .

ــ أعتقد أن هذا صحيح .. فهو محام .

ــ لو أن له اعداء فأنا لا اعرفهم على كل حال . وكذلك آل لافرتى .

ونهضت ، وســارت نحو المطبخ فى بطء ، ورأى كارتر انه يمكنها ان تسير نحو الجهة المضــادة دون أن تدرى لأنها كانت تبدو كالمذهولة التى لا هدف لها . وقال :

ــ على كل حال ساعود بعد ثلاثة ارباع الساعة .

وابتسم . وعندما عاد ، كان البوليس قد اتصل ، وطلبوا منه أن يتصل بهم ، فسأل هازل وهو يفرغ حقيبة البقــالة على مائدة المطبخ :

ــ ماذا قالوا ؟

اجــابت :

ــ ان البصمات غير مفحمة .

قطب جبينه وقال :

ــ وكيف هــذا ؟

ــ ان البصمة التى لديهم غير واضحة تماما ، ويبدو أن من المحتمل انها تخص اناسا كثيرين .

حدث كارتر نفسه انهم سيلقون عليه الآن أسئلة اكثر دقة عما فعله يوم الجمعة ، فى الفترة ما بين مغادرته المكتب والتى عاد فيها الى بيته . وسألته هازل :

ـ الن تتحدث اليهم ؟

ـ لم تكن قد استبدلت ثيابها بعد ، وكانت جالسة على الأريكة تطالع الجريدة التى اتى بها ، وكانت قد دونت الرقم على المذكرة الموضوعة بجوار الجهاز وتحته ثلاثة خطوط ، وقالت :

ـ ما الذى حملك على شراء هذه الجريدة يا فيل ؟ أما كان فى امكانك شراء مجلة مصورة على الأقل ؟

اجـاب :

ـ لم أجد أى شىء عن القضية فى المجلات المصورة .

وكان هذا صحيحا ، فقد سقطت طائرة فى لونج ايسلاند ، واحتلت أخبارها كل الجرائد الصباحية فى ذلك اليوم . وأدار قرص التليفون ، وقال للرجل الذى رد عليه انه فيليب كارتر وانه يريد التحدث الى الملازم أوستريخر . ورد عليه هذا الأخير على الفور وقال له :

ـ صباح الخير يا مستر كارتر .. شكرا لاتصالك بى . اظن ان زوجتك اخبرتك ان البصمة لم تدلنا على شىء . ولكننا تكلمنا مع السكرتيرة بشركتك هذا الصباح ، وقالت انك غادرت مكتبك نحو الخامسة والدقيقة العشرين .

ـ أوه ، هـذا محتمل ، وماذا قلت لك ؟ .. الخامسة والنصف ؟

قال أوستريخر :

ـ نعـم .

وانتظر ، وانتظر كارتر هو الآخر . وقال أوستريخر أخيرا :
والسكرتيرة تقول انها متأكدة ، لأنهـا هي نفسها همت بمغـادرة المكتب في الخامسة والنصف ، ولكنها تأخرت حتى الخامسـة والدقيقة الخامسة والثلاثين لكي تأخذ بعض الخطابات لتضعها في صندوق البريد . وأقول لك ذلك لأننا سنضطر للتحقق من الوقت بالنسبة للجميع ، لأنه لبست لدينا أية عناصر أخرى . وقالت لنا زوجتك صباح اليوم انه يحتمل أن تكون قد عدت في السادسة وعشر دقائق ، وانها لا تتذكر على وجه التحديد .

بضع لحظات أخرى من الصمت .

ايكون أوستريخر هو الذى أوحى الى هازل انه ربما قد عاد متأخرا عما يقول ، أم تراها هي التي أدلت بذلك التصريح من تلقاء نفسها . لم تفارقه هازل بعينيها وقال :

ـ ربما تكون على حق ، فأنا لم انظر الى الساعة .

كان في مقدوره أن يقول انه توقف لتناول كأس . ولكن لعل أوستريخر يحـاول أن يستجوب سـاقي البار ، ثم ان البار الذى توقف فيه كان قريبا جدا من الشارع الثامن والثلاثين .

ـ هل تريد أن أحضر الى قسم البوليس ؟

ـ أوه ، كلا شكرا .. ربما نتصل بك ثانية أثناء هـذه العطلة . هل انت باق بالمدينة ؟

أجاب كارتر :

ـ نعـم .

وأعاد السماعة ، ونظر الى هازل ، وقال :

ـ القوا على أسئلة أخرى عن الوقت . هل كانت السـاعة

السادسة او السادسة وعشر دقائق ؟ . . انني لا اتذكر . . وانت ؟

ـ اظن انها كانت بعد السادسة بقليل . . لا اتذكر تماما .

كان من عادة هازل القيام ببعض الأمور يوم السبت ، ككتابة خطابات ، واعادة بعض الكتب الى المكتبة العامة بالشارع الثالث والعشرين . ولكنها ظلت جالسة ، عاقدة ذراعيها ، فقال كارتر :

ـ سأفرغ من هذا العمل الخاص بالشركة .

ومشى ، واخذ من فوق منضدة التليفون نشرات خاصة بجنكنز وفيلد ، تضم معلومات عن فرع ديترويت ، وكان المفروض اعادة بعض رسوماتها .

ومضت هازل الى غرفة النوم ، ولم يجد جديد في ذلك اليوم .

كانا قد تلقيا دعوة لتناول الكوكتيل عند فيليس ميلن يوم الأحد ، ولكن هازل اتصلت بها تليفونيا لكي تعتذر . وتكلمت مع فيليس فترة طويلة لأن انباء الجريمة ظهرت في جرائد الصباح ، وجاء فيها أن مسز هازل كارتر مفروض انها كانت صديقة حميمة لدافيد سوليفان ، ولكنها ذكرت ان هذه المعلومة مصدرها جورج جاويل المعروف بعدائه الشديد لسوليفان . وحدث كارتر نفسه فقال :

ـ انه لجميل من البوليس ومن المفتش أوستريخر عدم الافصاح للجرائد بأن هازل نفسها اقرت بوجود هذه العلاقة . ولكن الأمر سيكون شائعا للجميع بعد يومين ، وعندئذ سوف تشير أصابع الاتهام اليه على انه هو القاتل .

لم يصغ الى الحديث الدائر بين هازل وفيليس ميلن ، ومضى

الى الغرفة ، وجلس أمام المنضدة للفراغ من العمل الذى جاء به من المكتب . وملأ الصفحات بملاحظات ورسومات من أجل مهندس ديترويت الذى سيقوم بالعمل ،وهو غير واثق من انه سوف يمضى الى ديترويت . فكر فى هازل التى ابرقت الى أبوى سوليفان بماسوشيتس . ولا يريب أن البوليس أبلغهما بما حدث . ولكن هازل أصرت على أن ترسل اليهما برقية عزاء ومواساة ، وسألها كارتر :

ـ وهل تعرفينهما ؟ فأجابت :

ـ أوه ، نعم . أتيا الى نيويورك فى عطلة آخر الأسبوع فى الصيف ، وكنت مع دافيد . ومضيت انا ودافيد لزيارتهما فى ستوكبريدج بالسيارة . قالت ذلك بلهجة محايدة وفى غير مبالاة . واحس كارتر عندئذ بالضياع ، واعتراه نفس الاحساس الذى طالما احس به وهو فى السجن ، عندما كانت هازل تقول له ما فعلت مع سوليفان او ما سوف يفعلان . واعتقد انه يتذكر أنها اخبرته بلقائها بأبوى دافيد ، ولكن اذا كانت قد قالت له انها زارتهما فقد نسى ذلك ، وبدا له الآن انها تتصرف معهما كما لو أنها زوجة ابنهما ، وتعبر لهما عن حزنها وآلامها لموت سوليفان .

وعندما صلصل التليفون فى الساعة العاشرة والربع فى تلك الليلة ، لم يبد كارتر به اى اهتمام لأنه ظل يصلصل قبل ذلك كثيرا ، ولكن فى تلك المرة كان البوليس ، وقد خمن ذلك من لهجة هازل وهى تقول « نعم ، نعم » . وغادر الغرفة ودخل غرفة المعيشة فى بطء .. « بكل تأكيد .. حسنا » . واعادت السماعة وقالت :

ـ البوليس قادم .

ـ هل عرفوا شيئا ؟

ـ لم يذكروا اى شيء . ونهضت ، وكان تيمى قد خرج من غرفته واقبل الى البهو وقال :

ـ هل يمكن أن أبقى صاحيا ؟

تخللت هازل شعرها بأصابعها وقالت :

ـ نعم . حسنا يا تيمى .. ابق صاحيا اذا اردت ، ولكن الزم غرفتك . لا يجب أن تأتى هنا عندما يأتى البوليس يا عزيزى.

ـ ولم لا ؟

هزت راسها ، وبدت على حافة الانهيار ، وعلى وشك أن تجهش بالبكاء :

ـ لأننا سنخبرك بكل ما نعرفه .. اعدك بذلك .

تساءل كارتر ان كان تيمى قد علم بعلاقة أمه بسوليفان ، هذا ما لم يكن قد عرف بها من قبل واعتاد عليها . وكان الصبى قد سأله اثناء مطالعته للجرائد « ما معنى صداقة حميمة » واجابه كارتر بأن معناها أن هازل ودافيد كانا صديقين عزيزين جدا ، ولكن لابد ان تيمى يعرف المعنى بالغريزة . وأعاده كارتر الى غرفته .

ـ سوف نتناول كوبا من اللبن بالشيكولاته بعد انصرافهم ، وسأطلعك على كل ما يخبروننا به . اعدك بذلك . وربت بيده على كتفه واردف :

ـ الى اللقاء يا عزيزى .

ثم عاد الى غرفة المعيشة . وكانت هازل قد بقيت واقفة

بجوار المقعد . ووضع يده اليمنى على خصرها وجذبها اليه . تدفعه الرغبة فى مواساتها ، ولكنها تخلصت منه قائلة :

ـ معذرة . اننى عصبية المزاج .

ومضت الى غرفتها . ورن جرس الباب فى هـذه اللحظة . وكان الطارق اوستريخر ، وبرفقته الشرطى الشـاب ، وقـال الضـابط :

قضينا طوال النهـار مع جاويل واصـدقائه ، للتحقق من بصماتهم طبعا .

كان كارتر قد جلس وراح ينصت ، متوتر الأعصـاب ، فقد كان يدرك تماما ان اوستريخر لم يأت ليقدم تقريرا عن جاويل . وسـألته هازل :

ـ وماذا وجدتم ؟

اجاب مبتسما :

ـ اننا لا نملك غير بصمة واحدة ، ويمكن أن تكون بصمة مسـتر أنتونى اوبريان ، أو بصمـة زوجـك ، أو بصمـة .. ما اسمه ... آه ... ايوارت .

ونظر اوستريخر الى الشرطى مستفهما فأكد له الشرطى قوله بايماءة من راسـه . كان يبدو شديد الارهاق ، وحول عينيه هالات . وقال :

ـ كريستوفر ايوارت . وكان جالسـا عاقـدا ذراعيـه لا يدون اية ملاحظات وان كان دفتره على ركبتيه .

تذكر كارتر ان أنتونى هو الاسم الأول للرجل الذى رآه عند جاويل مع الشقراء ، وهو رجل قوى ، متين العضـلات ،

يبدو كالملاكم المحترف او كلاعب كرة قدم . ولعله هو الذى رآه يهبط السلم ركضا ، وان كان لم يلحظ اذا كان قوى العضـلات أم لا تحت معطفه الذى تطـاير طرفاه مع الهواء . واجفل قليلا رغما عنه وهو يدرك انه عرف بمجرد ان سمع قصـة سوليفان فى تلك الليلة ان ذلك الرجل هو الذى ستقع عليـه الشبهة فى مقتل سوليفان على الأقل .

وقال اوستريخر :

ان صديقى جاويل اللذين تناولا العشاء معه مساء الجمعة من نيويورك ، واحدهما يونانى . وقد تناولوا العشاء فى مطعم يونانى ، واستجوبناهما معا ، وهما صديقان لجاويل وان كان لا يراهما كثيرا . ويظهر ان لكل منهما عملا واسرة ، ومهما يكن فان بصماتهما لا تنطبق على البصمة التى لدينا .

قالت هازل :

ـ والمدعو اوبريان ؟ .. من هو ؟

ـ انه ساق ببار بجاكستون هيتس ، وصـديق لجاويل . واذا صدقناه هو وزميله الذى يشاركه المسكن فانه عاد يـوم الجمعة فى الساعة الخامسة الا الربع ، وبقى بالمسكن حتى السابعة . اغتسل ونام قليـلا ثم خرج وتناول العشاء فى مطعم بالحى ودخل السينما . وقد رأى الفيلم حقا . ولكن ما من أحد يمكن أن يؤكد بطريقة قاطعة انه تناول عشاءه فى ذلك المطعم يوم الجمعة بالذات ، وانه دخل السينما . ويحتمل انه رأى الفيلم مساء يوم الخميس ، وهو يعمل يوم الجمعـة حتى الساعة الرابعة ويأخذ اجـازة طوال اليوم بعد ذلك . وبهذه المناسـبة ، ملفـه لدينا خلو من اى شىء .

وكان يدخن وهو يتكلم ، وسألته هازل :

ــ ولكنك تشتبه فيه ؟

تنحنح أوستريخر قبل ان يرد ثم قال :

ــ اننا مضطرون الى استجواب الجميع يا مسز كارتر ، وقد اهتدينا حتى الآن الى رجل أو رجلين يعرفان سوليفان ، لأحدهما بصمة يمكن ان تنطبق ، وهو مشبوه شيئا ما ، ولكن سوليفان لم يرهما منذ وقت طويل .

وابتسم مستسلما وقال :

ــ اننا ازاء جريمة عاطفية .. سواء ارتكبها صاحبها أو دفع غيره لارتكابها . ان أى محام يمكن ان يكون مكروها من ذلك الذى يوشك ان يتسبب فى دماره . ومستر سوليفان كان يتولى قضية من هذا النوع ، ولكن لا احد يقتل محاميا لهذا السبب ، انما يقتل من عهد اليه بتلك القضية .

وفك أوستريخر سترته وهو يقول :

ومن هنا ترى يا مستر كارتر اننا نعود الى جاويل واليك انت .

سألته هازل :

ــ وماذا ستفعل بأقوال أوبريان مثلا ، ودليل براءته ؟

اجاب أوستريخر :

ــ سنستمر فى تحرياتنا عنه ، ومراقبته هو والآخرين ، وسنرصد تحركات رصيد الأموال فى البنوك الخاص ببعض الأشخاص لمعرفة من يرون ومع من يتحدثون .. وهذا هو الروتين .

واردف يقول فى صوت اكثر مرحا :

ـ وسوف نعرف الكثير بعد يومين .

سألته هازل :

ـ وذلك المدعو ايوارت ؟

ـ انه التقى بجاويل وصديقيه مساء الجمعة فى المطعم ، وهو من نيوجرسى هو ايضـا .. تاجر سيارات ، وقد تكلمت عنه لأن البصمة يمكن ان تكون بصمته هو الآخر . ولكن لديه ما يثبت انه كان بعيدا عن مكان الجريمـة ساعة ارتكابهـا ، فقد شحم سيارته وغسلها من الساعة الخامسة حتى السادسة فى نيوجرسى وقد استجوبنا صاحب الجراج ، فأيد أقواله .

وتنهد ونظر امامه مباشرة وقال :

ـ ربما كلف جاويل قاتلا اجيرا . سنتحقق من ارصـدته فى البنك صباح غد .

قـال كارتر :

ـ لا أعتقد انه من الغباء بحيث يكشف عن نفسه هكذا .

اجاب أوستريخر :

ـ هذا صحيح .

كان يعرف ان البصمة بصمة أصبع من يد يمنى .

ـ ان ايا من يديك تفتقر الى القوة بسبب اصابة ابهاميك .

اجاب كارتر :

ـ هو ذلك .

آلمـه ابهامه الأيسر ، ولكن ذلك لم يجعل يده اكثر قوة .

انحنى اوستريخر الى الأمام وقال :

ـ يجب أن أسألكما مرة أخرى اذا كنتما قد توصلتما الى قرار أو اعددتما خطة فيما يتعلق بمستقبلكما ، بعد الحديث الذى دار بينكما فى الأسبوع المـاضى بخصوص سوليفان .

كانت هازل أول من اجاب فقالت :

ـ لم نصل الى أى قرار أو اتفاق . ومن يدرى ، لعل الأمر كان يزداد سوءا لو اننا كنا قد اتخذنا قرارا ما .

ـ ليس بالضرورة . قلت لكما انه طبقا لأقوال جاويل ، كان مستر كارتر يتميز غضبا ، ولكن لا تظنى اننى أصـدق كل ما يقوله جاويل لى .

وتحول الى كارتر وقال :

ـ الم تكن تنوى مناقشة الموقف مع سوليفان ؟

قال كارتر فى بطء :

ـ آه نعم . حاولت ان اقابله مساء الثلاثاء ، كما قال لك جاويل ، وهى الليلة التى التقيت فيها بزوجتى على الرصيف فى طريقها اليه ، واسأله اذا كانت تلك العلاقة مازالت مستمرة حقا ، وماذا ينوى أن يفعل ، بعد ان علمت بأمرهما ، ولكننى لم اره فى تلك الليلة .

ابتسم اوستريخر ابتسامة خفيفة وقال :

ـ قال لى جاويل ذلك . الم تحاول أن ترى مستر سوليفان فيما بعد ؟

ـ كـلا .

ـ لمـاذا ؟

ـ ربما لأن رؤيتى لزوجتى وهى ماضـية اليه كانت جزءا من الردود التى كنت انتظرها وبقول آخر ، فضلت أن اناقش الأمر مع زوجتى .

ساله أوستريخر :

ـ آه ، حقا ؟ ... لمـاذا ؟

قال ذلك كما لو أن الأمر لا يهمه ، أو كما لو انه لا يصـدق ما يسمع :

ـ لأننى قـلت لنفسى ان ما يريـد سـوليفان ان يفعـل أو ما يفعله فعلا ، أقصد علاقته بامراة متزوجة أمر يخصـه هو . ولكن لى الحق فى ان اسأل زوجتى ماذا تنوى أن تفعل لأنهـا زوجتى .

وافقه أوستريخر بايماءة من راسـه ، وابتسم مستهجنا وقـال :

ـ وماذا كنت تنوين أن تفعلى يا مسز كارتر ؟

راى كارتر تعبير القلق والارتباك فى عينى هازل .. كيف يمكنها أن تجلس على مقعدين فى وقت واحد ؟ .. وقالت :

ـ صراحة لا ادرى .. كنت شديدة الارتباك يوم الثلاثاء .. واعتقد اننى كنت اتخلى عن دافيد .. نعم .

ـ ولكنك لم تفصحى عن ذلك لزوجك .

ـ كلا . ليس بوضوح .

تنهد أوستريخر وقال :

ـ هل تناقشت فى ذلك مع مستر سوليفان يوم الثلاثاء ؟

اجـابت :

ـ كـــلا .

ـ الم تخبريه انك التقيت بزوجك امام البيت ؟

هزت راسها بقوة وقالت :

ـ كـــلا .

ونظرت فجاة الى كارتر وخاطبته قائلة :

ـ الا تظن انـك يجب ان تحـدث مســتر اوستريخر عن مخدرات جاويل ؟

هتف أوستريخر :

ـ مخــدرات ؟

قـال كارتر :

ـ نعم . عرض على بعضا منها .. هيروين ، وتعاطيت قليلا منه .. مرتين ، وكنت قد اضطررت الى تعاطى المورفين فى عيادة السجن بسبب ابهامى ، وكان لدى جاويل الكثير منه .

ـ كـم ؟

ـ رايت عنده اكثر من مائتى انبوبة من البلاستيك بصورة سائل . وقال لى جاويل ان بكل منها عشر جرع .

قطب أوستريخر حاجبيه وقال :

ـ انها ليست عنده الآن فقد فتشنا مسكنه . لمـاذا تعاطيته يا مستر كارتر ؟

اطلق كارتر تنهيدة عميقة وقال :

ـ انه يخفف آلام ابهامى ، ثم اننى احب ذلك .

ـ قلت انك أخذت جرعتين .. هل أنت معتاد على ذلك كل ليلة ؟

ـ كلا . تكفينى الأقراص التى معى ، وهى على اساس المورفين .

والقى نظرة الى هازل وهو يقول :

ـ اننى اتعاطى منهـا أربعة اقراص تقريبـا كل يوم .. واحيانا سـتة . واظن ان ذلك يعـادل جرعتـين او ثلاث من المورفين .

ـ الم تستغرب وجود كل تلك المخدرات عند جاويل ؟ .. ومن اين تظن انه جاء بها ؟

ـ الواقع اننى استغربت ذلك .. وهز كتفيه واستطرد :

ـ ولكن نظرا الى القوم الذين يختلط بهم لم الق عليـه اى سؤال لأننى لم امض اليه لهذا السبب .

ـ الم تحاول أن تعرف من اين يأتى بهذه المخدرات ؟

ـ كلا ، فما كان ذلك ليعنينى .

احس كارتر بان أوستريخر وهـازل يستهجنان قوله .. فوجود هيروين أمر غير قانونى ، ثم انه لم يبلغ عن جاويل فحسب، وانما انتهز الفرصـة وتعاطاه ، وعاد يقول :

ـ كل ما كنت أريد هو الحصـول على بعض المعلومات من جاويل ، واذا اردت الحق فاننى لم أشأ اثارة حفيظته .

قال أوستريخر :

ـ كان يمكنك أن تحدثني عن ذلك قبل الآن .

ونظر الى زميله ، وكان يدون ملاحظاته في دفتره ، وقال :

ـ هذا ينقلنا الى المخدرات .. هم حثالة وكثرة .. وهز راسه كما لو أنه قد استاء ازاء فكرة مجال جديد للتحرك قد انفتح أمامه . ولكنه لم يتحرك نحو التليفون .

احس كارتر بأن أوستريخر يشك فيه كل الشك ، وأنه يشك فيه منذ البداية ، وواثق كل الثقة بحيث لا يتعجل أمره . وابتلع ريقه ونظر الى هازل ، وكانت منحنية الى الأمام ومرفقاها على ركبتيها ، وعيناها محدقتان في الأرض . ورفعت رأسها فجأة ، ونظرت الى أوستريخر :

ـ متى تظن انك تستطيع أن تهتدي الى القاتل .

لزم أوستريخر الصمت فترة طويلة ثم أجاب بطريقته العادية :

ـ ربما بعد يومين أو ثلاثة . وربما قبل ذلك . سنرى ما سوف تسفر عنه تحرياتنا في البنوك ، فيما يتعلق بجاويل غدا . وسوف نهتم بحسابك انت أيضا يا مستر كارتر .

وافقه كارتر بايماءة من رأسه . واذ رأى أوستريخر ينهض نهض هو الآخر ، وقال الضابط :

ـ سنستجوب جاويل طبعا عن هذه المخدرات .. ومخدومه يدعى جراسو ، ربما يعرف شيئا هو الآخر ، ولكنه لا يعتقد أن جاويل كان يفكر في قتل سوليفان ، أو أن له دخلا في هذه القضية . ولكن لعل جاويل شديد الحرص ، ومهما يكن فهو وجراسو صديقان وثيقا الصلة .

ودعك اوستريخر ذقنه وهو يحدق فى الجدار ثم حول بصره الى كارتر وقال وهو يبتسم :

ـ مازال لدينا عمل الليلة . يجب ان ابحث عن المخدرات فى بيت جراسو ، وكذلك فى بيت اوبريان . فى اي نوع من الصناديق كانت ؟

ـ صندوق من الكرتون حجمه نحو خمسين سنتيمترا مربعا . وكانت الأنابيب مصفوفة فوق طبقات من القطن .

قال أوستريخر :

ـ لابد انها الآن فى برطمانات المايونيز او فى زجاجات مساحيق التنظيف .

وضحك ضحكة قصيرة وقال :

ـ حسنا .. لنمض الى العمل .

وما ان اغلق الباب حتى خرج تيمى من غرفته . ومضى كارتر وصب له اللبن بالشيكولاته الذى وعده به ، بينما راحت هازل تحاول الاجابة على أسئلته . ولكن الرد على سؤاله الرئيسى ظل من غير جواب . بيد انه بدا شديد الاهتمام بشخص اوبريان ، وكان جالسا على الأريكة وكوب اللبن بالشيكولاته فى يده .

ـ ربما يعرفون ان اوبريان هو القاتل وينتظرون أن يقدم على شيء ما .

نظرت هازل الى كارتر وقالت :

ـ لا ادرى فيم يمكن ان نفكر الليلة اكثر من ذلك .

لم يدر كارتر ماذا يقول . كان تيمى قد راى افلاما فى التليفزيون يخفى فيها رجال البوليس ما يعرفون حتى اللحظة

التى ينقضون فيها فجـأة على الجانى . وكان هذا هو ما يدور فى راس الغلام الآن ، وقال له :

ـ مازال الوقت مبكرا جداً لكى نعرف أى شىء يا تيمى .

وفى الفراش ، حاول ان يطوق هازل بذراعه وان يضمها اليه ريثما تنام ، ولكنها تحولت عنه فى بطء متوترة كشخص واع تماما وقالت :

ـ معذرة .. لا استطيع .. لا احتمل ان يلمسنى احد .

قال وهو يشدد الضغط على كتفها :

ـ اننى احبك يا هازل . الا يمكن ان ننام معا فحسب ؟

ولكنها رفضت . وبقى كل منهما مسهدا فترة طويلة .

- ٢٤ -

ـ بضع كلمات يا مسز كارتر .

وميض فلاش ، وقال صحفى وهو يبتسم فى عصبية :

ـ سؤال واحد بخصوص سوليفان .

وصاح كارتر :

ـ اغربوا عنا .

كانوا ثلاثة من الصحفيين ، مع اثنين منهم آلات تصوير . وقالت هازل وهى تنتزع ذراعها من شاب عصبى :

ـ لا تلمسنى .

أحاطها كارتر بذراعه ، وسارا مسرعين حتى سيارة هازل ، على بعد نحو خمسة امتار ، وقالت هازل :

ـ اركب ساصطحبك الى مكتبك .

ركب كارتر ، واضطر فعلا أن يصفق الباب على يد أحد الصحفيين تقريبا . وانطلقت هازل . وقال كارتر :

ـ عجيب انهم لم يأتوا قبل ذلك .

ـ انهم اتصلوا بالتليفون أمس .. مرتين أو ثلاثا ، ولم ازعجك بشأنهم .

لم ينطق كارتر ، فقد كان يعرف أن هازل عجلى وغاضبة ، وانها قد تحول غضبها من الصحفيين اليه اذا حاول أن يكلمها . وقال فى هدوء ، بعد دقائق قليلة :

ـ لا داعى لأن تمضى بى حتى المكتب ، فقد تخلصنا منهم الآن .

اقتربت هازل من الصحفيين بمجرد أن استطاعت واوقفت السيارة وقال كارتر :

ـ الى اللقاء يا حبيبتى . وآثر ان لا ينطق بكلمتى : مرحى او احبك ، فقد كانت تشعر بالخجل لأن علاقتها بدافيد اصبحت على كل لسان فى مكتبها ، ولأن الجرائد والراديو اذاعوا فى الصباح ان زوجها من ارباب السجون .

دخل كارتر مكتبه ، وتوتر عند رؤيته لأليزابث ، فتاة الاستقبال الشقراء التى ذكرت للبوليس انه غادر المكتب يوم الجمعة فى الساعة الخامسة والدقيقة العشرين ، وليس فى الخامسة والنصف ، وقال :

ـ صباح الخير .

ـ صباح الخير يا مستر كارتر ... آه .

وخرجت من خلف مكتبها ، ووقفت . كانت طويلة ونحيفة ، تكاد تناهزه طولا بكمبيهـا العاليين بدت أمارات الجد والخطورة على وجهها ألنضر ، وقالت :

ـ ارجو ان لا تكون قد تضايقت بما قلت للبوليس . انهم ظلوا يلاحقوننى بأسئلتهم ، وأرادوا ان اذكر لهم الوقت بالدقيقة تقريبا . وقلت لهم ما اتذكر فحسب وما اعتقد أنه صحيح .

قال كارتر وهو يبتسم ابتسامة خفيفة :

ـ كلا ، كلا . انك احسنت صنعا ، فلا تزعجى نفسك .

واتجه نحو مكتبه ، والتقى فى البهو المكسو بالسجاد بمستر جنكنز ، وهو رجل طويل القامة ، وخط المشيب شعره ، بادره قائلا :

ـ صباح الخير يا مستر كارتر .

رد كارتر عليه قائلا :

ـ صباح الخير يا سيدى .

توقف مستر جنكنز وقال :

ـ تعال الى مكتبى لحظة .

دخل كارتر خلفه ، واغلق مستر جنكنز الباب وقال :

ـ احزننى سماعى لهذه القصة البغيضة .. ماذا سيحدث الآن ؟

نظر كارتر الى جنكنز مباشرة فى عينيه وقال :

ـ لا ادرى . ولكننى أعرف الصعوبات التى تواجهها بسبب وجودى فى الشركة ، واذا رايت ان من الأوفق أن اقدم استقالتى فأنا على استعداد يا مستر جنكنز .

قال جنكنز فى شيء من الضيق :

ـ كلا ، كلا . لم اكن افكر فى ذلك ، ولكن المفروض أن تمضى الى ديترويت يوم الخميس ، واذا لم يفرغ البوليس من تحقيقه معك فلن تستطيع ، اليس كذلك ؟ .. اعتقد انه سوف يستمر فى استجوابك .

ونظر الى كارتر كما لو انه سيكتشف فى الثوانى التالية ان كان هو الذى ارتكب الجريمة ام لا .

ـ هـذا صحيح . ولكن خطر لى ان اسجل افكارى على الورق ، وان مستر باتر وورث يمكنه ان ينتقل الى ديترويت بدلا منى .

تنهد مستر جنكنز ، وفتح ذراعيه فى حركة تدل على عجزه وقال :

ـ حسنا ، سوف نرى .. سوف نرى .. ألديك فكرة عمن يكون القاتل ؟

تردد كارتر قبل أن يقول :

ـ اعتقد إنه أحد معارف جاويل . انه عدو سوليفان منذ سنوات طويلة ، ولكننى لا ادرى يا مستر جنكنز .

نظر مستر جنكنز اليه لحظة من غير ان ينطق . وكان كارتر يعرف تماما انه كان يفكر فى أن زوجتـه كانت على علاقة حميمة بالرجل الذى اغتيل ، وان من الغريب أن القتيل زكى كارتر لهذه الوظيفة ، وأن المفروض انهما احسن صديقين فى الدنيا .

وعندما دخل كارتر مكتبه الخاص واغلق الباب خلفـه خطر له على الفور أن مستر جنكنز لم يلق عليـه السؤال التقليدى :

ـ هل انت واثق تماما انك برىء ؟ .. الا دخل لك فى هذه الجريمة ؟ .. لم يكن هناك غير سبب واحد محتمل يحمل مستر جنكنز على القاء هـذا السؤال وهو انه يفكر أنه قد يكون هو القـاتل .

توقع كارتر أن يدور بينه وبين باتروورث حديث بغيض فى

ذلك الصباح ، ولكن باتر وورث لم يكن فى مكتبه ، وبدأ يضرب على الآلة الكاتبة تقريره وملاحظاته عن مصنع ديترويت . ولكن ذهنه كان يعود بلا انقطاع الى تيمى .. تيمى الذى يجب أن يكون فى هذه اللحظة فى مدرسته بالشارع التاسع عشر . سيمطره الصبية بالأسئلة وسينظرون اليه ويتهامسون .. لأن أباه كان سجينا ، ولأن الصبية قد عرفوا الآن ان أمه كانت تضاجع رجلا آخر . قالت هازل ذات يوم ان تيمى الآن أحسن حالا مما كان فى نيويورك ، ولكن كان ذلك لأن الصبية كانوا لا يعرفون أن أباه سجين سابق ، والآن فسد كل شىء من جديد .

صلصل جرس التليفون الخاص به بعد الحادية عشرة بقليل .. مستر كارتر ، أوستريخر يتكلم .. هل تستطيع أن تأتى لبضع دقائق ؟ .. ان الأمر عاجل وبالغ الأهمية .

قال كارتر لاليزابث انه مضطر للخروج لحظة ، وانه قد يعود قبل الغداء ، ولكنه غير واثق .. وتساءل هل سمعت المكالمة التليفونية التى جرت الآن ، وهل تعلم أنه ماض الى البوليس .. نعم ، طبعا .

وقسم البوليس الذى تكلم منه أوستريخر يقع فى الشارع الخمسين شرق ، وقطع كارتر المسافة سيرا على قدميه ، وتقدمه شرطى متوسط العمر الى غرفة تطل على البهو ، وقال أوستريخر وهو ينهض :

ــ ادخل يا مستر كارتر .

كان يجلس فى المكتب الفسيح ذى الجدران المكسوة بالملفات ، جاويل وأوبريان ورجلان آخران وامرأة لا يعرفهم كارتر وأشار الى جاويل محييا ولكن جاويل تجاهله . كان مسترخيا فى مقعده ، مكفهر الملامح ، عاقدا أصابعه فوق بطنه .

ـ مستر كارتر ، اظن انك تعرف مستر جاويل ، وهذا مستر اوبريان ، وهؤلاء مستر ومسز فيريس ، ومستر دفلين ، وهم من سكان البيت الذى يسكنه مستر سوليفان .

هز كارتر رأسه وقال :

ـ كيف حالكم ، وكان قد رفع قبعته . ونظر اليه الرجلان والمرأة نظرة فاحصة ، وسألهم اوستريخر :

ـ هل يتذكر احدكم أنه راى مستر كارتر فى بيت سوليفان فى اى وقت ؟

كانت المرأة أول من أجابت فقالت :

ـ كلا .

وكانت اجابة الرجلين سلبية هى الأخرى .

قال اوستريخر :

ـ أتفق ان كان هؤلاء القوم فى مساكنهم لحظة وقوع الجريمة ، وتكرموا واقبلوا صباح اليوم ، وربما اتفق ان رأوا احدكم صدفة يدخل شقة مستر سوليفان يوم الجمعة .

وشمل أوستريخر جاويل واوبريان وكارتر بنظرته وهو يقول ذلك . وكانت لهجته كما هى دائما رقيقة وواضحة ، وعاد يقول :

ـ هذه مسز فيريس ، وقد سمعت شيئا اشبه بسقوط جسم على الأرض ، وخيل لها ان ذلك كان فى الساعة السادسة او قبلها ببضع دقائق ، ولم تسمع شيئا بعد ذلك ، لا صوت ولا وقع خطوات تجرى او اى شىء آخر .

تحاشى كارتر النظر الى أوبريان ، كما تحاشاه هنا

الأخير . وكان يرتدي بدلة مخططة زرقاء اللون ، وشعره يلمع بالبريانتين .

وقال اوستريخر وهو لايزال جالسا خلف مكتبه :

ـ مستر كارتر ، هل رأيت مستر اوبريان قبل اليوم ؟

ألقى كارتر نظرة خاطفة الى اوبريان ، وكان هذا الأخير مطرق الرأس ، محدقاً في حذائه ، وقال :

ـ أظن انني رأيته مرة في مسكن جاويل .

ـ متى كان ذلك ؟

ـ منذ نحو عشرة أيام .

وتساءل ان كان جاويل واوبريان قد أنكرا معرفتهما به ، ولم يعبر وجه اي منهما عن أي شيء . وسأله اوستريخر :

ـ هل رأيته بعد ذلك ؟

اجـــاب :

ـ كـــلا .

قال اوستريخر :

ـ هل رأيت مستر كارتر بعد ذلك يا مستر أوبريان ؟

اجاب اوبريان وهو يرفع عينيه لحظة :

ـ كـــلا .

ـ هل تبادلتما حديثــا طويلا في الليلة التي التقيتما فيها ؟

لم يرد أوبريان ، وقال كارتر :

ـ لا اظن اننى وجهت اليه اكثر من التحية .

وقال جاويل :

ـ لم يبق انتونى مدة طويلة فى تلك الليلة ، والواقع انه انصرف بعد قدوم فيل مباشرة .

هز اوستريخر راسه موافقا ، واستدار . وفتح دولابا خلف مكتبه ، واخذ منه شيئا من فوق احد الأرفف . كان القدم الرخامية اليونانية .. قدم يسرى .. وضعها بيديه الاثنتين وسط المكتب وهو لا يفارق بعينيه جاويل واوبريان وكارتر ، وقال :

ـ هذا هو سلاح الجريمة . امسكه القاتل هكذا .. « ووضع يده حول الجزء الضيق ، عند المشط » ولا ريب انه ضرب مستر سوليفان باصابع القدم .

نظر جاويل الى القدم فى غير اكتراث وفى ضيق . واتسعت عينا اوبريان وان كان وجهه بقى لا ينم عن شىء . وقال اوستريخر :

ـ مستر كارتر .. اريد ان اراك وانت تمسك هذا الشيء .

اقترب كارتر من مكتب اوستريخر ، ومد ذراعه اليسرى اولا ، ثم غير وقفته لكى يمد يده اليمنى ، وامسك بالقدم وابهامه تحت التقوس ، واصابعه حول القدم . واحس بالألم وهو يرفعها ولم يستطع الامساك بها كما يجب ، فقال اوستريخر :

ـ اقلبها من فضلك .. ادر قبضتك فحسب .

ادار كارتر قبضته . كانت هناك دائرة بحجم البوصة تقريبا ، اسفل القدم الذى اصبح خشنا مع الوقت والاستعمال . وكانت تلك الدائرة فى نفس الموضع الذى وضع فيه اصبعه

الوسطى . لم يكن هنـاك شك فى انه نفس الموضع الذى انطبعت فيه البصمة ، وقال أوستريخر :

ـ آه ... ثم غير من وضع أصـابع كارتر حتى اصبحت اصبعه الوسطى فوق الدائرة بالذات ، ثم هز القدم ليختبر قبضة كارتـر .

أعاد كارتر القدم فوق المكتب ، ونظر أوستريخر اليه ثم الى اوبريان ، وقال :

ـ دورك الآن يا مستر أوبريان .

نهض أوبريان بدوره وامسـك بالقـدم ، وكانت فى نفس الوضع الذى وضعها كارتر عليه . وكانت احسن طريقـة للامساك بها هى وضع بنصره تحت التقوس لأن ما تبقى من الساق كان قصـيرا وغير مستقيم . وأدار أوستريخر يد أوبريـان بحيث اصبحت أصبعه الوسطى تحت الدائرة . ولكن أصابع اوبريان كانت اكبر من أصابع كارتر ، ولاحظ هـذا الأخير القوة التى رفع بها اوبريان القدم بسهولة . ولم يعلق أوستريخر بشىء ، ولكنـه تحول الى الأشخاص الثـلاثة الذين يسـكنون فى بيت سوليفان وقال لهم :

ـ لا أرى سببا لبقائكم اكثر من ذلك .. أشكركم لقدومكم ، فقد ساعدتمونى كثيرا .

قال كارتر لنفسه انهم لم يقدموا اليه اية مساعدة على الاطلاق . ونهضـوا ثلاثتهم على مضض كما لو انه قيل لهم ان ينصرفوا قبل ان يشاهدوا أحسن مشهد فى مسرحية . وشيعهم أوستريخر حتى البهو ، ثم عاد واغلق الباب ، وجلس الى مكتبه ، ووضع كفيه الواحد فوق الآخر وقال :

- جيبنا . واحد منكم هو القاتل . وسوف نكتشف من هو .

قال جاويل في غضب :

- اذا كنت تضيمني في قولك هذا فانت لا تعرف عملك .

لم يعره أوستريخر اي اهتمام ، ونظر الى كارتر مبتسما وقال :

- ليس هناك ما يثبت ادعاءك بوجودك بعيدا عن مكان الجريمة يا مستر كارتر ، فقد كان لديك الوقت الكافي لارتكابها ، خصوصا اذا ركبت سيارة أجرة للذهاب الي مسكن سوليفان يوم الجمعة وليس اوتوبيسا لكي تعود الى البيت كما تزعم . وبعد ارتكاب الجريمة تستقل سيارة اجرة أخرى لكي تعود الى البيت. وقتل رجل بأداة كهذه لا يقتضي أكثر من عشر دقائق .. أنت معي طبعا في هذا ؟

كان هذا النوع من الاتهام المهذب شيئا جديدا بالنسبة لكارتر ، لا يشبه في شيء ما عاناه في السجن . وقال :

- كلا ... طبعا .

نظر أوستريخر الي ساعته ثم تحول الى جاويل وقال :

- مستر جاويل ، الديك فكرة عن سبب عدم مجيء مخدومك ؟

أجاب جاويل :

- ابدا . لعل لديه ما يشغله في احدى شققه .

قال أوستريخر وهو يقطب جبينه ويصر على أسنانه :

ـ للتأكد من أن مخدراته في مكان أمين مثلا . انه لا يمضى وقتا يذكر فى مصنع المواسير ، اليس كذلك ؟

قال جاويل :

ـ ان المكان الذى يقضى فيه وقته لا يهم احدا غيره .

تحول اوستريخر الي كارتر من جديد وقال :

ـ اعتقد انه لا سبب لديك لكى تغير بعض الاعترافات التى أدليت الينا بها عن قضاء وقتك مساء يوم الجمعة ؟

اجاب كارتر :

ـ كـــلا .

ـ هل لك أن تخلع سترتك من فضلك ؟

ومضى نحو الدولاب مرة أخرى وهو يقول :

ـ اود ان اجرب عليك جهاز الكذب .

واخذ الجهاز من فوق احــد الأرفف ، ودهش كارتر لأن أوستريخر لم يطلب من جاويل واوبريان الانصراف ، وانه لم يأخذه هو بالذات الى غرفة أخرى ، ووضـــع على صدره العارى بطاقة من الكاوتشوك ، ولف حول ذراعه رباطا من الكاوتشـــوك هو الآخر لقياس ضغطه ، ثم بدأ استجوابه :

ـ الوقت الذى غــادر فيه مكتبـــه بالضبط واســتقل الأوتوبيس ، ومسار الأوتوبيس ، وشرائه الجريدة التى عاد بها ووجد هازل . واعقب ذلك اسئلة أخرى :

ـ الم تأخذ الأوتوبيس حتى الشارع الثامن والثلاثين لكى تمضى الى مسكن دافيد سوليفان يوم الجمعة ؟

واحس كارتر بأن نبضات قلبه تتسارع أكثر قليلا ، ولكنه وجد نفسه جديرا بالرد على الأسئلة أوتوماتيكيا كأن الأمر لا يعنيه، وكما لو انه لا يرى اية اهمية . وكان ذلك حقيقيا ، فلم يعد يهتم بما قد يقع له .

ـ الم تقل لسوليفان :

ـ كفى نفاقا أو شيئا من هذا القبيل ثم امسكت بالقدم و ...

اجاب كارتر :

ـ كلا .

ـ مستر كارتر .. انك رابط الجاش اليوم بصورة غريبة .. وبارد .

تنهد كارتر ، ونظر الى أوستريخر ، واحس بنظرات جاويل واوبريان عليه . لم ينظر اليهما ولا مرة ، رغم انه كان يواجههما .

ـ هل كنت بهذا البرود اثناء الحديث الذى دار بينك وبين زوجتك مساء الثلاثاء ؟

ـ كلا .

ـ هل طلبت منها أن تنقطع عن رؤية سوليفان ؟

احس كارتر بالضيق فجأة لوجود جاويل واوبريان ، وتململ فى مقعده وقال :

ـ سألتها ان كانت تستطيع أو اذا كانت تريد ذلك .

ـ لم تطلب منها اذن أن تختار .. لم تقل لها اما انا أو هو .. كيف عبرت عن ذلك يا مستر كارتر ؟

قال كارتر وهو ينظر الى أوستريخر :

ـ ليس هكذا .. لم أقل لها اما انا أو هو .

ـ وبماذا ردت عليك زوجتك حقا ؟

اجاب كارتر فى حذر :

ـ ما سبق ان ذكرته لك . قالت انها لا تعرف ماذا يمكنها أن تفعل او ما لا يمكنها أن تفعل .

ابتسم أوستريخر فى صبر وقال :

ـ وكان هذا الرد غير مرض لك ، أليس كذلك ؟

تقزز كارتر من هذا الأسلوب . كان كمبضع الدكتور كاسينى وهو يغوص فى نزق فى جرح بحثا عن قطعة من سلاح سكين ، وقال :

ـ لم يكن ردها بذلك السوء الذى تتصوره .

ـ مستر كارتر ، اعتقد انه كان لديك ما يكفى من الأسباب لكى تكره مستر سوليفان ولكى تتخلص منه . لقد كان لديك الكثير من الأسباب فى الأسبوع الماضى لكى يتملكك غضب قاتل .

لم يهتز كارتر . واقترب أوستريخر منه وقال وهو يهدده باصبعه :

ـ ما قولك اذا قلت لك اننى سأثبت انك انت القاتل دون أدنى ظل من الشك ؟

ولكن حتى هجوم أوستريخر لم يكن حقيقيا ، كان كأنه يقوم بدور فى مسرحية ، وعندما تنتهى بعد بضع دقائق سوف يعاودان التصرف بطريقة عادية ، كما لو أن لا صلة لأحدهما بالآخر . وقال كارتر :

ـ اقول لك .. هيا وابذل جهدك .

قال جاويل :

ـ انه رابط الجاش تماما .. مرحى يا كارتر .. وضحك .

اكتفى اوستريخر بان رماه بنظرة ثم نزع الرباط من حول صدر كارتر ، وكانت الآلة قد رسمت خطا طويلاً متعرجا بعض الشيء حول اسطوانة فوق المكتب ، ولم يحاول كارتر ان يتحقق من ذلك الخط وقال لنفسه انه لا يهتم بما ينم عنه . ونظر اوستريخر اليه وهو منحن فوق مكتبه ثم غير الورقة .

طرق الباب فى هذه اللحظة فقال :

ـ ادخل .

دخل المكتب رجل قصير اسمر اعتقد كارتر انه جراسو ، ابتسم لجاويل وحياه بايماءة من راسه فقال جاويل :

ـ هالو .

وقال اوستريخر :

ـ صباح الخير يا مستر جراسو .

كان ايطاليا ، ربعة القوام ، بعينين سوداوين مستديرتين ونظرة فضولية ، وفم غليظ وشفتين مترهلتين شيئا ما . ولكنه ، فى المجموع ، لم يكن له تعبير مميز . وقال كارتر لنفسه ان كل هذه الصفات قناع لا باس به ، ولا ريب انه اضطر ان يجتاز حياته كلها بهذا التعبير المحايد .

ـ تفضل بالجلوس يا مستر جراسو .. مستر اوبريان .

نهض اوبريان وخلع جاكتته ، وجلس فوق المقعد الذى

فاذره كارتر لتوه . كان قوى الكتفين تبرز عضلاته من كمي قميصه بشكل ملحوظ وحتى خصره كان كله عضلات تنم عن قوته وشدة باسه ، وقال كارتر لنفسه ان نصف لطمة من كفه كفيلة بأن تقطع رقبة انسان . وقال أوستريخر :

ــ نعود الآن الى يوم الجمعة .

تساءل كارتر ان كان جاويل سيخضع لهذه التجربة هو الآخر . كان يبدو هادئا جدا ، ولكنه كان لايزال فى داخله فريسة لشىء من الانفعال والضيق .

قال أوبريان بصوت بدا كأنه يخرج من أنفه :

ــ عدت الى بيتى راسا بعد أن فرغت من عملى فى البار ، واغتسلت ، ونمت قليلا ، وخرجت فى نحو الساعة السابعة ، وأكلت ثم رأيت فيلما . كان صوته يبدو رتيبا كما لو أنه يردد شيئا حفظه عن ظهر قلب .

ــ ان زميلك فى المسكن خرج فى نحو الخامسة والربع ، وكان فى مقدورك أن تستقل سيارة أجرة تمضى بك الى مانهاتن فى أقل من ربع ساعة .

هز أوبريان كتفيه ثم قال :

ــ وماذا أفعل فى مانهاتن ؟

أجابه أوستريخر :

تقتل سوليفان .. لانك تقاضيت مبلغا من المال مقابل ذلك .

نظر أوبريان الى الأرض ، ودعك أنفه بسبابته متظاهرا بعدم الاكتراث ، وقال أوستريخر :

ـ قلت انك لا تذهب عادة الى بيتك مساء يوم الجمعة لأنك تعمل فى الملعب الرياضى ، وقد اكد رجال الملعب ذلك ، فلماذا لم تمض هناك يوم الجمعة الماضى ؟

ـ ذلك لأنه خيل لى اننى سأصاب بنزله برد ، ولهذا عدت الى البيت .

حدث كارتر نفسه فقال :

ـ هذه هى الطريقة التى لقنه جاويل بها .

ـ اهذه هى جريمتك الأولى ؟ يا اوبريان ؟

لم ينطق اوبريان ، وضحك جاويل ضحكة تكاد لا تلحظ .

ـ لا يذكر احد انه آراك فى المكان الذى قلت انك أكلت فيه .

قال أوبريان :

ـ ليس هذا بمستغرب ، فقد كان المكان مزدحما جدا .

سوف يتشبث اوبريان بالمبلغ الذى وعده به جاويل اذا استطاع . كانت رباطة جأشه مشجعة لكارتر . وسأله أوستريخر وهو ينظر الى الاسطوانة التى تدور ببطء :

اين يقطن سوليفان ؟

ـ فى مانهاتن .

ـ واين فى مانهاتن ؟ .. قل لنا العنوان .

قال اوبريان وهو يحدج فى أوستريخر :

ـ ولماذا اعرف عنوانه بالذات ؟

ـ لأن جاويل قال لك أن تتذكره ، وقد فعلت .

راح أوبريان يتلوى فى مقعده ويضحك وقال :

ـ من منا تتهم ؟ .. انا أم كارتر ؟

ـ مهما يكن المبلغ الذى اتفقت عليــه مع جاويل فلن يكون لديك من الوقت ما يكفى لكى تستمتع به .

كانت نهاية واهية لأوستريخر ، وابتسم اوبريان ابتسامة خفيفة وكذلك فعل جاويل .

ـ مستر كارتر .. ليس هناك ما يدعو الى بقائك هنا اكثر من ذلك .

نهض كارتر ، وسار حتى الباب ، وهناك استدار وقال :

ـ الى الملتقى .

اشار له أوستريخر بايماءة من رأســه وهو ينظر اليه بادى الانشغال وقال :

ـ الى الملتقى . اوه .. لا تغادر المدينة قبل أن تأتيك اخبار منى اذا لم يضايقك ذلك . قيل لى فى شركتك انك يجب ان تقوم برحلة فى آخر الأسبوع .

قال كارتر :

ـ نعم ... انا فاهم .

واغلق الباب خلفه وهو يقول لنفسه لا ريب ان أوستريخر تبادل حديثا مع جنكنز وفيلد وجها لوجه اثناء عطلة الأسبوع .

جاء باتر وورث بعد الظهر ، وطلب كارتر بالتليفون ، فمضى اليه ، وكان باتر وورث بادى الاعياء وحاجباه منتفخان قليلا . ودعا كارتر الى الجلوس بصوته الرقيق العادى ، وعبر عن حزنه لفقد صديقه سوليفان .

ـ علمت انك ذهبت اليوم الى البوليس . اتصلوا بى مرة اخرى اليوم .. هل من جديد ؟

قال كارتر وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف ، ويعقد أصابعه كما فعل جاويل فى مكتب اوستريخر :

ـ كلا . انهم استدعوا جاويل واحد أصدقائه .. رجل يدعى اوبريان ، وكانوا لايزالون يستجوبونهما عندما انصرفت بحيث لا اعرف ما هو الموقف .

ـ هل لديك شكوك او افكار ؟

ـ خارج نطاق جاويل ، كلا . واذا كان هنالك شيء فيما يخصه فانا واثق انهم سيكتشفونه . لا أدرى ان كان سوليفان قد حدثك عن جاويل .

ـ اوه ، بلى . وقد اقترحت عليه مرارا ان يعين له حارسا .. او اى شيء .. كان يبلغ البوليس بان هنالك من يتبعه .. يا الهى ! لم اظن ابدا ان الأمر سينتهي بجريمة قتل متعمدة .. ثم هنالك تلك القصة الأخرى .. (ودعك جبينه) ويجب ان اقول انني صعقت واظنك صعقت انت ايضا .. اعني دافيد وزوجتك .. هل هذا صحيح ؟

تمتم كارتر وقد اصطبغ وجهه :

ـ نعم . لم اكن أعتقد .. كانت لدى شكوك طبعا ، ولكنني لم اكن اعتقد .. اعنى لم اكن اظن ان علاقتهما مازالت مستمرة . واظن ان القصة مبالغ فيها . ولم احاول ان اسأل زوجتى ، فهى مضطربة جدا بسبب موت دافيد .

كان الاحمرار لايزال يصبغ وجه كارتر ، وادرك انه يحاول تغطية هازل عنه هو بالذات . واردف :

ـ وبالمناسبة قيل لى اليوم فى البوليس انهم يريدون أن أبقى بالمدينة فى الأيام التالية . وعلى هذا فلا اظن انني استطيع الرحيل الى ديترويت ، وقد أبلغت مستر جنكنز بذلك .

ـ نعم ، نعم . فى مقدوري ان ارحل انا . وقد قمت هـذا الصباح بالاجراءات الضرورية .

ونهض كارتر :

وفى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر ، اثناء دراسة مذكرات كارتر ومناقشتها لم تصدر اية اشارة الى قضية سوليفان .

وفى الساعة الخامسة والنصف ، وبينما كان كارتر ينتظر الأوتوبيس فى الشارع الخمسين ، القى نظرة الى جرائد المساء . تم دفن سوليفان فى ذلك اليوم فى مدافن العائلة بالمدينة التى ولد فيها بماسوشيتس . وكانت هناك صورة التقطت في نفس اليوم لأبويه وافراد الأسرة . وقوفا امام القبر ، ومطرقي الرؤوس. كان أبو سوليفان يشبه ابنه كثيرا . ونظر كارتر الى الوجوه وحاول ان يتصور ان هازل عرفتهم وتحدثت معهم . كان ذلك سهل التصور ومزعجا فى نفس الوقت . وسره أنها لم تشترك فى الجنازة ، وراوده الأمل فى أن يعلم بعض النتائج عن استجواب اوبستريخر لجاويل ومخدومه ، مستر جراسو ، ولكن لم يكن هناك شيء من ذلك فى الجرائد ، فيما عدا أن البوليس استدعى سيلفاتور جراسو لاستجوابه . ولم تكن هناك اية اشارة لمخدرات ولا لجهاز الكلب الذى خضع له هو واوبريان . وقال كارتر لنفسه لو انهم اوسعوهما ضربا بهراوات من الكاوتشوك لما كانت هناك اشارة لذلك ايضا . وعلى الأقل لم يتكلم اوبريان ، والا لكانت الجرائد قد نشرت ذلك بكل تأكيد . وأوشك الأوتوبيس أن ينطلق من دونه لولا ان لحق به فى اللحظة التى أوشك السائق أن يغلق فيها الباب .

وفى البيت ، وجد هازل فى غرفة المعيشة ، وعيناها مغرورقتان بالدموع ، وتيمى فى غرفته ، ورأسه مدفونة فى وسادته وجسمه متشنج من البكاء . واقترب من هازل وقال :

ـ لا حاجة بك الى القول ، فانني أعرف .

ـ انه عاد ساعة الغداء ، وبقى هنا طوال فترة بعد الظهر .

قال كارتر :

ـ أوه ، ... برحماك يا الهى !

وعلق معطفه ثم مضى الى ابنه وقال :

ـ تيمى ...

صمت طويل .

ـ ما الخبر ؟

وجلس على حافة الفراش ، بجوار تيمى وعاد يسأل :

ـ ما الذى حدث اليوم ؟ .. تكلم .

ـ قالوا لى انك سجين سابق .. قالوا ان أبى سجين سابق .

ـ حسنا ، قيل لك ذلك قبل اليوم ، وقد اجتزت تلك المرحلة ، أليس كذلك ؟

سحب تيمى ساقه اليمنى ، وكان كارتر قد وضع يده عليها وقال :

ـ ولكنهم يتكلمون عن دافيد .

وغلبه البكاء وهو دافن رأسه فى الوسادة وأردفه :

ـ انهم يدعونه عمى دافيد ، ولهذا معنى خاص بالنسبة لهم .

ـ كفى بكاء يا تيمى .. وأخبرنى بكل ما حدث .

قالت هازل ، وكانت واقفة بعتبة الباب وهى تتميز من الغضب :

ـ فيل .. هل من الضرورى أن تذكره بكل ذلك ؟

قال كارتر :

ـ ان الكلام سيصيبه بخير كبير .

ـ انه كلمنى انا بما فيه الكفاية ، ولا يريد الخوض فى هذا الموضوع ثانية .

قال كارتر وهو ينهض :

ـ ولكننى اريد ان اسمع قصته .

ـ وهل فكرت فى حياتك فى شىء آخر الا فى نفسك .

ـ اننى افكر فى تيمى والا ما كنت هنا .

ـ كان يجب ان تفكر فيه فى الماضى .

تحول نحوها فارتدت خطوة الى الوراء واستدارت ومضت الى غرفة النوم . وتبعها كارتر واغلق الباب خلفه وقال :

ـ كان يجب أن تفكرى فيه أنت عندما بدات علاقتك بسوليفان ، وانت آخر من له الحق فى ان يوجه الى مثل هذا اللوم .

لم تنطق هازل بشىء . وعاد يقول :

ـ وكل القصة في الجرائد الآن ، ولا يمكنك مواجهة الأمر ، ولا يمكن لتيمي مواجهته هو الآخر . ان العلاقة هي التي تشينه وليس كوني سجينا سابقا ، فهذه ليست اول مرة يسمع فيها ذلك.

كان السبب واضحا الآن في انها لم تشترك في جنازة سوليفان . وفجأة خطر له ان تيمي امتداد أدبي للحم ودم هازل بالذات ، وانهما يبكيان اليوم لنفس السبب ، فان الناس اجمع اصبحت تعرف الآن السر الذي لم يكن يعلمه احد غيرهما منذ أن بدأت القضية . وطرفت عيناه وقال :

ـ حسنا يا هازل . ما كان كان . الا يمكن ان نحاول لأم الأجزاء بدلا من العراك ؟

قالت هازل غاضبة :

ـ لا اريد الأجزاء .

ـ انني اقصد اجزاء تيمي .. مثلا .. ماذا قلت له ؟ .. ان ذلك حقيقي .

ـ الواقع ان تيمي لا يفهم ما تقوله الجرائد .

عصف الغضب بكارتر فجأة وصاح :

ـ ليس بحاجة الى ان يفهم .ان الصبية يشرحون له ما خفي عليه في كلمة واحدة .. لا يفهم ! .. اتظنينه متخلفا أم ماذا ؟ وبهذه المناسبة الا يزال يحب دافيد ؟

ـ لماذا تظن انه يبكي ؟

ـ ليس هذا بجواب .. ولكنه استنباط .. اما زال يحبك ؟

ـ أوه ... اسكت ... اسكت .

سكت كارتر ، وفتح الباب وعاد الى غرفة تيمي . ووقف لحظة يتأمل راس الطفل ونهض تيمى اخيرا . لم تكن عيناه مغرورقتين بالدموع كما كان كارتر يخشى .

ـ تيمى .. لن نخوض فى هذا الموضوع بعد الآن .. اذا كنت لا تريد ذلك .

قطب تيمى حاجبيه ، وتصاعدت دموع جديدة الى عينيه وقال :

ـ كل ما اريد ان اعرف . هل هذا صحيح ؟

ـ ماذا ؟

ـ انك قتلت دافيد بدافع الغيرة ، ولأنك كنت تكرهه ؟

ـ لم اكن اغار منه ولم اكرهه ،

ـ وهل قتلته ؟

اجاب كارتر فى لهجة آلية :

ـ كلا .

كانت مجرد اكذوبة .. اذا لم يكن هو الذى قتل سوليفان

فان اوبريان هو الذى قتله . ولكن ماذا سيكون من شأن ضميره ؟ .. وطرفت عيناه ، وسأله تيمى :

ـ هل صحيح أن امي ودافيد ...

وماتت بقية العبارة فى حلقه ولم ينطق بها . واحس كارتر فجاة بالاعياء ، وترنح ، ومضى الى الباب واعتمد عليه وقال :

ـ لقد احب كل منهما الآخر .

ــ وما معنى هذا ؟

تراجع كارتر ، واراد ان يمضى الى غرفة الحمام وان يغسل وجهه ، ولكنه عاد وقال :

ــ هذا سؤال عليك ان تطرحه على امك .

وانتظر لحظة ، واذ لم يتلق ردا خرج ومضى الى غرفة النوم . وكانت هازل نصف مضطجعة فوق الفراش . وافترض كارتر انها استطاعت ان تسمع ما قاله لتيمى ، رغم انها بدت كانها لم تسمع ، وكما لو انها ليست بحاجة الى ان تسمع .

ــ هازل ...

اراد ان يجلس بجوارها وان يمسك يدها ، ولكن نظرة واحدة من عينيها عرف منها عبث ذلك . وسألته :

ــ ماذا ؟

اخذ نفسا عميقا وقال :

ــ لن اذهب الى ديترويت هذا الأسبوع .

- ٢٥ -

رأى كارتر أن البوليس اذا لم يستطع اثبات تهمة قتل سوليفان عليه فلن يستتبع ذلك استطاعته اثباتها على أوبريان . يستطيع أوستريخر ان يشك فيهما معا ، ولكن ماذا يسعه ان يفعل من غير أدلة دامغة غير التى معه .. لاشىء .. لاشىء يمكن أن يقع .. ان سجلات البوليس زاخرة بقضايا معقدة حفظت لعدم الاهتداء الى القاتل ، وقد يعكف على مراقبة أوبريان ومشبوهين آخرين طوال ثلاثة شهور ، ثم يهدأ الموقف بعد ذلك ، وقد يستطيع عند حلول الصيف أن يقضى هو وهازل شهرا فى أوروبا . لم يفقد كل امل فيما يتعلق بهازل . انها احبت سوليفان ولكن موته إفجر جبالا من الشعور بالذنب فوق رأسها . ورأى ان هذا الشعور قد يعيدها اليه اذا تجمل بالصبر . وقد ندم على ثورة الغضب التى تملكته مساء الاثنين ، وعلى كل ما نطق به اثناء تلك الثورة فيما يتعلق بها وبسوليفان ، وعاهد نفسه أن لا يتكرر هذا الموقف ثانية . وكان قد أقسم فى الماضى على أن لا يثيرها حتى لو كان هناك مبرر لذلك . وصحيح أن الحقيقة أصبحت معروفة الآن ، ولكنه اذا كرر ذلك الأمر فى لحظة غضب فلن يكون الا مدعاة سخرية لا معنى لها .

وفى مساء الثلاثاء ، مضى كارتر وهازل الى مسرح مع آل اليوت وفيليس ميلن . وكانوا قد اتفقوا على تلك السهرة منذ وقت طويل ، وذلك لمشاهدة مسرحية لبيكيت فى مسرح

جرينوتش فيلاج . وتناولوا العشاء قبل ذلك فى مطعم لويجى . وكانت فيليس قد اصطحبت صديقها هوج ستيفنسون ، وهو رجل ربعة القوام فى الأربعين من عمره ، رآه كارتر مرة أو مرتين قبل ذلك . وتجنبوا الحديث عن الجريمة ولم يلقوا اى سؤال كما لو انهم اتفقوا مسبقا على ذلك ، وعلى أن تكون السهرة جميلة وممتعة ، عندما كلفوا فيليس بحجز التذاكر منذ شهر ، وبدا آل اليوت مجاملين لكارتر وعاملوه فى رفق كما لو انهم قرروا أن يكونوا وأسمى الأفق وأن يمنحوه قرينة الشك . وأفلحت هازل فى أن تكون مرحة ولكن كارتر كان متأكدا أن آل اليوت لم ينخدعوا بمظهرها .

وعندما عادت هازل مع كارتر الى البيت قالت :

ــ فيل ، اريد ان امضى الى مكان ما لمدة اسبوع . اننى بحاجة ماسة الى ذلك .

قال وهو يظن انها تريد أن تقول وحدها طبعا :

ــ حسن جدا .. أين ؟

ــ ليس بعيدا جدا .. اين يمكن ان نقضى اسبوعا ؟

وهزت كتفها مللا ، وطوت اشاربها الذهبى ووضعته فى الدرج الذى اخذه كارتر منه عندما طلبت منه احضاره فى شقة سوليفان ، وقال :

ــ ربما فى نيو انجلاند (خطر له ان والدى سوليفان يقيمان فى نيو انجلاند ، وانها تنوى الذهاب عندهما) . فى اى مكان تفكرين ؟

ــ فندق بسيط لا احتاج فيه الى التفكير فى شىء .. رأينا فندقا فى الصيف الماضى فى نيو هامبشاير .. هل تتذكر ؟

تذكر كارتر .. كان فندقا مريحا جدا .. وقال :

ـ لا باس .

ومضى الى غرفة الحمام ، واغتسل بسرعة ، وعندما خرج سـالها :

ـ اظن أنك تفضلين الذهاب وحدك ؟

كان هو نفسه يريد التأكد من ذلك ، وان يعرف الآن ، وقالت فى صوت مرتفع :

ـ كلا . (ثم نظرت اليه وكانت ترتدى ثوبها المنزلى) كلا ، لا اريد ان اكون وحدى .. دبر امرك بحيث ياتى تيمى معنا هو الآخر ، انه مجتهد جدا فى تحصيل دروسـه حاليا . وقد اتفقت مع مكتبى ، ويمكننى ان آخذ اجازة الأسبوع المقبل . ونستطيع أن نرحل مساء الجمعة او صباح السبت .

قال يحدث نفسه :

ـ ولكننى قد لا استطيع .. ثم قال فى صوت مرتفع :

ـ يجب أن اقول اين يجب أن اذهب بالذات .

قالت هازل :

ـ حسـنا .

ـ ثم تحولت الى المرآة .

وفى اليوم التالى ، قضى كارتر وقت الغداء فى الاستعلام عن فنادق نيوهامبشاير . لم تكن به رغبـة فى أن ينزل بالفندق الذى سبق أن نزلا به . واتصـل بهازل بعد الظهر لينهى اليها نتيجـة ابحاثه ، واستقر رايهما على فندق فى ضواحى كونكورد ، ثم

اتصل بأوستريخر لكي يسأله ان كان يستطيع الرحيل يوم السبت لمدة تسعة أيام ، وقال له أوستريخر انه موافق شريطة ان يتصل به تليفونيا بمجرد وصوله ، وان يبقى هناك ..

وحلوا مساء الجمعة ، وقضوا الليلة فى موتيل مريح على شاطىء بحيرة . ووضعوا فراشا اضافيا لتيمى ، وكان كارتر قد حجز غرفة منفصلة له فى فندق كونتيننتال بكونكورد .

كان الفندق فخما أبيض يكاد يكون قصرا ، قائما فوق مرجة تتصاعد فى انحدار خفيف ، وكان قديما غرفه فسيحة ، وسر تيمى اذ خصصت له غرفة كبيرة له وحده . ورتب كتبه إقورا ، وكانت هازل وكارتر قد وضعاها فوق مكتب كبير بين النافذتين . وكانت هناك تعريشات للكروكيت فى المرجة ، وساحة تنس خلف الفندق . كان المكان جميلا ورائعا . وفى غداة وصولهما ، تناولا طعام الافطار فى الفراش ، وانضم تيمى اليهما ، وكانت الخادم قد وضعت له مائدة صغيرة . وبينما كانت هازل تغسل شعرها خرج كارتر للنزهة مع تيمى ، واشترى له مضرب تنس . كان الفندق يعير المضارب لنزلائه ، لكن تيمى كان بحاجة الى مضرب جديد على كل حال ، واشترى لهازل بلوفر أبيض أيرلندى مغزول باليد .

وفى تلك الليلة رغم مرحها واعتدال مزاجها ، ورغم انها ضحكت وتمازحا أثناء العشاء فقد صدته فى الفراش . وتردد كارتر ثم سألها بلهجة حاول أن تكون هادئة قدر استطاعته :

ـ قولى لى يا هازل .. الى .. الى متى سيستمر هذا ؟

ـ مـاذا ؟

ـ أوه ، أنت تعرفين جيدا .

ساد صمت ثقيل طويل ، واخيرا اخذت سيجارة من فوق طاولة الزينة وقالت :

ـ لم يتضح الأمر بعد ، اليس كذلك ؟

كان يعرف الأم تشير ، ولكنه قال مع ذلك :

ـ هل تتكلمين عن قضية سوليفان ؟ ..

ـ طبعا . وهل هناك غيرها ؟

فـــكر :

ـ هناك نحن .. نحن طبعا .. نحن فحسب . ولكنهـا كانت تنتظر حتى تعرف من الذى قتل سوليفان ، لأن القاتل قد يكون هو .

ـ هل حدث لك أن هلوست عند تعاطيك المورفين يا فيل ؟

اجـــاب :

ـ كلا . بل انني لم اهلوس حتى وأنـا فى السجن ، عندما كنت اتعاطاه بكثرة . ولكنه تذكر أحلام يقظته فيما يتعلق بها هى وتيمى ، عندما بدا له أنهما امامه حقا ، ومد يده لكي يلمسهما . هل كانت هـذه هلوسة ؟ اذا كانت كذلك فقد كانت هلوسـة طبيعية واختيارية ، وهى الوحيدة التى وقعت له .

ـ الم تر ابدا أحلاما لم تعرف ماذا كنت تفعل أثناءها ؟ كالسير دون أن تفعل شيئا مثلا ؟

كان يعرف ما تعنيه ، وأجاب :

ـ كــلا .

ســاد الصـمت وبقى الأمر معلقـا بينهما تماما كمقتـل سوليفان .. لمـاذا لم تقل : هل فعلت ذلك وأنت واع تماما ؟ لأنها تعرف يقينا أنه قتله ، الا يتغير سـلوكها الآن معه اذا كانت على يقين من ذلك . كان يعرف تماما انها لا تستطيع أن تفبر

معاملتها له لأنها لا تريد ان تثير الاهتمـام اليها أكثر من ذلك اذا أعلنت شكوكها وانفصلت عنه . وأطفأت سيجارتها ، ونامت دون ان تتمنى له ليلة طيبة . ورأى انها سترفض ممارسـة الحب معه طالمـا لم تعرف الحقيقة ، وأنه اذا أرادها فيجب أن يعمل على ان تتحول الشـكوك نحو أوبريان . ولم يكن ذلك بالأمر المستحيل طبعا . إما عن ضميره فلا يمكن أن يشعر بتأنيبه لأن أوبريان كان ينوى ارتـكاب الجريمـة .. فعـلا .. فليـذهب اوبريان الى الشيطان .. وعبس كارتر وحاول أن يجد ضميره ولكنه لم يجد الا الفراغ ، فقد تهرب ضميره منه ، بل ربما لم يكن له ضمير على الاطلاق . لم يشعر بأى تأنيب لمـا فعله بسوليفان .. لأنه ضربه حتى الموت ، بل شعر بشيء من التقزز عند فكرة الدم الذى لا يذكر حتى انه رآه ، وبصـدمة تافهة ازاء حقيقة إنه هو الذى ارتكب تلك الجريمـة . انه قتل رجلا آخر فى السجن لسبب أقل من هـذا .. اقل من هذا فعلا .. لم تزعجه تلك الجريمة أبدا . وعاد ميكى كاستل الى ذهنه . تذكر أنه قال لنفسه صباح اليوم الذى مات فيه ميكى انه اذا كان لم يمت بتلك الطريقـة فسوف يموت بطريقة أخرى ، وانه لايمكن ان يكون ملاكه الحارس وحاميه. وبعد بضعة أيام طرحه عن ذهنه . أهـذا الذى يحدث لضمائر الناس فى السجون .

أحس بالرغبة فى أن ينهض وأن يتمشى تحت ضـوء القمر ، ولكنه لم يفعل خوفا من ان يوقظ هازل . وبقى مكانه مع أفكاره الدائرة فى رأسـه وهو يعلم أنه لن يحرز اى تقدم مع هازل بعد الليلة رغم ان امامهما ليال أخرى يقضيانها معا . لم يكن هناك ما يمكنه ان يفعل الا ان يحسن التصرف معها بقدر ما يستطيع ، وان لا يحـاول الاقتراب منها ثانيـة ، وأن يجعل هذه الأجازة ممتعة ومريحة لها بقدر استطاعته ، وهذا ما فعله . وكانت

مكافأته الوحيدة ان تصرف هازل لم يتحول الى الأسوأ ، واستمرت تعامله برفق كما لو كان صديقا ، واصابتها الأجازة ، بعيدا عن نيويورك ، بالخير فعلا .

عاد الى مكتبه صباح الاثنين ، وقال لمستر جنكنز ان البوليس لم يسمح له بالذهاب الى ديترويت رغم انهم سمحوا له بالذهاب الى نيوهامبشاير ، فى فندق محدد . وكان هذا صحيحا . فقد تجرأ وطلب أسبوعا اجازة منحوه اياه بدون صعوبة . منحه اياه مستر جنكنز بالذات . أما طرده او بقاؤه فلابد أنهم ناقشوا ذلك منذ ايام ، ومنحه الأجازة ليس معناها ترجيح كفة على اخرى ، وانما كان معناها أنهم ينتظرون كما تنتظر هازل .

اتصل بأوستريخر تليفونيا بعد ظهر الاثنين ، وأفلح فى الاتصال به بعد ثلاث محاولات . وقال له أوستريخر :

ـ ليس هناك جديدفيما يخصك حقا . وجدنا المخدرات فى مسكن احد أصدقاء جراسو ، وكان فى مقدورنا القبض على جاويل أو الحكم عليه بغرامة لاخفائه المخدرات لحساب جراسو . ولكننا نرخى له الحبل فى الوقت الحالى ، وهو حر طليق .

قال اوستريخر ذلك فى غير اكتراث وهو يتنهد بحيث أدرك كارتر انه مكترث بجاويل وبتحركاته على غير ما يزعم ، ولم يكن جاويل يجهل ذلك بالطبع . واردف :

ـ أما جراسو فالأمر مختلف . وقد حكمنا عليه بغرامة ٥٠٠٠ دولار .

سأله كارتر :

ـ واوبريان ؟

ـ انه يواجه نفقات كبيرة وليس معه نقود ..وهذا موقف مهم .

فهم كارتر :

ـ لم يكن باستطاعة جاويل أن ينقد أوبريان ما اتفقا عليه في الوقت الحالي فلا يمكن أن يسمح لنفسه بأن يكتشفوا انه دفع شيئا له .. ولكن أوبريان يعتمد على ذلك المبلغ وسأل :

ـ اهو حر طليق هو الآخر ؟

أجاب أوستريخر وهو يبتسم عبر التليفون :

ـ نعم ، وانت الآخر عدت الى مكتبك يا مستر كارتر .

احس كارتر بعد أن أعاد السماعة بعدم الارتياح ، كان أوستريخر يرخي العنان لهم . جميعا لكي يرى ما سوف يفعلون . كان في مقدوره أن يتشدد في استجوابه وان يعذبه كما يفعل البوليس احيانا مع عتاة المجرمين ، والمفروض انه من عتاة المجرمين ما دام قد قضى فترة عقوبة في السجن ، او هذا على الأقل ما تقوله الصحف فالناس لا يعرفون ابدا ما يحدث للمجرمين العتاة الذين يشتبه البوليس في أمرهم . وادرك كارتر أن السبب في تساهلهم معه يرجع الى أنه يشغل وظيفة محترمة وأن زوجته تعمل في الخدمة الاجتماعية ، واذا عرف الناس أن البوليس عذبه أو أساء معاملته فسوف يكون لذلك ضجة كبيرة طبعا . كانت تحركاته مرصودة هو الآخر ، مثله في ذلك مثل جاويل وأوبريان.

ومع ذلك فقد تكلم في التليفون مع جاويل مساء ذلك الاثنين، في نحو الساعة العاشرة ، عندما خرج ليشترى سجائر . وقال لهازل عند عودته :

ـ انني اتصلت بجاويل ، واظن انني سأمضي لرؤيته ، فاذا اتفق وسأل البوليس عني فقولي لهم انني هناك .

نظرت هازل اليه مشدوهة . كانت جالسة على الأريكة

تهتم باصلاح بنطلون تيمى الجديد ، وهو بنظلون قطيفة مضلع اشترته له فى نيوهامبشاير وتمزق ، وقالت :

ــ لماذا ؟

ــ خطر لى اننى قد أعرف شيئا .. فان جاويل يتحدث الى احيانا .

نظرت الى ساعتها وقالت :

ــ ومتى تنوى أن تعود ؟

ابتسم كارتر ، فقد بدا له أنها تهتم بعودته ، وقال :

ــ فى نحو منتصف الليل . واذا حدث وتأخرت فسوف اتصل بك تليفونيا قبل ذلك .

واستقل سيارة أجرة . وكان جاويل قد رد عليه فى رفق فى التليفون ، وقال :

ــ فيل . ما هذه المفاجأة ! .. ولكن طبعا .. ولم لا .

كان متحفظا ، ولكنه مستعد لكى يراه .. وهذا كل ما كان يريد . وكان وحده فى البيت ، والراديو يدور والجرائد تغطى الأريكة وقال :

ــ ما الذى أتى بك

جلس كارتر بعد ان القى معطفه على مسند المقعد وأجاب :

ــ اتيت لأسألك عما تعرفه ولا اعرفه انا .

شخر جاويل قائلا :

ــ وعلى انا أن أقول لك ذلك ، لكى اسدى لك خدمة ؟

ــ ربما .

ـ فى حين انك اسديت لى خدمة بأن قلت انه كان لدى مخدرات ؟ .. هل يجب أن اشكرك ؟

تذكر كارتر ان هازل هى التى اثارت موضوع المخـدرات . أما هو فما كان ليفعل أبدا . وقال :

ـ كانوا سيعرفون على كل حال . انهم فتشـوا شـقة جراسو ، او بالأحرى شققه كلها من غير ان يطلبوا اذنه .

ـ ولكنك قلت انك رأيتها عندى ، وتعاطيت منها .

قال كارتر :

ـ انني آسف .

ـ أنا واثق من ذلك . هأنت قد تخلصت من سـوليفان وأفلت بجلدك .

ـ أنا مثلك لم أفلت بجلدى بعد .

اكتفى جاويل بان ابتسـم فى غموض . وانتظر كارتر أن يقول له :

ـ انت الذى قتلته ووجهت التهمـة الى رجلى ، ولكن جاويل لم يقل ذلك . وابتسم كارتر :

ـ اما عندك شراب ؟

نهض جاويل :

ـ بكل تأكيد .. ومضى الى المطبخ .

ـ سآتيك بشىء فى المرة القادمة .

ـ وعود .. دائما وعود .

ابتسم كارتر ، وعاد جاويل بزجاجة الويسكى وكأس نصف مملوءة . كانت كأسه هو .

ـ شـــكرا .

وراح كارتر يحتسى الشراب جرعة جرعة . وانتظر كل منهما ان يتكلم الآخر . وقطع جاويل حبل الصمت اخيرا فقال :

ـ كيف الحــال مع هازل .

ـ هذا أمر يخصنى انا وحدى .

ـ لا يبدو عليك المباهاة بذلك .

قال كارتر :

ـ ليس هذا من شيمى .

ـ لو أن الحــال على ما يرام لقلت لى .. فان هـــذا سيظهر عليك .

لم يهتز كارتر . أزعجه صوت الراديو مع انه لم يكن مرتفعا جدا . ولكنــه لم يشأ مضايقة جاويل بأن يقول ان صوته يزعجه . واندفع يقول اخيرا وهو يجرع بقية كأسه :

ـ متى ستدفع لأوبريان ؟

ـ ابدا .. لم يكن أوبريان فى تلك الشــقة أبدا .. انت الذى كنت هناك .

ونظر جاويل فى عينيه مبــاشرة . ولكن كارتر عرف من الطريقة التى تكلم بها انه يكذب . وأحس بالسرور والارتيــاح فجأة ، لأنه يعرف جاويل جيدا ، ولأنه عرفه منذ ان كان يعمل معه فى التريومف ، ومن زياراته له وهو فى السجن . وعرف متى

يكذب ومتى يصدق ومتى يختلق . وكانت عبارته الأخيرة مزيجا من الكذب والاختلاق .

ـ كفاك نفاقا وكذبا .. اننى أرى بوضوح أكثر مما تعتقد ، واعرف انه يجب أن تنقد أوبريان مبلغا جسيما من المال .. وقد عرفت اليوم من أوستريخر ان أوبريان مفلس وأنه يواجه نفقات كثيرة أو ديونا عاجلة .. افلا ينتظر نقودك ؟

قال جاويل وهو يهز كتفيه :

ـ انت تعتقد اذن اننى لا أستطيع ان أبعث اليه بنقود اذا اراد ، أو اذا كنت مدينا له ؟ .. يكفى أن اكلف شخصا غيرى لكى يدفع له نيابة عنى .

ـ كلا . لا يمكنك ان تثق بأى أحد . ثم يجب أن تبرر لماذا تدين بذلك المبلغ لأوبريان .. كلا .

نظر جاويل الى الأرض واسترخى فى أريكته . وتساءل كارتر عما يدور فى راسه . لا يمكن معرفة ذلك حقا لأن جاويل مخبول بعض الشىء . ولكنه كان يعرف ان جاويل اذا اراد أن يدمره فما عليه الا ان يقول : اننى أعرف انك قتلت سوليفان . قال لى أوبريان انه التقى بك فى السلم . كنت تصعد فى حين كان هو يهبط . وفى ذلك الوقت كان سوليفان لايزال على قيد الحياة ، ولكن بدلا من ذلك قال لو اننى كلفته حقا فهل تظن انهم سيعرفون ذلك ، وهل تظن انهم اكتشفوا شيئا حتى الآن ؟ .. كلا . لا شىء غير تلك المخدرات اللعينة التى لم تكن ملكى .

كان جاويل غاضبا بسبب المخدرات اكثر من غضبه بسبب أوبريان . وقال وهو ينهض :

ـ انهم يتبعوننى الآن كما لو كنت من رجال المخدرات فى حين انه لا دخل لى بها .

ـ لماذا كنت تحتفظ بها اذن ؟

ـ كنت اسدى خدمة لجراسو ، ولم اجن منها اية فائدة .

وفجأة اكتفى كارتر بسماع نواح جاويل وقال :

ـ اظن انها كقصة التريومف وخدعك الصغيرة .. لم تجن منها اية فائدة هى الأخرى .

تحول جاويل اليه وصاح فى صوت اجش وهو يتميز من الغضب :

ـ ابـدا .

سوف ينتهى به الأمر الى أن يفضح نفسه بأكاذيبه البينة او بحقائقه الشديدة الوضوح التى يذكرها احيانا . والقى كارتر كاسه الفارغة على الأرض بجوار مقعده ونهض .

ـ ولم تجن فائدة كذلك اثناء عطلات آخر الأسبوع العديدة التى قضيتها فى نيويورك مع بالمر ؟

صاح جاويل من جديد وقد خرج عن طوره :

ـ كـلا .

قال كارتر :

ـ اننى منصرف .

وخرج .. عرف ما كان يريد ، فان اوبريان هو الوحيد الذى يعرف السر . وعندما غادر بيت جاويل لحظ سيارة مركونة فى الشارع المعتم عند المنعطف . هل كانت موجودة قبل ذلك ؟ لم يتذكر ولم يهتم . كان بداخلها رجل رآه كارتر ، عندما سطع النور الداخلى للسيارة ، ينحنى ويكتب شيئا . كان يسجل وقت

انصرافه دون شك . ونظر كارتر هو الآخر الى ساعته تحت نور مصباح قريب . كانت الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين .

وعندما عاد وجد هازل مستيقظة ، ولم تكن قد استبدلت ثيابها بعد .. كانت متكومة فى ركن من الأريكة ، ومن غير حذاء ، منهمكة فى قراءة أوراق منسوخة على آلة النسخ جاءت بها من المكتب . وابتسم لها وهو يعلق معطفه فى الدولاب ، وسألته قائلة :

ـ حسنا ؟

دخل كارتر غرفة المعيشة فى بطء وهو يفك أزرار سترته وقد أسعده انه عاد الى بيته وقال :

ـ لم يدفع جاويل لأوبريان ، ولا يدرى كيف يفعل .. انه يزعم طبعا انه لا يدين له بشىء .

ـ هل اكتشفت شيئا كنت تجهله ؟

ـ ان جاويل مضطرب جدا لأن البوليس يتعقبه بسبب المخدرات التى كانت لديه .

ـ كيف ذلك ؟ .. يتعقبه ؟ لا يبدو انهم يفعلون شيئا معه .

ـ كلا . انهم يرخون له الحبل ، ولكنهم سوف يغرمونه طبعا ، وهم يترصدون امواله بحيث لا يستطيع أن يدفع اى شىء لأوبريان . (وضحك ثم أردف) وهم يتعقبونه فى كل مكان ، وكانت هناك سيارة واقفة فى الشارع أمام بيته .

اضطربت هازل وقالت :

ـ معنى ذلك انهم رأوك .

ـ اجل ، ولكن ذلك لا يهمنى على الاطلاق . بل لعله كانت هناك آلات تنصت فى الشقة ، وهـذا أيضا لا يهمنى ، فقد حاولت أن اكتشف ما يعرفه جاويل ، والبوليس يحاول نفس الشيء .

كان كارتر جالسا فوق الأريكة ، ليس قريبا من هازل . ولكنها القت فجأة يدها على يده اليمنى ، فضغط كارتر على أصابعها . كان الأمر كأن هذه اللمسة تحل محل كل كلمات الحب والاخلاص التى لم تكن هناك حاجة الى أن تقال .

جز على اسنانه . كان قد قال لهازل انه يعتقد أن تجربة جهاز الكذب على أوبريان كشفت عن بعض الاضطرابات الداخلية فيه أكثر منه هو على كل حال . وكان ذلك صحيحا ، ولكن هذه الملاحظة ضخمت الكذبة الكبرى ، فان هازل لم تقتنع بقوله هذا ، وكانت قد سألته فى نيوهامبشاير عن الهلوسة التى يمكن أن تصدر منه . واستمر فى كذبه الليلة لأنه يحبها ، فقد كانت ضرورية لحياته هو بالذات .. اهذا حب أم انانية ؟ .. وجذب هازل اليه وامسكها بين ذراعيه .

لم تستجب ، ولكنها بقيت بين ذراعيه دقائق طويلة .. دقائق كثيرة رائعة .. ودفعته عنها أخيرا فى رفق قائلة :

ـ اظن ان الوقت متأخر .

لم يحاول الاصرار ، ولم يلمس هازل اكثر من ذلك ، ولكنه كاد يطير من الفرح والسعادة والتفاؤل فيما يخصهما معا .

- ٢٦ -

تساءل كارتر عم يفعل البوليس فيما عدا الانتظار . الا بد من كل هـذا الوقت لمعرفة موارد جاويل ، والتحقق من تحركات أمواله فى البنوك ؟ هل ينتظرون مثلا أن يفرغ صبر أوبريان فينقض على جاويل للمطالبة بنقوده ؟ كان ذلك واضحا ، ولكن أوبريان لن يقدم على هذه المغامرة . وأصاب هذا الجمود الجماعى كارتر بالتوتر والعصبية ، كما أصاب هازل هى الأخرى . اما الوحيدون الذين طمأنهم هـذا الجمود ، فهم جنكنز وفيلد وباتر وورث ، فان مجىء كارتر فى الساعة التاسعة من صباح كل يوم كان خير دليل على أن البوليس تركه وشأنه لأنه برىء .

قال له باتر وورث صراحة :

ـ يبدو لى كل هذا امرا بين جاويل ودافيد و ...

واكمل كارتر نيابة عنه فقال :

ـ وزوجتـك .

ـ بل أعتقد إنه بين جاويل وسوليفان .

كان باتر وورث يتكلم فى شىء من التردد ، ولكن كان واضحـا انه يريد مجاملة كارتر .

كان البوليس يركز على دافع جـاويل . وكانت الجرائـد

تتكلم كل يوم عن أوبريان ، وعن الاستجوابات المتكررة التى يتعرض لها : « استجوبه البوليس اليوم فى مسكنه بجاكسون هيتس » ، ولكنها لم تذكر اذا كان لايزال يحتفظ بوظيفته فى البار ، غير انه لم يكن خلف القضبان على كل حال .

ولكن فى الساعة السادسة من مساء الأربعاء ، ما ان دخل كارتر مسكنه حتى صلصل جرس التليفون . وكان المتكلم أوبريان وافصح عن شخصيته على الفور واستطرد :

ـ يمكنك ان تعيد السماعة اذا سمعت زوجتك تعود ، فلا استطيع أن ارى باب بيتك من المكان الذى اتكلم منه . ولكننى أعرف انها لم تعد بعد . اننى بحاجة الى نقود يا مستر كارتر .. خمسة آلاف دولار .

حدس كارتر أنه سيطلب منه ذلك بمجرد أن سمع صوته ، وقال :

ـ لعل تليفونى تحت المراقبة .

تردد أوبريان لحظة ثم قال :

ـ ماذا تعنى بكلمة « لعل » ؟

ـ لا ادرى . ولكنك لا تستطيع الحصول على نقود ، فان البوليس سيكتشف ذلك على الفور .

ـ أوه ، اذا كانت النقود سائلة فكلا . اننى بحاجة اليها .. يوم الجمعة ، ولست بحاجة يا مستر كارتر أن أقول لك والا ..

كان أوبريان يتكلم وهو واثق من نفسه كل الثقة . وأردف :

ـ ان لديك هذا المبلغ وانا اعرف ذلك . اسحبه من حسابك فى البنك .

لم ينطق كارتر بشيء ، واستطرد اوبريان يقول فى بطء ووضوح :

ـ سأحدد لك موعدا . الشارع العاشر والشارع الثامن .. الناصية الغربية الشمالية .. ليل الجمعة ، الساعة الحادية عشرة . هل سمعت ؟ ستأتى معك بالنقود .. أوراقا مالية من فئة الخمسين والمائة دولار . وتعال فى الموعد المحدد .. والا فسوف اتصل بالبوليس فى الحادية عشرة والنصف . هذا كل شيء يا مستر كارتر .

اعاد كارتر السماعة مكانها ونظر الى غرفة تيمى أوتوماتيكيا . كان النور مطفأ ، والباب مفتوحا على مصراعيه .. أين تيمى ؟ .. ومضى فعلق معطفه فى الدولاب . ان الخمسة آلاف دولار ستكون البداية كما يقول ضحايا المبتزين دائما . واذا القى القبض على اوبريان بالخمسة آلاف التالية أو حتى الأولى فسوف يسألونه عن مصدرها . سيقول لهم انها من كارتر . ولماذا ؟ ويمكن لأوبريان أن يذكر لهم ذلك أيضا لن يقول انها من جاويل لأن جاويل سينكر ذلك تماما بل انه سيفهم الحقيقة على الفور ويعرف ان كارتر دفع لأوبريان ثمنا لصمته . وقد يتضح من ذلك أن أوبريان كان فى بيت سوليفان بالطبع . ولكن طالما أنه لم يرتكب الجريمة فسوف تبقى نية جاويل لقتل سوليفان مجرد نية أو شروعا فى القتل وليس جريمة .

قال كارتر يحدث نفسه :

أنت فى موقف عسير يا مستر كارتر . ومع ذلك فقد احس بهدوء تام .. لا يفكر فى شيء فيما عدا فكرة ساذجة وغريبة وهى أن عليه أن يقتل أوبريان . سيمضى لمقابلته ويناوله الخمسة آلاف دولار وهو يقول له فى هدوء :

ـ حسنا يا أنتونى . الآن وقد حصلت على ما تريد فلتكن

هذه هى المرة الوحيدة .. اذا استطعت أن تقوم بدورك ببرود وأن تنكر كل شىء فسوف يبقى كل منا حرا طليقا . هل اتفقنا ؟ ولكن الرجال الذين من شاكلة أوبريان لا يوفون بوعودهم أبدا . سوف يتملكه الاغراء لطلب المزيد من النقود . ولو إنه لم يشعر باغراء المال لما قبل أبدا أن يكون قاتلا أجيرا ويرتكب جريمة قتل . وابتسم كارتر ابتسامة مريرة كرجل وجد نفسه فجأة وقد انغرزت قدماه فى الروث حتى كاحليه .

كانت الساعة السادسة وعشر دقائق . وكانت هازل قد قالت انها لن تعود قبل السابعة . لأن لديها أعمالا كثيرة فى المكتب تريد الفراغ منها . وكان كارتر يعرف أنها قد تبقى حتى الثامنة ، فهن ظريفات معها فى المكتب ويحسن التصرف معها تقريبا . وقد تهربت من الرد عليه عندما سألها كيف تعاملها مديرة المكتب ، وهى امرأة مهيبة تدعى جينى جوبلن . ومسز بيرس وفانى السكرتيرة . لن يلومها أحد طبعا على فجورها ، وخصوصا فى أيامنا هذه . ولكنهن يتباهين بفضيلتهن امامها طبعا ، وهذا أسوأ . بل لعلهن يفتخرن بتسامحهن معها فى حين أنهن يحسدنها فى الواقع ولكن الحقيقة الفظيعة تبقى وهى أن زوجها كان سجينا ومع انهن جميعا سبق أن التقين به ، وخصوصا فانى ، عندما أقبل ذات يوم لاصطحاب زوجته وقالت عنه انه رجل وسيم محترم كغيره من الرجال فانهن يرين الآن انه رجل شرير ، يخفى ظاهره باطنه ، ولا يتردد أبدا عن ارتكاب جريمة قتل فى مثل تلك الظروف. ولهذا كانت هازل تعمل حتى وقت متأخر لأن عملها فى المكتب اصبح متزعزعا الآن .

قال كارتر :

ـ فليذهب الجميع الى الشيطان . ثم مضى الى المطبخ ليصب لنفسه كأسا . وبينما كان يفعل انفتح الباب فخرج الى

غرفة المعيشة وكأسه فى يده ظنا منه ان هازل عادت ، ولكنه كان تيمى .

نظر تيمى اليه فى تحفظ ، وخلع قبعته وقال :

ـ مساء الخير .

رد عليه كارتر تحيته وساله :

ـ اين كنت ؟

ـ أوه ، خرجت لكى اشترى مدادا ، والتقيت بستيفن فقمنا بجولة .

وابتسم تيمى وهو ينظر اليه ، وبقعة من شراب الشيكولاته على جانب من فمه . واخرج لسانه وامتصها . وابتسم كارتر وقال :

ـ منذ متى وانت تدور على الصيدليات ؟

احنى تيمى راسه وهو ماض الى غرفته ، ولكنه كان يبتسم . وتوقف وقال :

ـ هل عادت أمى ؟

ـ ليس بعد . قالت انها ستتأخر قليلا .

دخل تيمى غرفته ، واضاء النور ، ولكنه لم يغلق الباب . ووقف كارتر ينظر الى الباب الموارب شاكرا وممتنا ، كما لو انه ذراعان مفتوحان . قبل ذلك بعشرة أيام ، كان تيمى يغلق الباب ، ويغلق قلبه واذنيه . وفكر كارتر أن هذا التحول يرجع الى قوة الصحافة والراى العام ، والى أن زملاءه فى المدرسة كفوا عن ملاحقاتهم ومضايقاتهم له ، وانهم يرون الآن ان أوبريان قد يكون هو القاتل . أو لعلهم ، بكونهم صبية ، سئموا هذه القصة .

وبذلك أصبح تيمى فى حال أفضل عن ذى قبل . وهذا أروع شيء عند الأطفال ، فسرعان ما تخف أزماتهم . ورأى كارتر أن علاقة هازل بسوليفان قد تبخرت من رأس تيمى كما تبخر منها موت سوليفان . وبعد سنوات ، عندما يكبر سيفهم معنى تلك العلاقة . وستظل عالقة بذهنه ، ولكنهـا فى الوقت الحـاضر ، وهو فى الثانية عشرة ، قد تبخرت فعلا من ذهنه .

فى الوقت الحـاضر .. ليل يوم الجمعة .. بعد ثمـان وأربعين ساعة .. كان له فى أحد البنوك خمسة آلاف دولار ، وألفا دولار فى بنك آخر وكانت هازل قد قالت منذ شهر انهما يجب أن يسحبا ثلاثة آلاف دولار لكى يعهدا بها الى اليوت لاستثمارها بدلا من بقائها فى البنك دون استغلال . واذا سحبها فانه يستطيع أن يقول انه أعطاها لاليوت ، ولكن فيم يستثمرها ؟ ثم أن اليوت سيقول انه لم يتسلم شيئا ، وهى لن تكون نهاية لأوبريان ، وليس من المستبعد أن يتهمهما البوليس معا . ثم أن من الممكن أن يبتز أوبريان منه خمسين الف دولار .. وابتسم فى عصبية ، ولن يغيب الأمر عن هازل . وراح يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا ، ينصت الى اقل حركة يمكن ان تصـدر من قدمى هازل على السلم ، ويحاول أن يفكر فى نفس الوقت . وصب لنفسه كأسـا آخر من الويسكى بالمـاء .

اذا استطاع أن يقتل أوبريان سيغدو كل شيء سـهلا .. ذلك اذا قتله وأفلت بجلده .

سوف تكون الجريمة كما لو انها من عمل رجل آخر من رجال جاويل بالطبع . فان جاويل يريده ميتا فبذلك لا يتكلم أوبريان ، ولن يضطر هو الى أن يدفع له أى شيء فى نفس الوقت .

الشارع العاشر والشارع الثامن .. ان المكان بعيد جدا .. وربما تكون الأنوار فيه ضعيفة ، وتخيل فجـأة أن شرطيا قد

يتبع أوبريان . سيكون هنـاك من يتبعه طبعا ، ما لم يكن من الدهاء بحيث يتخلص من تابعه . وسينقض ذلك الشرطى عليـه ويقول :

ـ حسنا يا كارتر . هذا ما كنا نريد أن نعرفه . وراح كارتر يذرع الغرفة من جديد .

كلا . لن يدفع له شيئا مهما تكن الأفكار التى تدور بذهنه من هنا حتى يوم الجمعة . ثم ان فكرة الابتزاز ربما أوعز بهـا البوليس لكى يرى اذا كان يقبل أن يدفع له . وربما كان البوليس واقفـا بجوار اوبريان اثنـاء حديثـه معه بالتليفون . وأحس بالارتياح شيئا ما لأنه لم يقل لأوبريان انه سيأتيـه بالنقود . ولكنه لم يقل شيئا كذلك عندما قال له اوبريان : انت تعرف يا مستر كارتر والا .. وجفف مسحة العرق التى تفصدت من جبينـه .

لم ير حلا آخر سوى أن يقتل أوبريان .. ان يقنعه بالسير قليلا نحو الغرب ، نحو هدسون ريفر حيث الشوارع أكثر عتمة ، وان يسحب شيئا من جيبه كما لو أنه يخرج النقود ، ويعمل على أن يقترب أوبريان منه بما يكفى ثم يعاجله بالضربة التى تقتل كما قال الكس . فكر فى بدن أوبريان الضخم وفى ابهامه الذى يؤلمـه ، وتهالك فوق المقعد ونظر الى يده اليمنى . كان يضغط بأصبعه الأصـغر على سبابته اسـتعدادا للضربـة الجانبيـة . لم يكن جانبـا يديه خشنين ، وحتى اذا أفلح فسـوف يعرف البوليس من الدكتور كاسينى أو من هازل انه يعرف الجودو . يجب أن تتحطم عظام رقبة أوبريان ، ولابد أن يستخدم شـيئا كالحجر . ونهض كارتر من مقعده .

عادت هازل فجاة بحيث اجفل ، فابتسمت واغلقت البـاب وقـالت :

ـ لم اقصد ان اخيفك .

تقدم نحوها فى بطء ، ومد يده اليمنى ، فجاءت الى ذراعه الممدودة ، واعتمدت على صدره . وقال :

ـ هل أعد لك كأسا ؟

اجـــابت :

ـ نعم ، اذا تكرمت .

كانت فى شدة الارهاق والاعياء ، فغسل الأطبـاق وجففها تيمى ووضعها فى أماكنها . وقال كارتر وهو ينضو عنه ثيابه استعدادا للنوم : يجب أن أتناول العشاء مع جنكنز وباتر وورث مساء الجمعة . انهما يريدان أن ألتقى بعميل جديد ، وقد خطر لى انك قد تريدين زيارة أحد .

قالت ووجهها يكاد يكون مدفونا فى الوسادة :

ـ لا أريد شيئا الا أن أنام .

وهكذا اعد نفسه ليوم الجمعة .

فكر ايضا ان يتخلف عن لقاء اوبريان ، فهو لن يتصـل بالبوليس على الفور ، ما لم يكن فى موقف شديد الحرج وميئوس منه جدا ، وهو لم يصـل الى هذا الموقف بعد كمـا هو واضح سينتظر وسيحاول طلب النقود مرة اخرى . ولكن الى متى يمكن أن يستمر هذا . ان خسارته ستكون أقل اذا أبلغ عنه عن تعرضه للمحاكمة بتهمة القتل ، وقبل أن يتعرض للمحاكمة سيذكر الحقيقة طبعا . كان الأمر الواضح الآن انه فى قبضة اوبريان . وجاء يوم الخميس ولم يصل الى حل آخر غير الذى استقر عليه .

كان واقفا أمام نافذته ينظر الى البواخر التى يخفى الضباب نصفها فى الايست رايفر ، والى بعض المقطورات التى تشق طريقها

نحو الأطلنطى . وفى الناحية الأخرى لمانهاتن سفن اخرى جميلة تدخل الميناء أو تنطلق الى اوروبا أو أمريكا الجنوبيـة أو جزر البهاما . بعد ثلاثة شهور قد يتيح له القدر أن يكون على سطح سفينة هو وهازل ، بعد أن يستتب كل شيء . الا يستحق كل ذلك أن يقتل أوبريان ؟

واذا اتفق وذكر أوبريان الحقيقة ولم يصدقوه ، واذا حوكم وادين ، فان قصته ستترك ظلا من الشـك القاتل ، وتتسبب فى جرح فتاك فى ذهن هازل ، وفى اذهان الكثير من الناس . وحتى اذا صمد للاستجوابات الصـارمة التى سيلاحقه البوليس بها فان الشك سـوف يبقى ، ذلك اذا ذكر أوبريان الحقيقـة باقناع وسوف يفعل لأنها الحقيقة .

دعـا كارتر وهـازل فيليس ميلن لتنـاول العشـاء يوم الخميس . ومن جديد لم تصدر اية اشارة الى القاتل الذى لم يكتشف أمره بعد ولا الى ما يفعله البوليس . وعنـدما قدمت القهوة صلصل جرس التليفون . وتكلم آل لافرتى .. تحدثت هازل مع مسز لافرتى أولا ثم مع زوجها . وبعد لحظـة طلب هذا الأخير ان يتـكلم مع كارتر ، وقـال له فى مرح . وفى لهجـة لا تتطلب ردا :

ـ حسنا يا فيليب . ما هى آخر الأخبار ؟ تقول زوجتك ان لديكم ضيوفا ، ولهذا قد لا تستطيع أن تتكلم . ولكننى أردت ان احييك ، وان اتمنى لك اطيب الأمانى .

قال كارتر :

ـ شكرا جزيلا .

كان موليا ظهره لهازل وفيليس ، وكانتا فى آخر الغرفة ،

يتحدثان معا . وأردف : لم يتغير الموقف منذ أيام كثيرة ، وهذا كل ما أعرف .

ــ وهل تقول الجرائد كل شيء ؟ .. اعنى كل مايجب معرفتــه ؟

أجاب كارتر :

ــ نعم . فيما عدا غضب جاريل ، وفيما عدا نفاد صبر أوبريان من الحصــول على نقوده . هــذا كل شيء . واذا جد جديد فانا واثق ان هازل ستطلعك عليه .

واذ فرغا من حديثهما ، عاد كارتر الى المــائدة ليصــب الكونياك فى الكئوس . كانت يده ثابتة جدا ، أو بالأحرى ، يداه الاثنتان لأنه كان يستخدمهما فى الامســاك بالزجاجة . وقــالت هــازل :

ــ جميل منهما ان اتصلا .

جلس كارتر وقال :

ــ نعم ، وانني أحبه .

ــ يجب أن ندعوهما ذات يوم . أنك تعرفين آل لافرنى يا فيليس ؟ .. أليس كذلك ؟

أجابت فيليس انها تعرفهما .

واستمر الحديث . وأصغى كارتر اليه فى غير اهتمام . كان ينظر الى تيمى ، وكان يلتهم الجيلاتى .. كان يلبس بذلته الكحلية اللون وقميصــا ابيض وربطــة عنق زرقــاء ، ودارت اسطوانة جديدة ، وراحوا يستمعون الى موسيقى والحـــان جولدبرج . وطرف كارتر بعينيــه ليطرد الدموع التى لا معنى لها . وأخــذ فى تلك الليلة قرصــا من اقراص السيكونال التى تساعد على النوم والتى تتعاطاها هازل لكى تنام .

- ٢٧ -

فى مساء اليوم التالى ، فى نحو الساعة السابعة ، أخذ كارتر كأسين من الويسكى بالماء ، جرعهما فى بطء شديد فى بارين مختلفين بالشارع الأربعين شرق . ولكن رغم ذلك مر الوقت ببطء لا يحتمل .

اتصل بجاويل تليفونيا ، ووجد انه خرج ، أو لعله لم يرد عليه ، فماذا يستنتج من ذلك ؟ هل يحتجزه البوليس للتأكد من أنه لن يطلعه أن هناك من يتبع أوبريان الليلة . ولكن لماذا يطلعه جاويل على ذلك ؟ ليس لهذا أى معنى . وراح يدير قرص التليفون كل ربع ساعة . وفى الساعة التاسعة أصبح الأمر ملحا عليه لكى يجد جاويل ، واستعد لكى يذهب الى بيته لكى يرى هل هو موجود ولا يرد على التليفون .

وازداد اقتناعه بأنه يوشك على الوقوع فى كمين أعده البوليس . وراح يتلفت كثيرا لاكتشاف شخص له هيئة شرطى فى ثياب مدنية ، بحيث لفت أنظار الناس اليه ، فأرغم نفسه بعد لحظة على عدم التلفت .

وفجأة ، دخل سينما بالشارع الثالث والعشرين ، وراح يشعل السيجارة اثر السيجارة وينظر الى ساعته كل لحظة . وفى الساعة التاسعة والربع لم يستطع البقاء مكانه فخرج وسار نحو الجنوب ، ودخل أول كشك للتليفون ، واتصل بجاويل ،

وفى هذه المرة رد عليـــه هذا الأخير ، فأوشـــك ان يتنهد لفرط ارتياحـــه .

سأله جاويل فى شىء من القلق اطمأن له كارتر :

ـ ماذا تريد الآن ؟

ولم يكن لدى كارتر ما يقوله ولكنه سأله قائلا :

ـ هل نقدت اوبريان أجره ؟

اجاب جاويل :

ـ كلا . وهل نقدته أنت ؟

قال ذلك بوضوح بحيث انفجر كارتر ضاحكا .. ضحكة من قلبه . واحس عندئذ بأنه على ما يرام ، كتلك المرات التى ضحك فيها فى السجن من القدر ومن الحقيقـــة ومن الحوادث الشيطانيـــة . ولكن لهجـــة جاويل كانت تدل على الخطـــورة ، أو بالأحرى على المرارة الشديدة . وكان ذلك من طبعه . وازداد اطمئنان كارتر فجـــأة وقال :

ـ هل ستكون فى البيت بعد قليل ؟ .. ربما جئت لزيارتك، فلدى شىء يجب أن أخبرك به .

وأعاد السماعة قبل ان يتمكن جاويل من النطق بشىء . وغادر كشك التليفون ، وراح يمشى مسرعا . لمـــاذا ؟ .. حسنا .. كان يعرف الآن لمـــاذا .. كان يخلق له دليلا على بعده من مكان الجريمة فى الساعة الحادية عشرة ولم يلبث أن أبطأ فى ســـيره ليدخر قوته ، ولكن شيئا بداخله استمر فى الاسراع حتى وهو يدخر نشاطه .

بلغ ناصيتى الشارع العاشر والشارع الثامن قبل الموعد

بخمس دقائق . واقبل أوبريان قادما من وسط المدينـة ، وكان يمشي بهدوء وفي يده اليسرى جريدة . وكان يرتدى قبعـة ومعطفا خفيفا مفتوحا يتدلى حزامه على جانبيه . ورأى كارتر فأشـار اليه بالجريدة ، وانضم كل منهما الى الآخر ، على بعد بضعة أمتار من الرصيف ، كانت البيوت هنـاك معتمة ، بها جراجان مغلقان . ونظر أوبريان خلفه وقال :

ـ الم يتبعك أحد ؟

أجاب كارتر :

ـ كـلا .

ـ هل تحققت من ذلك ؟

ـ نعـم .

كان اوبريان يبدو أطول من كارتر بنحو عشرة سنتيمترات ، وكان ضخما فى معطفه المفتوح ، ولكن كارتر كان يعرف انه اطول منه بقليل ، وأثقل وزنا وأكثر قوة .

ـ وانت ؟ .. هل تبعك أحد ؟

قال أوبريان فى مسكنة وهو ينظر أمامه مباشرة :

ـ أوه ، طبعا .. كما هى العادة دائما . ولكننى تنقلت فى سيارات أجرة كثيرة ، ولم يعد هنـاك من يتبعنى الآن . وأنـا لا أهتم بذلك على العموم .

وابتسم ابتسامة خفيفة ، ونظر الى كارتر وأتى بحركات عصبية من يده اليمنى التى تمسك بالجريدة الآن وسأله :

ـ هل جئت بالنقود ؟

أجاب كارتر :

ـ نعم .

وراح يتقدم ، خطوة ، خطوتين ، ثم ثلاث . كانا يسيران ببطء وهما يتكلمان وقال كارتر :

ـ ولكن أريد ان اسألك يا اوبريان ... اهى الدفعة الأخيرة او ماذا اتوقع ؟

ضحك اوبريان ضحكة قصيرة عصبية وقال :

ـ الواقع اننى لست بحاجة الى ان اقول لك .. حسنا .. انها الدفعة الأخيرة ، ما لم يضايقنى البوليس وأتعرض لكسر اسنانى وتحطيم انفى من اجلك .

تبين كارتر لهجة العداء فى العبارة التى نطق بها اوبريان . كان هناك شىء .. كما كان الأمر معه تماما ، وهو فى السجن ، بين المساجين الذين كان يعايشهم ويعادونه بسبب صداقته لماكس . كان أوبريان مبطئا ، وأمامهما فى الركن الأيسر ، امام شارع جرينوتش ، أو ما اعتقد كارتر انه شارع جرينوتش ، واجهة سوداء لا نوافذ بها ، بدت كما لو كانت مخزنا ، يحدها من أسفل سور من الحديد ارتفاعه نحو ثلاثة امتار ، وفى ركن الشارع مصباح . واجتاز رجل شارع جرينوتش ، واقبل نحوهما ، ولكن على الرصيف المقابل .

توقف اوبريان وقال :

ـ حسنا ؟

نظر كارتر الى الرجل الذى على الرصيف المقابل ، والذى كان يمشى أمامهما الآن دون ان يوجه اليهما اى اهتمام ، ودس يده فى جيب معطفه الداخلى واخرجها فارغة ، وقال وهو يشير الى المصباح :

ـ هلم بنا هناك ؟

سأله أوبريان فى ارتياب :

ـ لماذا ؟

لأننا بجوار بيوت يحتمل ان يخرج منها أحد .. ورأى كارتر ان المخزن فى مكان مقفر ، وقال وهو يجتاز الشارع قبل أن يتمكن اوبريان من الاحتجاج : المكان هناك أكثر امنا .

تبعه أوبريان ، ولكن فى بطء وأخيرا ، عندما بلغ كارتر الرصيف الذى به المخزن ، لم يكن بينه وبين أوبريان أكثر من خمسة أمتار . وتلفت أوبريان يمينا وشمالا . وانعكس نور مصباحى سيارة على شارع جرينوتش ، ولم تلبث ان انطلقت بعيدا .

إحنى كارتر راسه ، وبدأ على صدره تقريبا كما لو كان يعد الأوراق المالية التى اخرجها من جيبه . كان واقفا على بعد نحو خمسة عشر قدما من المصباح ، مواجها اياه . وجاء أوبريان خلفه وهو يقول :

يا الهى ! .. هل يجب أن تعدها ثانية ؟

استدار كارتر بحيث أولى ظهره للنور ، وبذلك لم ير أوبريان انه ليس معه شىء ، ورفع يديه مرة واحدة وامسك بأوبريان من ذراعه ، ولم يكن هذا الأخير يتوقع منه ذلك ، ولكنه طوح براسه الى الخلف ، وهذا ما كان يريده كارتر بالذات . وانقض اوبريان عليه بيد يمنى سريعة ، ولكن كارتر تفاداها ، وضربه بسيف يده اليسرى ، بين مقدم الرقبة وجانبها ، فى مكان لا تتحطم فيه اية عظمة . وبدا أن جسد أوبريان لم يتأثر ، ولكنه اضير . وعاجله كارتر بضربة أخرى بيده اليسرى ، وأخرى بيده

اليمنى ، فى مؤخر الرقبة ، تحت المخ بالذات . ووقع اوبريان على الأرض ، واستخدم كارتر عندئذ قدمه وراح يضربه بها فى راسه . ونظر حوله ، ورأى حجرا أسمنتيا ضخما ، ولكنه لم يستطع رفعه لأنه كان جزءا من دعامة السور الحديدى ، فركله بقدمه من جديد ، فى مؤخر رقبته . ولم يتحرك أوبريان . وكان فى مقدور كارتر ان يركله فى وجهه ، ولكنه لم يستطع أو لم يفعل .

ــ ايه .. ما هذا يا صاح !

أسرع كارتر بالجرى هربا من ذلك الصوت ، وانعطف الى أول شارع على يساره ، نحو الشرق ، ثم راح يهرول فى بطء ، مستظلا بجدران البيوت ، فى الناحية الشرقية من الشارع ، لأنه راى رجلين يأتيان نحوه . وبدأ كارتر يمشى بهدوء ، فان ذلك الذى صاح به لا ريب سيفحص أوبريان أولا ، وبذلك تمر بضع ثوان قبل ان يشرع فى مطاردته واجتاز شارعا دون أن يعبأ اين يؤدى ، وكان يسير الآن بطريقة عادية من غير اسراع ، رغم انه احس انه مبطىء . واتجه نحو الجنوب ، وراح ينعطف شرقا عند كل شارع . واحس بشىء يسيل من الأصبع الصغرى ليده اليمنى فرفع يده ورأى انه دم ، فامتص المكان الذى يوخزه ، واحس تحت لسانه بقطع صغير فى جانب يده . واخرج من جيبه كلينكس وضغطه على الجرح وهو يمشى مستخدما الدم الطازج لازالة الدم المتجمد على أصبعه . وعندما ابتلت الورقة القاها فى صندوق للقمامة واخرج منديله من جيبه .

كان الآن جنوب ميدان واشنطن ، ووجد سيارة اجرة امام كباريه فطلب من السائق أن يمضى به الى ميدان التايمز ، وحاول ان يسترخى فى السيارة ومدد ساقيه وهو يضغط بالمنديل على الجرح.

سأله السائق :

ـ فى أى مكان من ميدان التايمز .

قال كارتر لمجرد الحديث :

ـ ناصية الميدان .. امام الشارع السابع .

جف الجرح ، واقلح كارتر فى ربط المنديل مستخدما أسنانه، بطريقة لا يظهر منها الدم فى الخارج . ثم نقد السائق دولارين كان قد أعدهما فى يده وقال :

ـ احتفظ بالباقى .

وسار حتى الشارع الخامس ، واستقل سيارة أجرة أخرى، وتذكر ان السائقين يحجمون عن المضى الى مانهاتن فقال :

ـ هل يمكن أن تمضى بى الى جاكسون هيتس ؟

قال السائق :

ـ حسنا .. واين بالذات ؟

ـ سأرشدك عندما نصل هناك .

وعندما بلغا جاكسون هيتس ، انحنى كارتر نحو السائق وقال له أن ينطلق نحو اليمين ، ثم نحو اليسار وان يقف أخيرا . وكانا قد وصــلا الى مفترق للطرق به مطاعم وبار . وكان كارتر يعرف انه على مسار نحو خمس دقائق من بيت جاويل . ونقد السائق أجره ، وسار على قدميــه حتى بيت جاويل ، وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة الا الربع .

توقف كارتر فى شارع معتم وهو يقول لنفسه ان لا حاجة به الى الذهاب الى بيت جاويل ، وان فى مقدوره أن يستقل سيارة أجرة اخرى ويعود الى البيت . دون أن يبدل السيارة فى منتصف

الطريق . ولكنـــه أحس بأنه غير قادر على العودة الى بيته على الفور ، فعرج على تاجر خمور كان على وشـــك اغلاق محـــله واشترى زجاجة من الويسكى .

حدث نفسه قائلا : « سأبقى نصف ساعة » ربما يتضايق جاويل عندما يراه فى مثل هذه الساعة ، ولا يدعوه للدخول ، واذا حدث هـــذا فسوف يعطيه زجاجة الويسكى وينصرف . وفى مقدوره طبعا البقاء أكثر من نصف ساعة . لم يكن فى استطاعته التنبؤ بشيء . وفك المنديل ونظر الى يده تحت نور أحد المصابيح، كان الجرح عبارة عن شق صغير جدا فى جانب يده ، بين ركيزة الأصبع الصغرى والمعصم ، ربما كانت أسنان أوبريان هى التى انغرزت فى اللحم وأحدثت هذا القطع . ولكنـــه كان قطعا صغيرا جدا لا يكاد يلحظ .

لم يرد جاويل على جرس الباب العمومي للبيت ، ومع ذلك فقد استقل المصعد ، وطرق باب الشقة . وسمع بعد لحظة خطوات جاويل الثقيلة ، وانفتح البـــاب . كان جاويل مرتديا البيجامة وفوقها روب دي شامبر وقال :

ـ انك تأخرت .

ـ وهل تأخرت كثيرا ؟ .. هاك بعض الويسكى .

ابتسم جاويل ابتسامة خفيفة وقال :

ـ أراك قد وفيت بوعدك ، حســـنا .. ادخل وتنـــاول كأســـا .

ودخل غرفة المعيشة وهو يقول :

ـ ما الذى أخرك ؟

قال كارتر :

ــ عشاء عمل مع رجال المكتب ، واخذنا نثرثر بعد ذلك ، وانت تعرف ما يدور عادة .

اعد جاويل كأسين فى المطبخ ، وقال عندما عاد بهما :

ــ حسنا . ماذا تريد ان تقول لى ؟

رفع كارتر كأسه فى بطء ، نخب جاويل قبل ان يشرب ، وعندما افرغ نصفها خلع معطفه ، وتهالك فوق مقعد ، وقال وهو يعقد ساقيه :

ــ انك سألتنى عن هازل ، واردت ان اقول لك ان الأمر بيننا على ما يرام .

لم ينطق جاويل ، ولكن كارتر راى انه يصدقه . وقال جاويل اخيرا :

ــ يبدو ان عشاء العمل كان يفتقر الى الويسكى .

ابتسم كارتر وقال :

ــ كان عشاء صينيا ، واحتسينا الكثير من الشاى .. ولكن ...

ونهض وسار نحو المطبخ وهو يقول :

ــ هل تتضايق اذا صببت لنفسى كأسا ؟

اجابه جاويل :

ــ ابدا .

صب كارتر لنفسه كأسا . وبعد ان اضاف اليه الماء ،

غسل الدم الذى حول ظفر اصبعه الصغير . كان القطع قد جف الآن تماما . وأخرج المنديل الملوث بالدم ، وتردد بين أن يلقيه فى صندوق القمامة أو فى ماسورة المرمد ، واستقر على الرأى الثانى ، ففتح المرمد دون أن يحدث صوتا ، وقال وهو يعود الى غرفة المعيشة :

ـ اعتقد اننى يجب أن اخبرك بما اطلعنى أوستريخر عليه اليوم . ان لديه كل المعلومات التى جمعها سوليفان عنك ، وهو متأثر جدا بها .. من حيث الدافع على قتل سوليفان .

صاح جاويل وهو يقف :

ـ كلها اكاذيب !

ـ هذا ما قاله لى على كل حال ، وهو مدعاة لارتياحى وازعاج شديد لأوبريان . ماذا ستفعل معه ؟ .. الا تظن أنه يشكل خطرا عليك ؟

صاح جاويل فى انفعال شديد بحيث اهتز الكأس الذى فى يده وانسكب بعض ما فيه على الأرض :

ـ اسمع . سأقول لك اخيرا .. ان دركسل هو الذى وراء عملية الاختلاس .. لقد حصل على اكبر جزء من المبلغ .. حصل على نصفه على كل حال ، وحصل بالمر على النصف الآخر .

طرفت عينا كارتر . ذلك العجوز المتدين الوقور الذى لم يشك فيه البوليس ، ولم يستجوبوه تقريبا .. لم يستجوبوه عن احتمال اشتراكه فى عملية الاختلاس وانما استجوبوه عن اخلاقيات موظفيه .. دركسل الذى اسكت ضميره بدفع جزء من مرتبه ، والذى استمر بعد كارثة المدرسة يبنى مدارس اخرى كثيرة

بنفس الشروط ، ولم توح اليه الأزمة التى تعرض لها ، حتى وهو على فراش الموت ان يرضى ضميره ويعترف بذنبه .. والغريب أن سوليفان لم يشك فيه لحظة واحدة .

وانتهى كارتر بأن قال وقد ومض فى ذهنه وميض خفيف :

ـ حسنا . لا عجب اذن فى انهم فشلوا فى معرفة اين ذهبت كل هـذه النقود .. نصف المـائتين والخمسين الف دولار .

ـ اخفاها دركسل كلها .

ـ ولم يعرف سـوليفان ذلك بالتأكيـد .. أم تراه كان يعرف ؟

قال جاويل :

ـ بل لم يعرف .

ـ ولمـاذا لم تقل له ذلك ، خصـوصا بعد موت دركسل.. انه مات منذ شهور .

تهالك جاويل فوق الأريكة من جديد ، ولكنـه انحنى الى الأمام وقـال :

ـ سأقول لك لمـاذا ؟ .. اردت أن أراه يفشل .. نعم ، اردت أن اقتله ، وانت تعرف ذلك .

نعم ، كان كارتر يعرف ذلك . أراد جاويل بهوسـه العجيب ان يؤجج حقده لسوليفان بأن يجعله يستمر فى البحث عن أدلة ضده ، وقال :

ـ لابد انك جنيت الكثير من عمليـة التريومف يا جريج .. الم يكن دركسل يعرف انكم تعلمون انه يختلس نقودا ؟

ـ اوه ، اننى جنيت القليل .. بعض الفتات .. كنت كما لو ان مليونيرا يدعونى لقضاء اجازة معه . وكان يدفع نفقاتى فى نيويورك .. فى عطلات آخر الأسبوع احيانا .

واردف يقول فى شىء من الامتعاض :

ـ اترى من ذلك اننى جنيت شيئا ؟

ـ ابتسم كارتر وقال :

ـ ولماذا لم تبتز منهما اكثر ؟

بدا التفكير على جاويل ، كما لو انه يحاول أن يتصور عجزه عن الاقدام على ذلك ، وأدرك كارتر أنه كان لدى دركسل بالمر ادلة تشين جاويل ، فلا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ، وقال :

ـ هذا لا يهم .. اننى فاهم .

ونظر الى التليفون ، وما كاد يفعل حتى صلصل الجرس فاسرع كارتر يقول :

ـ اين كنت الليلة ؟

كان جاويل يوشك أن يمسك سماعة التليفون ولكنه توقف ، وبقيت يده معلقة فى الفضاء وقال :

ـ لماذا ؟ .. كنت فى بار ، اشاهد ملاكمة فى التليفزيون .

ـ كنت معى .. طوال السهرة .

قال جاويل فى عصبية :

ـ آه .

وصلصل جرس التليفون للمرة الثالثة ، وعاد كارتر يقول :

ـ ذهبت للقائك فى البار ، وعدت انت الى بيتك اولا ، وانضممت أنا اليك بعد قليل ومعى زجاجة ويسكى .

قطب جاويل جبينه وقال :

ـ بعد قليل ؟ .. ما معنى ذلك ؟

ـ رد على التليفون .

أعاد جاويل يده المعلقة الى ركبته ثم مدها ثانيـة وامسـك سماعة التليفون ، وقال :

ـ آلـو .

واستطاع كارتر ان يسمع صوتا خشنا .. صوت رجل .. ونظر الى وجه جاويل :

ـ نعم ، نعم ، آه ، نعم .

وبدت الدهشة على جاويل والتوتر ، ونظر الى كارتر وعـاد يقول فى التليفون :

ـ بكل تأكيد .. لن اتحرك .. اتفقنا .

واعاد السماعة مكانها ، وبدا اليقين فى عينيه وهو يقول :

ـ مات اوبريان .. هل قتلته ؟

ـ من الواضح ان القـاتل اما إنا واما أنت . ولكن من الأوفق ان لا يكون لا انا ولا انت . يا جريج . ومن الأوفق ان تقول اننا قضينا السـهرة معا . سأقول لهازل اننى كذبت عليهـا بخصوص عشاء العمل واتيت لكى اراك ، والتقيت بك فى البار .. هل كان البار مزدحما ؟

ـ نعـم .

ـ اين ؟

ـ فى شارع جاكسون هيتس .. ليس بار أوبريان .. لا ادرى ما اسمه .. آه ، حانة روجر .

ـ حسنا ، ماذا حدث الليلة للشرطى الذى يراقبك ؟ اليس هناك شرطى امام البيت ؟

نهض كارتر فجأة ونظر الى البـاب ، ثم نظر الى جاويل وقـال :

ـ لم ار سيارة بوليس عند قدومى ، ولكننى لم احـاول البحث عنها .

جفف جاويل جبينه ، ومر بيده حول عنقه ، تحت ياقة بيجامته وقال :

ـ لمـاذا قتلت اوبريان ؟ .. هـل كان يبتزك ؟ .. ام مـاذا ؟

ـ مات سوليفان ، اليس كذلك ؟ فيم يهمك السبب ؟ .. نعم ، اننى قتلت أوبريان . هل تريد ان أقول اننى رأيته يخرج من شقة سوليفان ويهبط السـلم ركضا فى نفس اللحظة التى هممت انا بدخولها ؟ اظنك لا تريد أن اقول لهم انك كنت تخطط لقتل سوليفان .

صاح جاويل :

ـ يا الهى ! ... هأنذا مرة إخرى كبش الفداء .

ودفن وجهه بين يديه . وابتسم كارتر . وأشعل سيجارة وقـال :

ـ لا خيار لك يا جريج ، ولا خيار لى انا أيضا . ولكن

يمكننا أن نتفق .. شخص ما قتل أوبريان .. شـــخص آخر ربما كان اوبريان يدين له ببعض المـــال ، وليس نحن .

قال جاويل فى صوت أكثر هدوءا :

ــ نتفق ؟

رن جرس الباب العمومى ، فنهض جاويل ومضى الى المطبخ بخطوات ثقيلة ، وضغط على المفتـــاح الذى يفتح الباب ثم عـــاد فى نفس الخطوات . وســـأله كارتر وهو لا يدرى ان كان رده سيكون معاديا أو سلبيا او متعاونا .. متى ذهبت الى البـــار الليـــلة ؟

أجاب جاويل بلهجة تدل على عجزه :

ــ فى الساعة الثامنة والنصف .

احس كارتر بكفة قدره تتأرجح ، وقال فى صوت هادىء :

ــ وانا انضممت اليك فى نفس الوقت . اتصلت بك قبل ذلك فى الساعة السادسة والنصف ، وتواعدنا على اللقـــاء فى البـــار .

رن جرس باب المسكن عقب هذه الكلمات . وقال كارتر :

ــ هل كنت بالبيت فى السادسة والنصف ؟

اجاب جاويل :

ــ نعـــم ...

ومضى لكى يفتح الباب .

دخل أوستريخر ، ومعه شرطى لم يسبق لكارتر أن رآه . وقـــال :

ـ آه .. انت هنا يا مستر كارتر ؟ .. مساء الخير .

قال كارتر :

ـ مساء الخير .

ـ ومستر جاويل يستعد للنوم ؟

ـ فى هذه الساعة ، نعم .

لم يجلس أوستريخر ولا زميله .ونظر الضابط الى وجهى كارتر وجاويل فى نفس الوقت وهو يتكلم فقال :

ـ لا ريب انك سمعت النبأ يا مستر كارتر .. وجدنا اوبريان ميتا الليلة فى احد شوارع وست اند . ضربه القاتل ضربا أفضى الى الموت .

لم ينطق كارتر بشىء . وانما نظر الى أوستريخر . كان يمسك كأسه التى لم تفرغ بعد بيده اليمنى واصبعه الصغرى تحت قاعدة الكأس :

ـ اين كنتما الليلة ، معا ، فى نحو الساعة الحادية عشرة يا مستر كارتر ؟

ـ أعتقد اننى كنت أمشى فى شارع جاكسون هيتس .. كنت قد قضيت جزءا من السهرة مع جاويل .

ـ اى جزء ؟

ـ من الساعة الثامنة والنصف حتى العاشرة والنصف .

ساله اوستريخر :

ـ افترقتما اذن فى العاشرة والنصف ؟

واردف يقول مخاطبا الشرطى الذى معه :

ـ سجل هذا القول .

واسرع الشرطى باخراج دفتره وقلمه .

قال كارتر :

ـ بقينا نثرثر لحظة فى احد البارات ثم انصرف جاويل ، اما انا فلم أكن قد فرغت من حديثى معه ، فاشتريت زجاجة ويسكى وأتيت اليه فى البيت .

فتح أوستريخر فمه قليلا ، ولكنه لم يقل شيئا . وراح ينقل بصره بين كارتر وجاويل كما لو انه كان يود ان يسألهما أين كان كل منهما على حدة وقال :

ـ وانت يا مستر جاويل .. أين كنت ؟

ـ غادرت البار فى نحو ...

ـ اى بار ؟

اجاب جاويل :

ـ حانة روجر .

ووضع سيجارة فى فمه ، وكان واقفا هو الآخر ، واردف :

ـ اعتقد اننى عدت فى نحو العاشرة والنصف . لا ادرى بالضبط . سل الشرطى الذى يقوم بالمراقبة امام البيت ، فلاريب انه يعرف . او لعله انت الشرطى (قال ذلك مخاطبا الشرطى الذى يسجل اقواله ، ولكن الشرطى اكتفى بأن نظر اليه ولم يرد) .

ـ متى عاد ؟

فحص الشرطى دفتره ثم قال :

ـ فى العاشرة والربع .

ـ وكارتـر ؟

فحص الشرطى دفتره من جديد ثم هز كتفيه كما لو كان يعتذر وقال :

ـ آسـف . لم اسجل الوقت الذى قـدم فيه هـذا السـيد .

ارتسمت امارات الضيق على أوستريخر وقال :

ـ فى اية ساعة جئت الى جاكسون هيتس يا مستر كارتر ؟

اجاب كارتر :

ـ فى نحو الثامنة والنصف .

ـ وما هو الموضوع الذى دار بينك وبين مستر جاويل ؟

قال كارتر :

ـ ماذا تعتقد انت ؟

لمعت عينا أوستريخر وهو ينظر الى جاويل وقال :

ـ من استاجرت لكى يقتل أوبريان يا جاويل ؟ .. وكم دفعت له ؟ .. أو بكم وعدته ؟

صـاح جاويل :

ـ لا تقحمنى فى ذلك .

ـ بل انت مقحم فيه رغم انفك . لن تنجو هـذه المرة وسوف تقضى بضعة ايام فى السـجن ، وبضع ليال .

ـ لا اعرف من قتل اوبريان . ولا احفل بذلك . ولن تفوز منى بشىء .

أعجب كارتر بجاويل هذه المرة ، وبدت بوادر الهزيمـة فى عينى أوستريخر ، واستدار وتمتم بشىء للشرطى الذى كان عاكفا على تدوين ملاحظـاته . وأومأ الشرطى براسـه فى حين مضى أوستريخر الى تليفون جاويل ، وتناول السماعة وأدار القرص ، وقال للذى رد عليه :

ـ قل لهولنجوورث أن يبقى مكانه .

واعاد السماعة ثم تحول الى كارتر وجاويل :

ـ ارتد ثيابك يا جـاويل . سنمضى الى البـار الذى كنت فيه .

بدأ جاويل يتحرك ، ثم نظر الى ساعته وقال :

ـ انه يغلق فى منتصف الساعة الحادية عشرة .

قال أوستريخر :

ـ سوف نجد أحدا .

وعندما وصلت بهم عربة البوليس كان البار مغلقا ، فمضى اوستريخر الى بار آخر فى نفس الشارع ، لاتزال ابوابه مفتوحة ، لكى يتكلم فى التليفون ، ويرى ان كان هنـاك أحد فى البار الأول ، او ربما لكى يسأل عن اسم صاحبه الذى زعم جاويل انه لا يعرفه، أو لم يشأ ان يخبره به . وعاد بعد خمس دقائق وقال للسائق :

ـ عد بنا الى القسم .

وما ان بلغوه حتى سأل كارتر أوستريخر اذا كان يمكنـه أن يتصل بروجته تليفونيا فوافق اوستريخر ، ولكنـه بقى بكل برود على بعد خطوتين منه بينما كان يدير قرص التليفون لكى يسمع ما سـوف يقول . وقالت هازل تسأل زوجها :

ـ ولكن أين انت ؟

اجابها كارتر من غير أن يبتسم ولكن بهدوء تام :

ـ انا على ما يرام . لا استطيع أن اتحدث الآن لأنني لست وحدى ، ولكننى بخير ، فلا تقلقى .

لا ، ولو حتى عذبوه وضربوه حتى الموت . سيعرف كيف يصمد ، وسينتهى به الأمر الى أن يعود الى بيته .

أبقاهما أوستريخر حتى الرابعة صباحا وهو يستجوبهما ، كل على حدة ، وكل بدوره . ولم ير كارتر جاويل بعد وصولهما الى القسم . وفى نحو الساعة الثالثة بدت بوادر الفشل على أوستريخر ، وراح يكرر ويعيد أسئلته فى نفس الوقت ، ثم أتت اللحظة التى بدا فيها ان جارى انهار .

ـ قال جاويل انك رفضت أن تدفع لأوبريان نيابة عنه رغم انه وعدك بأن يرد لك المبلغ فيما بعد . وانك ستدفع مساعدة له .. لمن كنت ستدفع يا كارتر ؟

ـ ولماذا تريدنى أن أساعد جاويل بحق السماء ؟

كان كارتر يجلس فى مقعد عاقدا ذراعيه وساقيه . كان استجوابا مترفا بالمقارنة لما يدور فى السجن ، وبالمقارنة الى التطبيق من الابهامين . واستطرد :

ـ انك تضيع وقتك .

كان مستعدا ذهنيا على كل حال الى البقاء واعيا طوال الليل ، وطوال نهار اليوم التالى ، فى حين ان أوستريخر سينام ، وطوال ليل الغد أيضا مع أوستريخر ثانية . وكان على يقين من ان جاويل لم ينهر لأن ذلك لو حدث حقا لأدلى أوستريخر

بتصريحاته بقوة مشفوعة باللكمات والضرب ، واحس كارتر بالأمان مع جاويل كشريك له فى هذه الظروف فانه سيفعل كل شىء ليحمى نفسه .

قال اوستريخر :

ـ انا لا اضيع وقتى ، وانما انت الذى تضيع وقتك .

حدق كارتر فى اوستريخر دون أن يهتز .

تخلى أوستريخر عن استجوابه بعد ذلك بقليل اثناء الليل . واعيد كارتر الى زنزانة فى آخر الرواق بها سرير مثبت فى الحائط عليه بيجامة نظيفة ، وبدا الأمر كأن خادمة فى فندق تمضى به الى احدى الغرف . ولم تكن الزنزانة مجهزة الا بالماء البارد ولكن المرحاض كان نظيفا جدا . وكانت الزنزانة تبدو كغرفة فى فندق بالمقارنة الى الزنزانات التى عرفها فى السجن . ولم ير جاويل ، ولكنه كان متأكدا من انه يقضى الليل هو الآخر فى مكان ما .

لم يحدث شىء حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى، عندما اقبل اوستريخر مع رجلين ، هما صاحب بار « حانة روجر » وساقيه . وقال كل منهما انهما لم يلحظا كارتر فى البار ، ولكن يحتمل انهما لم يلحظاه . ولم يعرفا جاويل بالاسم وانما بالنظر لأنه يختلف الى البار كثيرا . وكان كارتر موجودا عندما واجه اوستريخر جاويل بالرجلين ، وقد سأل الرجلين بعد ذلك اذا كانا يتذكران انهما رأيا كارتر وجاويل معا .

اجابه الساقى وهو يهز راسه :

ـ أما انا فلا . ولكن البار كان شديد الازدحام أمس بسبب الملاكمة . والناس كما تعرف كانوا يأتون الى المنصة ويطلبون منى كئوسا مرارا كثيرة ويعودون بها لأصدقائهم .

اوما اوستريخر براسه نحو جاويل وقال :

ـ وهل تتذكر اذا كان قد اشترى مشروبين ليلة امس فى اى وقت .

بلل الساقى شفتيه فى حذر وقال :

ـ اذا أردت الصدق فلا . ولكن قد اكون مخطئا اعنى ان الناس امس كانوا كثرة ، وكانوا يقفون فى ثلاثة صفوف إمـام المنصة ، ولا اريد ان أجزم واتسبب فى اضرار احد . اننى لا اتذكر فحسب .

قال كارتر فى سره :

ـ مرحى .. مدافع يدين بشعار رجل الشارع . « ابتعد عن المشـاكل » .

ولم يتذكر صاحب البار هو الآخر اذا كان جاويل قد طلب كاسين أم لا . وقال انه قضى الأمسية فى آخر البار مع صديقين . وقال أوستريخر يخاطب الرجلين :

ـ حسن جدا .. قد نحتاج اليكما مرة اخرى .

وانصرف الرجلان .

ثم تحدث أوستريخر مع كارتر بمفرده فى زنزانته . وكان كارتر مرتديا ثيابه فيما عدا الجاكتة :

ـ لنعد الى مساء امس .. اننى رايت زوجتك صـباح اليوم . قالت لى انك كنت فى عشاء عمل فى مكتبك . لـماذا كذبت عليهـا ؟

ـ كنت أعرف أنها ستقلق اذا عرفت أننى ماض للقـاء جـاويل .

ــ ولمــاذا تقلق ؟ انك رايته قبل ذلك مرتين .

ــ ان جاويل ليس صديقا حميما لى ، ويختلط باهــل السوء . وقد انزعجت زوجتى عندما قلت لها اننى زرته .

ــ ولمــاذا قلت لها انك زرته، ولأى سبب ذهبت اليه ؟

ــ لكي ارى ان كان يعترف بأنه استأجر اوبريان . خطر لى انه حتى اذا كذب على البوليس فاننى أستطيع أن أعرف اذا كان يكذب أم لا .

ضاقت عينا أوستريخر وقال :

ــ ولكن ماذا كان بوسعك أن تفعل ؟

نظر كارتر اليه فى ضيق وقال :

اليس من المهم أن نعرف الحقيقة ســواء استطعنا أن نفعل شيئا أم لا .

ــ قالت لنا زوجتك انك سررت جدا منذ أيام باكتشافك ان جاويل استأجر أوبريان ، فلماذا قابلته الليلة المــاضية ؟

كان كارتر جالسا على حافة فراشه الصلب . وقال :

ــ كنت اريد المزيد من التفاصيل . كم دفع لأوبريان او بكم وعده مثلا . لم يعترف لى جاويل ابدا بأنه استأجر أوبريان . انكر ذلك . ولكننى ظننت أنه استأجره واخبرت زوجتى بذلك . وخطر لى اننى اذا استطعت ان الاحقه وان اعرف المبلغ الذى وعده به فاننى استطيع ان انقذ نفسى من الورطة .

قال أوستريخر :

ــ انت تعترف اذن انك كنت فى ورطة ؟

ـ طبعـــا .

ـ انت فى ورطـــة اكبر الآن . لنقل ان جساويل استأجر اوبريان ، وانك انت الذى قتلت سوليفان فى الواقع . واذا كنت قد قتلته فان اوبريان كان يعرف ذلك ، وكان فى موقف ممتـــاز لكى يهددك ويبتز اموالك . الم يحـــاول ابتزازك يا مستر كارتر وقررت ان تقتله ، وقتلته فعلا .. الم يكن على موعد معك ؟

قال كارتر :

ـ كـــلا .

ـ مساء امس ؟

ـ سوف تتحقق من اننى لم اسحب اى مبلغ من حسابى .

ـ ولم يسحب جاويل شيئا من حسابه هو الآخر . وما كنت لتسحب منه شيئا لو انك قررت ان تقتله .

ـ لم اقرر قتله .. كان مشكلة جاويل وليس مشكلتى .

وفتح كارتر يديه وتركهما حتى ركبتيه ، ثم اخذ سيجارة فى بطء . كانت آخر ما معه من سجائر ، وكان مدركا انه هادىء جدا ومطمئن ، ولكنــه كان مسرورا لأن اوستريخر لم يأت معه بجهاز الكذب ، فهو لم يكن فى داخله كما كان منذ ثلاثة اسابيع . كان يهتم اليوم بالنتيجة اكثر من اى وقت مضى ، وكان يقول لنفسه « سأرد القصـــاص الذى تلقيته » ولم يدر من اين جاءت تلك الكلمات الى ذهنه فجأة .

ونظر اوستريخر فى عينيه ، وقال له هذا الأخير :

ـ ماذا تناولت فى البار مساء امس ؟

ـ ويسكى بالماء .

ـ كم كأسـا ؟

ـ كأسين على ما اظن او ثلاثة .

ـ ومن الذى طلبها ؟

قال كارتر :

ـ لقد طلب كل منا دورا .

ماذا قال جاويل لأوستريخر ؟ .. وعاد يقول :

ـ واظن اننى ذهبت الى منصة البار وطلبت كاسين .

ـ تظن ؟

ـ دفع جاويل ثمن المشروبين الأولين ، واظن ان الساقى هو الذى جاء بهما . لا ادرى ، فقد كان البار مزدحما والضجة شديدة ، ولم نستطع التحدث ، ولهذا مضيت الى بيت جاويل .

ـ وذلك بعد ان التقيت باوبريان فى الساعة الحادية عشرة فى نيويورك وقتلته ؟ .. ثم اسرعت الى هنا .

هز كارتر رماد سيجارته فى هدوء وقال :

ـ كـلا .

ـ ألم يكن جاويل على علم بما يدور ؟ ألهذا السبب لم يدفع لأوبريان ؟ هل اتفقتماعلى ان يكون كل منكما دليل براءة الآخر ، اذا انت قتلت أوبريان ؟

قطب كارتر جبينه وقال :

ـ كانت دهشة جاويل كدهشتى تماما عندما علم بموت أوبريان . لماذا لا تستعلم من سائقى السيارات اذا كنت تظن اننى قمت بكل هذه التنقلات .

ـ لقد فعلت . سيأتي سائق ربما يقول لنا ما نريد أن نعرف . ان أغلب الذين كانوا يعملون أمس ليـلا ما زالوا ينامون هذا الصباح .

لم ينزعج كارتر ازاء هذا القول ، وقال أوستريخر :

ـ سأراك بعد لحظة .

وخرج ، وأغلق الباب ذى القضبان الحديدية ، وأشـار الى حارس ادار المفتـاح فى القفل . وخاطب كارتر الحـارس قائـلا :

ـ هل أستطيع أن اتصل بزوجتى فى التليفون ؟

لم يسمح لكارتر بأية مكالمـة تليفونية بعد المكالمـة الأولى التى قـام بها ، ولكن قيل له انه يمكنـه أن يعين له محاميـا اذا أراد .

ـ هذا ما سوف أفعل . ولكن هل يمكنك أثنـاء ذلك أن تأتينى بعلبة سجائر .

وناوله ورقة مالية من فئـة الخمسين سـنتا من خـلال القضبان ، أخذها الحارس وابتعد . وعاد بعد خمس دقائق ومعه السجائر وخمسة عشر سنتا . واتصل كارتر بعد ذلك تليفونيا بأحد المحامين الثلاثة الذين عينهم له ضابط القسم ، وتواعد معه لبعد الظهر . كان يعرف أن الكفـالة ، اذا كانت هنـاك كفالة ستكون جسيمة حتى لا يتمكن من ايجادها ، ولم يكن مهتما جدا بالحماية التى سيكفلها له المحـامى ، ولكنه اراد أن يوكل عنه محاميا لأن هـذه هى العادة . وجاء حلاق فى الساعة الثانية من بعد الظهر وحلق له ذقنه . وأقبل المحـامى بعد ذلك بقليل ، ويدعى ماتيو ايلليس ، وهو رجل طويل القامة وبدين ، فى الثلاثين

من العمر ،له شارب أسود صغير ، تكلم مع كارتر فى زنزانته نحو عشرين دقيقة ثم أكد له انهم اذا لم يجدوا دليلا آخر ضده فلن يمكنهم ابقاؤه أكثر من ثمان وأربعين ساعة . ووعد بأن يتصل بهازل، وأن يشرح لها الموقف . لم يكن بوسعه شيئا للحصول على اذن بزيارتها له . وفى الصباح سأل كارتر الحارس ثم الضابط ان كان يمكن لزوجته أن تزوره فأجابه الضابط :

ــ كلا .

وقال كارتر لنفسه انه يطيع أوامر أوستريخر دون شك .

وفى الساعة الثالثة من بعد الظهر تساءل كارتر اذا كان أوستريخر لايزال يستجوب جاويل حتى ذلك الوقت ، واذا كان جاويل من الذكاء بحيث يذكر ما دار بينهما من حديث ، أى اذا كان قد استأجر أوبريان أو لا ، وأن يصمد ويؤكد ما قاله كارتر بخصوصهما أمام أوستريخر ، وقال لنفسه انه سيكون من الذكاء بالطبع بحيث يؤكد الوضع الراهن . أما اذا تكلم فسوف يضع نفسه فى ورطة ، أقل طبعا من ورطة كارتر ، ولكنها ورطة على كل حال ، فى حين انه سيكون حريصا على أن يحمى نفسه ، فرغم الحقد الذى كان يكنه لسوليفان لم يجرؤ ابدا أن يقتله ، وانما كلف شخصا غيره لكى يفعل .

بقى كارتر مستلقيا على ظهره ، يدخن وينظر الى السقف . وفكر فى الكلمات التى خطرت بذهنه وهو يتحدث مع أوستريخر « القصاص الذى تلقيته » . لم تكن كلمة القصاص الكلمة المناسبة لوصف كل هذا وانما هى العين بالعين فهى أقرب شىء كان يحس به . ثم انها لم تكن كذلك ايضا لأنه لم يكن يؤمن بها أساسا ، فان قتله لسوليفان عمل رسمى قام به فى سورة من الغضب ، وكونه لم يشعر بأى ذنب جعل جريمته أسوأ . أما قتله لأوبريان فكان عملا مدروسا ومتعمدا لكى ينقذ نفسه

من عواقب عمل سيىء . ورغم انه اقتنع فى قرارة نفسه بأن العملين سيئان الا انه لم يشعر بأى وخز .. أو بالأحرى بوخز بسيط لضميره بسبب اى منهما وبكليهما معا . وأسف لارتكابه الجريمتين ولكنه أسف أيضـا لعلاقة هازل بسوليفان ، ولأنها استمرت على علاقتها به . ووقف كارتر فجـأة .. هل ستكون هنـاك ضحية اخرى ؟ ثم أخرى .. أفى كل مرة يحقد فيها على شخص أو يكون لديه سبب يجعله يتمنى اختفاءه يقتله بكل بساطة كما لو كان رجلا همجيا ؟ .. نظر الى المرآة التى فوق الحوض رغم انه لم يكن يواجهها . وعكست المرآة القضبان الحديدية لباب زنزانته . كان متأكدا انه لن يقتل أحدا بعد اليوم . لم يستطع تفسير هـذا اليقين منطقيا ولكنـه كان يعرف أنه اذا خانته هازل من جديد مع اى شخص فأنه يؤثر ان ينتحر بكل بساطة .

اقترب الحارس من الباب وقال له :

ــ رسالة لك .. وناوله اياها .

أخذ كارتر الرسالة وفضها . كانت من المحـامى يقول له فيها انه اتصـل بزوجته تليفونيا « وهى تقول لك انها تحبك وان لا تقلق بشأنها » وأنها ستأتى لكى تراك بمجرد أن يسمح بذلك .. كان هنـاك دنيا من المعانى فى « لا تقلق بشأنها » وابتسم كارتر ، وتدفقت فى كيانه قوة جديدة ، وكان بحاجة الى تلك القوة ، فقد اقبل اوستريخر بعد الخامسة ، بعد أن جاءوه بالعشاء فى صينية ، وقال :

ــ يمكنك أن تقلع عن غيك يا كارتر ، فقد تكلم جاويل أخيرا .

لم يرك ابدا ليلة الأمس الا فى نحو منتصف الليل ، ولم تكن برفقته ابدا فى ذلك البار . انك قتلت سـوليفان ، ولم يقتله اوبريان . مضيت هنـاك قبل اوبريان ، ذلك اذا كان اوبريان قد ذهب هناك بالفعل .

اطبق كارتر ذهنه عن كل ما سمع ، واطبق اخيرا اذنيه تقريبا . لم يصدق ذلك .. لم يصدق ان جاويل تكلم ، وحتى اذا كان قد تكلم فما الذى يخسره الآن بانكاره كل شيء ؟ واخذ نفسا عميقا ، وخلع ربطة عنقه وفك أزرار قميصه الذى بدا أشبه بقميص السجن ، ونظر الى أوستريخر فى هدوء ، ووجهه خال من كل تعبير ، كما كان يفعل فى السجن ، لأنه كان يخفى بهذه الطريقة انفعاله ، ويحتفظ بنشاطه فى نفس الوقت .

وانتقلا بعد نصف ساعة الى غرفة فى الطابق الأرضى ، ليس فيها من المفروشات غير مكتب قديم اسمر ، ومقعدين ، جلس كارتر على أحدهما ، وأوستريخر على الثانى . ولم يكن المصباح الذى فوقهما يهتز ، وانما كان يعكس نورا ساطعا . كان مثبتا فى السقف داخل اباجورة كبيرة خضراء مدهونة باللون الأبيض من الداخل . وفى البداية بدت صورة كارتر وقد استحالت الى السواد ، وان كان السواد قد بدأ منذ ان أودع السجن . وتوهمه أوستريخر شيئا ، فان تأثير معاشرته لرفقاء السوء فى السجن ست سنوات ، وتأثير المورفين الذى ظل يتعاطاه ، مثله فى ذلك مثل ضعاف الشخصية الذين يتعاطونه أتلف ذهنه فى البداية ، ثم اضر بمعنوياته ، أو بما بقى منها . ثم انه كرجل ضعيف فقد كل كرامة ، واحتفظ بصداقة زائفة مقززة للرجل الذى ضاجع زوجته ، وقبل وظيفة أتاه بها . وترك انفعالاته تنفجر اخيرا حتى الجريمة .. وانجذب الى جاويل المتآمر فى قضية اختلاسات التريومف رغم انه انكر الآن أنه صديق حميم له ، ورضى أن يتعاطى المخدر فى بيته مرتين ، ولم يذكر جاويل ذلك للبوليس . وقتل بالعمد والترصد انتونى أوبريان ، الرجل الوحيد الذى كان يمكنه الوثوق به . وقال أوستريخر انه اذا كان يثق بجاويل فانه مخطيء فليس هناك شرف حقيقى بين اللصوص .

حدث كارتر نفسه فقال وقد تحول ذهنه نحو السطحيات والشكليات أيضا ، كذهن أوستريخر « وستكونين أنت صخرتي » .

وصخرته هي هازل المزعزعة والمضرورة مثله . والموجودة دائما والقوية دائما بحيث يستطيع التشبث بها « رغم انني محطم » . وأحنى رأسه قليلا ، ونظر الى أوستريخر مباشرة في عينيه .

ـ انت لا ترد على اسئلتي .

تكلم كارتر في بطء :

ـ ان الأشياء التي ذكرتها ليست اسئلة ، فبماذا تريد ان أرد ؟

ـ اي رجل عادي يجد ما يرد به .. ينكر أو يعترف ، ولكنك تجلس كما أنت ، كمجرم متحجر القلب .

كان في مقدور كارتر ان يبتسم ، ولكنه لم يفعل ، ولم يتطلب منه ذلك اي جهد ، بل بدا له الأمر طبيعيا ، فان الحراس في السجن وسموه بنفس الشيء ، وان كان بكلمات مختلفة ، بعد ان دخل السجن ببضعة أسابيع ، قبل أن يعلقوه من ابهاميه .

ـ لا اعترف باي شيء مما تقول ، وليس لدى ما اقول غير ما سبق ان قلت لك .

صاح أوستريخر وهو يهدده باصبعه :

ـ ماذا تظن انك ستجني بانكارك بعد ان ذكر جاويل الحقيقة .

قال كارتر :

ـ اشك فى انه قال لك كل ذلك ، لأنها ليست الحقيقة .

بقى كارتر واوستريخر معا فى الغرفة حتى بعد الحادية عشرة ، فيما عدا عشرين دقيقة ، فى الساعة التاسعة ، اذ خرج اوستريخر لكى يتناول شيئا من الطعام . واحس كارتر بالجوع فى الساعة العاشرة ، ولكنه لم يفصح عن ذلك . وشعر بحاجة ماسة الى النوم ايضا بسبب تكرار الأسئلة ، وقصة جاويل المزعومة ، لم يضعف ابدا رغم أنه وجد نفسه مرة أو مرتين يكاد يصدق ان جاويل انهار حقا وتكلم . ولكن عندما كان يحدث ذلك كان يذكر نفسه انه ليس هناك ما يخسره ، وأنه يكسب كل شىء بتمسكه بأقواله . وهذا ما فعل . لم توجه اليه اية ضربة ولم تكن هناك اية مطارق من الكاوتشوك .

فقد أوستريخر صبره اخيرا ، ودمعت عيناه ، وانقلبت ربطة عنقه وقال :

ـ هل تعرف ماذا نفعل مع امثالك ؟ اننا نلاحقهم ولا نجعلهم يشعرون بالراحة .. سنضع حدا لمستقبلك .. أو بالأحرى لما بقى منه .

قال كارتر :

ـ اود ان اراك تطبع القصة التى تزعم ان جاويل رواها لك .

كان قد وقف الآن كما فعل أوستريخر ، ويداه فى جيبيه ، ومد يده اليمنى لكى يعدل عقدة رباط رقبته وقال :

ـ عندما اخرج من هنا سابحث عنها فى الجرائد .

بدا الاستياء على وجه أوستريخر ، رغما عنه ولكنه لم يعلق بشيء .

نام كارتر نوما عميقا رغم ان ابهاميه كانا يؤلمانه ، ولم يستطع أن يأخذ أقراصا منذ اربع وعشرين ساعة .

وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوم أحد ، فى نحو الساعة الحادية عشرة ، أقبل ماتيو ايلليس الى باب الزنزانة مبتسما وقال :

ــ ان زوجتك هنا . تستطيع أن تعود الى البيت بعد قليل .

وقف كارتر خلف القضبان ينتظر ان يراها تدخل من الباب، فى آخر الرواق . واقبل حارس نحوه تتبعه هازل . كانت عارية الرأس ، وبين ذراعيها شيء ملفوف فى ورق أسمر . وعندما رأته ارتسمت فى عينيها ابتسامة خفيفة ، ولكن عينيها كانتا تبتسمان أكثر . تكلمت عيناه معه . وابعد كارتر يديه عن القضبان ، وارتد الى الخلف قليلا بينما كان الحارس يفتح الباب .

وقالت هازل :

ــ جئتك بقميص نظيف .

ــ شكرا يا حبيبتى .

وعانقها ، وتسارعت الدموع خلف عينيه المطبقتين ، وذكرته بدموعه يوم خروجه من السجن وقالت :

ــ سيكون كل شيء على ما يرام .

شيء فى صوتها جعله يتراجع الى الخلف وينظر اليها . وادرك عندئذ انها كانت تعرف الحقيقة ، وانها كانت تعرفها

كلها . وألقى نظرة الى ماتيو أيلليس ، وكان واقفا بعيداً ، وأومأ ايلليس اليه برأسه .. لم يكن هناك شك فى أنه لا يعرف شيئا لأن هازل لم تقل له شيئا على الاطلاق .

وسأله ايلليس وهو يشير له باصبعه الى انه سينتظره فى الخارج :

ـ انك تريد أن تلبس قميصك النظيف طبعا .

أخرجت هازل القميص من اللفافة السمراء التى فى يدها واعطته اياه ، ثم اعطته بعض الأقراص من كيس من الورق المشمع ، وانتظرت خارج الزنزانة ريثما خلع قميصه القذر وارتدى القميص النظيف ، وهو يتساءل هل أفرج عن جاويل أو هل سيستجوبونه بضعة أيام أخرى . لن يتكلم جاويل أبدا للبوليس لأنه قد يستخدم أقواله ضده ، وايقن كارتر أنه هو وجاويل لن يحاول أى منهما أن يلتقى بالآخر ابدا ، ولا ان يتبادلا اية كلمة على الاطلاق .

أخذ كارتر قرصا من البانانود أمام حوض الزنزانة مغترفا الماء بيده كما فعل ذلك مرارا فى السجن ، ثم اعتدل ، وزرر قميصه النظيف المنشى ، رمز حياة جديدة ، وتحول نحو هازل التى كانت تنظر اليه . لا ريب أنها تحس بما تحس به ما دامت تنظر اليه بهذه الطريقة .. ان كلا منهما ارتكب حماقات فظيعة ، ولكن مازال هناك شىء يستطيعان انقاذه ويستحق

الانقاذ ، فهما لم يدمرا كل شيء ومازالت هنــاك أشـيـاء كثيرة امامهما وسيستقيم كل شيء ، واخيرا رد لها ابتسامتها .

واقترب أوستريخر من كارتر وهو يخرج من الزنزانة ، ونظر الى هازل ثم الى كارتر وقال :

ـ لن نكف عن مراقبتك يا كارتر .

قال كارتر :

ـ أوه .. اننى أعرف .. أعرف ذلك .

« تمــت »

رقم الايداع ١٩٩٢/٥١٣٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3078 — 8

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

بعد شارلوك هولمز وأرسين لوبين والمفتش بواروود وكابول إنضم ريبلى إلى الشخصيات الأدبية البوليسية الشهيرة بفضل الكاتبة الأميريكية باتريشياها يسميث ..

وشخصية ريبلى لعبت الأدوار الرئيسية فى عدة روايات ومنها هذه الرواية « زنزانة من زجاج » التى تحولت إلى فيلم سينمائى من إخراج الفريد هيتشكوك ..

وهكذا غمرت شهرة الكاتبة باتريشياهايسميث وبطلها السيد ريبلى العالم كله وليس فى الولايات المتحدة الأميريكية وحدها .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٣٠ قرشا